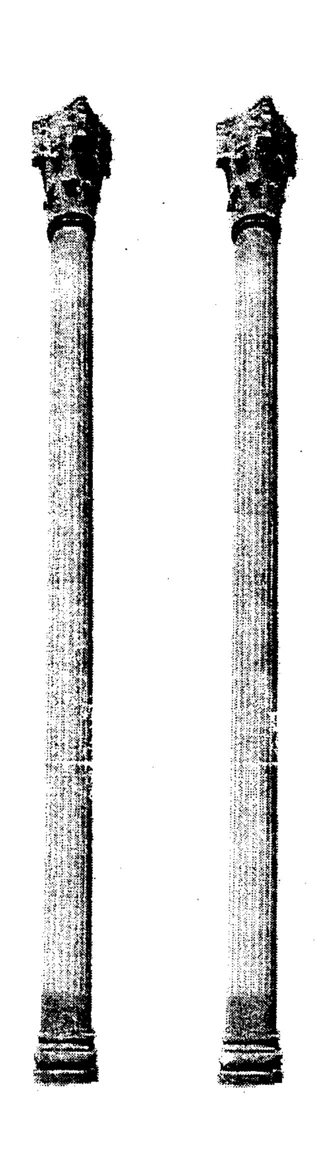


أساطير الصهيونية السياسية
والمعاهدات والمواثيق الدولية

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الناشر : دار زهور المعرفة والبركة

٣ ش مكة المكرمة الطريق الأبيض أرض اللواء الجيزة

٠١٠٠٠٧٤١١٦٤ - ٠١٢٢٦٤٠٦٤٨٩

البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

محمد يونس هاشم

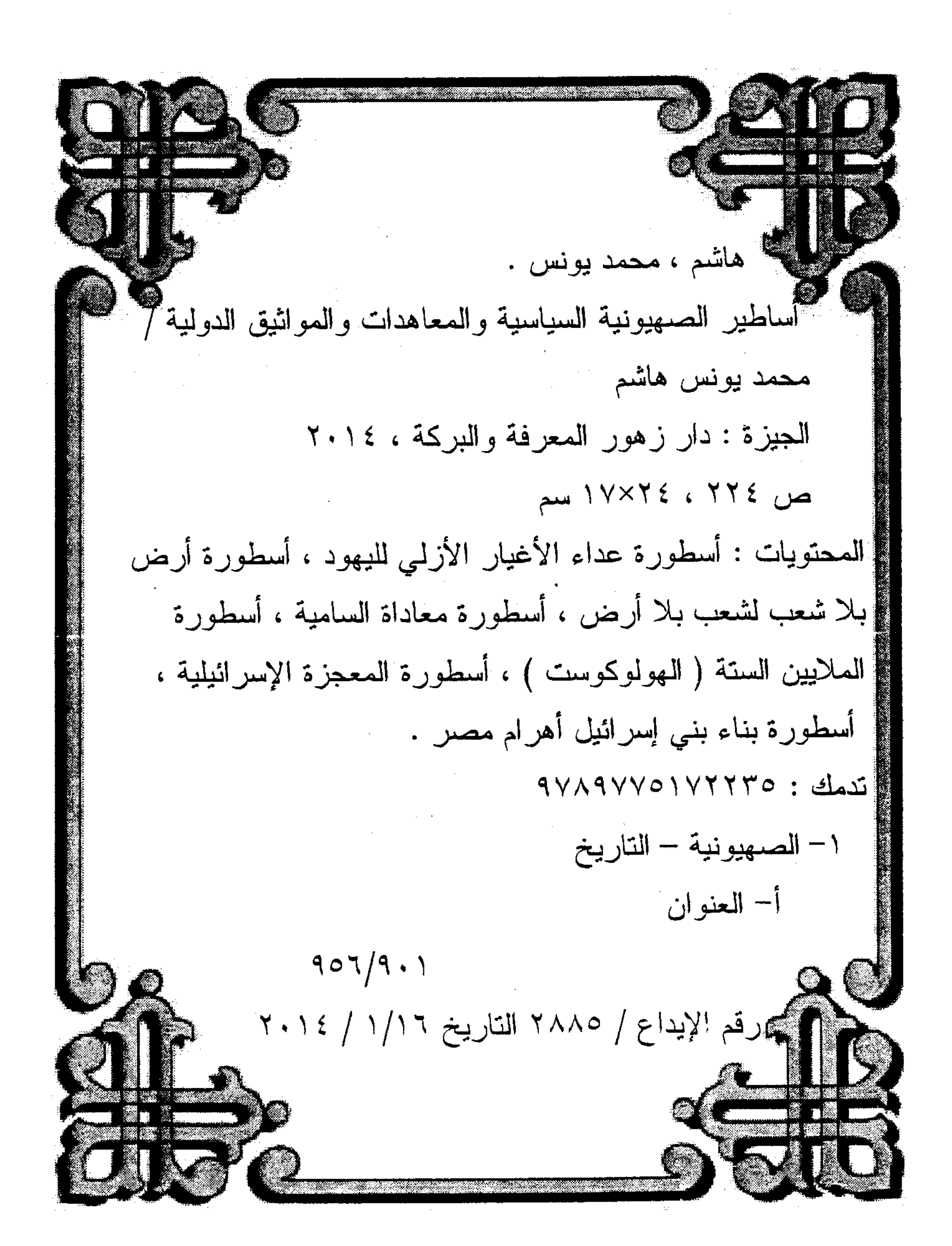
أساطير الصهيونية السياسية

والمعاهدات والمواثيق الدولية

- أسطورة عداء الأغيار الأزلي لليهود .
- أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض .
- أسطورة معاداة السامية ..
- أسطورة الملايين الستة (الهولوكوست) .
- أسطورة المعجزة الإسرائيلية .
- أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر .



دار زهور المعرفة و البركة
٢ ش مكة المكرمة – أرض اللواء - الجيزة
ت ٠١١١٢١٩٩٦٦٩٦ – ٠١٢٢٩٠٦٩٢٠٨



هاشم ، محمد يونس .

أساطير الصهيونية السياسية والمعاهدات والمواثيق الدولية / محمد يونس هاشم

الجيزة : دار زهور المعرفة والبركة ، ٢٠١٤

ص ٢٢٤ ، ٢٤×١٧ سم

المحتويات : أسطورة عداء الأغيار الأزلي لليهود ، أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ، أسطورة معاداة السامية ، أسطورة الملايين الستة (الهولوكوست) ، أسطورة المعجزة الإسرائيلية ، أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر .

تدمك : ٩٧٨٩٧٧٥١٧٢٢٣٥

١- الصهيونية – التاريخ

أ- العنوان

٩٥٦/٩٠١

رقم الإيداع / ٢٨٨٥ التاريخ ١٦/١ / ٢٠١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

واهمٌ من يظن أن الصهيونية العالمية التي تتولى قيادتها أمريكا منذ مؤتمر بلتيمور ١٩٤٢ بعيدة عما يجري في وطننا العربي من حروب أهليَّة وانقسامات عرقية وهجمات إرهابية وفتن داخلية .

لقد زرعت أمريكا وحلفاؤها بذور الفتنة وعوامل الانقسام في كل بلد احتلوها ، وصدَّرت الفتن لباقي الدول عن طريق حلفائها من الأنظمة الحاكمة والجماعات المتطرفة والمنظمات العميلة وغذتها بالمال والسلاح والمخططات الإجرامية لزعزعة استقرار البلاد العربية تمهيداً لتقسيمها ؛ لتتمكن بسهولة من التدخل في شئونها وإدارة دفة الحكم نحو تحقيق مصالحها .

وما الكيان الإسرائيلي إلا مخلب القط ورأس الحربة في تنفيذ هذه المخططات التي أعدَّتها الصهيونية العالمية لتسخير المنطقة العربية لتحقيق المصالح الأمريكية / الغربية .

والمخطط قديم متجدد بدأت أول خطواته بالتمكين للكيان الصهيوني من استيطان فلسطين وإمداده بكل سلاح والمنافحة دونه بكل السبل ، وكانت البداية فلسطين ولن تكون النهاية ؛ فالمخطط الصهيوني كالحرباء متجدِّد متلوِّن لا يستغل الظروف المواتية فحسب بل تمتد أصابعه الخفية لتهيئتها .

والذي يحدث اليوم في ليبيا وفي اليمن وفي سوريا وفي تونس ومصر ولبنان وجنوب السودان ودول الخليج وما يُتوقع أن يحدث بعد، كل ذلك يذكرنا بما أعلن عنه من قبل في وثيقة " برنارد لويس " التي أقرَّها الكونجرس الأمريكي في جلسة سرية عام ١٩٨٣؛ وتمَّ إدراجها في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية .

وهذه الوثيقة تتحدث عن تقسيم العالم الإسلامي العربي إلى ٣٤ دويلة ؛ لتظل إسرائيل هي الدولة الوحيدة الموحَّدة القادرة على قيادة منطقة الشرق الأوسط الجديدة، ولقد تسترت الصهيونية العالمية في سبيل الوصول إلى هذه الغاية بشعارات برّاقة مثل : تشجيع الديمقراطية ، دعم الانتخابات الحرة في الشرق الأوسط ، تغيير النظم الديكتاتورية عن طريق التغيير السلمي ، إقامة مجتمع معرفي حديث ، إصلاح برامج التعليم ، خلق فرص اقتصادية عن طريق الشراكة من أجل نظام مالي أفضل ، إنشاء مناطق التجارة الحرَّة لتشجيع التبادل الإقليمي والمشاريع الإقليمية المشتركة ، ونشر الإنترنت وخدمات الشبكات الاجتماعية مثل : facebook ، وMySpace وtwitter ، ولايف بوون ، وهاي فايف ، وأوركت ، وgoogle .

إن نظام الشرق الأوسط الذي تروّج له الصهيونية يهدف إلى إعادة صياغة المنطقة جغرافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وحضارياً، وإقامة ترتيبات أمنية وسوق مشتركة إقليمية لخدمة الأهداف والمصالح الأمريكية والصهيونية في المنطقة.

وواهم من يصدِّق أن الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة الصهيونية العالمية تريد نشر الديمقراطية والإصلاح التعليمي والتنمية الاقتصادية فلو كانت أمريكا جادة في استقرار المنطقة وأمنها ورخائها لسارعت بتنفيذ القرارات الدولية فيما يخص الصراع العربي الإسرائيلي وإعطاء الفلسطينيين حقوقهم المشروعة ، وإقامة سلام عادل وشامل في المنطقة وإجبار إسرائيل على التوقيع على معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية وتفكيك مفاعلاتها وتدمير أسلحتها النووية .

ولكن الصهيونية العالمية لا تريد سلامًا في المنطقة وإنما تريد الخراب والدمار وإشعال الفتن والحروب وصولاً إلى الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط كلها ، ولا يمكن تنفيذ هذا المخطط في ظل تماسك البلاد العربية ووحدتها فكان لابد لإتمام هذا المخطط من تقسيم البلاد العربية على أسس عرقية وطائفية ودينية على النحو التالي :

سوريا : دويلة علوية على الساحل وتقسيم طائفى للباقى .

ليبيا : دويلة في الشمال تضم إقليمي برقة في الشرق وطرابلس في الغرب والجنوب يضم إلى دولة البربر .

أفغانستان : اقتطاع أجزاء وضمها لإيران الجديدة .

الجزائر : دولة في الشمال، والجزء الجنوبي يضم إلى دولة البربر امتداداً لدولتهم في ليبيا .

الأردن : يتمدد ليشمل جزءاً من غرب العراق وشمال شرق السعودية .

لبنان : دويلات طائفية .

موريتانيا : دولة في الجنوب وجزء من الشمال يضم إلى دولة البوليساريو امتداداً للجزء المقتطع من المغرب .

المنطقة الكردية : دولة كردية جديدة تضم شمال العراق وشمال شرق سوريا وشرق تركيا وجزءاً من إيران .

المغرب : دولة في الشمال وجزء من الجنوب يضم إلى دولة البوليساريو .

السودان : دولة السودان في الوسط، ودولة كردفان في الغرب، ودولة جنوب السودان في الجنوب، وجزء من الشمال يضم إلى دولة النوبة .

تركيا : يقتطع منها أجزاء لصالح الدولة الكردية الجديدة ويضم إليها أجزاء من شمال سوريا .

الجزيرة العربية : فاتيكان الحجاز: إمارة الحجاز والأماكن المقدسة والحرمين الشريفين .

السعودية : في الوسط والشرق .

عمان وقطر والكويت والإمارات : تختفي .

اليمن: تضم إليها أجزاء من الجزء الجنوبي للسعودية .

مصر : دولة في الشمال، ودويلة في الجنوب تمتد من جنوب الأقصر بعرض البلاد كاملاً وتتوغل لتشمل جزءاً من شمال السودان حتى حدود كردفان وتصبح دولة النوبة .

إيران : دولة بلوشية ودولة إيرانية شيعية ويقتطع منها أجزاء لصالح الدولة الشيعية في الجنوب والدولة الكردية في الشمال .

منطقة الهلال الخصيب : دولة شيعية عربية تضم جنوب العراق والجزء الشرقي من الأحساء بالسعودية والأهواز بإيران .

إسرائيل : كامل فلسطين التاريخية بما فيها غزة والضفة الغربية . (١)

فإسرائيل فقط هي التي يجب أن تظل دولة موحدة متقدمة مدعومة عسكريًا وسياسيًا من الولايات المتحدة ، لتقود هذه الدويلات الممزقة المتصارعة ، وليس هذا المخطط بالجديد إنما هو قديم يعود إلى نحو قرن ونصف ، ويمكن القول بكثير من الاطمئنان إن الإستراتيجية الغربية تجاه العالم الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر تنطلق من الإيمان بضرورة تقسيم العالم العربي والإسلامي إلى دويلات إثنية ودينية مختلفة، حتى يسهل التحكم فيه .

وقد غُرست إسرائيل في قلب هذه المنطقة لتحقيق هذا الهدف فعالم عربي يتسم بقدر ما من الترابط وبشكل من أشكال الوحدة يعني أنه سيشكل ثقلاً إستراتيجيًا واقتصاديًا وعسكريًا، ويشكل عائقاً أمام الأطماع الاستعمارية الغربية .

وكما قال شمعون بيريز : لقد جرَّب العرب قيادة مصر للمنطقة مدة نصف قرن، فليجربوا قيادة إسرائيل إذن .

وتراهن الصهيونية العالمية على الكراهية الشديدة بين الجماعات الدينية والإثنية بالمنطقة تجاه بعضها البعض مثل : السنة والشيعة ، والمسلمين والمسيحيين ، العرب والأكراد ، العلمانية والسلفية .. وأنه لذلك يجب أن يعاد تقسيم الشرق الأوسط انطلاقاً

---

(1) محمود الكردوسى" المؤامرة.. هكذا يريدون الشرق الأوسط الجديد " جريدة الوطن ١٧ / ٩ / ٢٠١٣

من تركيبته السكانية غير المتجانسة القائمة على الأديان والمذاهب والقوميات والأقليات، حتى يعود السلام إليه !

وهذا التصور للشرق الأوسط الجديد لصيق للغاية بالرؤية الصهيونية منذ بدايتها،

والسؤال المهم هل يمكن لنحو خمسة ملايين إسرائيلي، حتى مع دعم الولايات المتحدة لهم، أن ينجحوا إلى الأبد في إذلال ملايين المسلمين الذين يغلون غضبًا بسبب هذا الإذلال الذي لحق بهم .

إن هذه وصفة للصراع المستمر ولدمار إسرائيل في نهاية الأمر.. إن حرب بوش التي شنها على الدول الإسلامية ليست حربًا ضد الإرهاب، وإنما هي عباءة يغطي بها خداع المحافظين الجدد، فهي ليست حربًا ضد الإرهاب بل هي حرب ضد الدول الإسلامية التي لا تحكمها دمى أميركية . (١)

ولما كانت نهضة أي أمة ووحدتها لابد أن تقوم على إيمان عميق بالحق وأساس صحيح من الفهم فقد شرعت في كتابة سلسلة " نحو فهم صحيح لحقيقة الصراع العربي الصهيوني " واستهللت هذه السلسلة بكتاب " الدين والسياسة والنبوءة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية " منذ نحو خمس سنوات ، ولما قررت إعادة طبعه رأيت تيسيراً على القارئ العزيز أن أجعله في كتابين منفصلين : الأول يتناول أساطير الصهيونية الدينية في ضوء الديانات السماوية ، والثاني يعالج أساطير الصهيونية السياسية ، كما أني يسرت مادة الكتابين وقرَّبت مقاصدهما وزدت ما جد على موضوعهما .

وهذا الكتاب هو الكتاب الثاني ، الذي يحاول أن يكشف أساطير الصهيونية السياسة التي تروجها الصهيونية العالمية لتحقيق أهدافها في بسط نفوذها على المنطقة وسارت خطة البحث في هذا الكتاب على النحو التالي ، عرض كل أسطورة مؤيدة

---

(1) عبد الوهاب المسيري " الشرق الأوسط الجديد في التصور الأميركي الصهيوني " الجزيرة نت بتاريخ ٢/ ١١/ ٢٠٠٦ م .

بمصادرها التي تؤكدها من توراة اليهود أو كتابات علمائهم أو كتابات وتصريحات زعمائهم وساستهم أو الموقف الرسمي للدولة الصهيونية ، ثم نقوم بالرد علي كل ذلك ردًا علميًّا مؤيدًا بالأدلة الدينية والتاريخية والمنطقية والمعاهدات والمواثيق الدولية .

وجاء الكتاب في ستة فصول :

الفصل الأول : يثبت بالأدلة القاطعة : دينية ، وتاريخية أن اليهود لم يكونوا أبدًا ضحية عبر التاريخ بل أن مفسديهم هم وراء كل ما حل بهم من اضطهاد ، وأن سماتهم الخسيسة هي التي جعلتهم شعبًا من منبوذًا من كل شعوب الأرض ، وهي التي حولتهم إلى جزار يفتك بالضعفاء والأبرياء ، وأن ما حاق بهم من اضطهاد كان جزاءً وفاقًا .

الفصل الثاني : يثبت أن أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض من اختراع المستعمرين الغربيين الذين أرادوا أن يتخلصوا من اليهود ومشاكلهم الاقتصادية والقومية والسياسية ، وفي نفس الوقت يستفيدون منهم لرعاية مصالحهم في الوطن العربي فاختلقوا هذه الأسطورة العلمانية السياسية وأضفوا عليها بعدًا دينيًّا توراتيًّا . وفي سبيل تحقيق هذه الأسطورة يتم استبدال يهود الغرب بالفلسطينيين العرب ، فيُشتَّت الفلسطينيون المواطنون الأصليون من بلادهم فلسطين ، ويستوطن اليهود المواطنون الغربيون هذه البلاد ! كل هذا يتم تحت رعاية الغرب خدمة لمصالحه، وهذا هو جوهر المشروع الصهيوني .

الفصل الثالث : يناقش أسطورة الملايين الستة بالتفصيل ، ويحرر المصطلحات الثلاثة التي يستخدمها الصهاينة للتعبير عما فعله بهم النازيون وهي : الهولوكوست ، والإبادة الجماعية ، والحل النهائي ، كما يتناول الفصل تضارب عدد القتلى من اليهود على يد النازيين ، وتضارب الآراء حول طريقة قتلهم ، والأسباب الحقيقية لاختفاء الملايين الستة من اليهود ، ودوافع عداء هتلر لليهود ، وموقف العرب

والمسلمين من الإبادة النازية ليهـود أوروبا ، وهدف الصهيونية من إشاعة هذه الأسطورة والترويجي لها .

الفصل الرابع : يناقش أسطورة عداء الصهيونية للنازية والفاشية ، ويثبت مدى التطابق الفكري بين الصهيونية والنازية حول إقامة دولة يهودية في فلسطين وتهجير يهود أوربا إليها ، وإبادة المخالفين لهذا المشروع ، ويثبت أن الهدف الأساسي للصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود ولكن إنشاء دولة يهودية في فلسطين ثم يثبت بالأدلة القاطعة تعاون اليهود الصهاينة مع النازيين ، ويكشف أهم أشكال التعاون بينهما . وأهم الشخصيات الصهيونية المتعاونة مع النازيين .

الفصل الخامس : يناقش أسطورة المعجزة الإسرائيلية التي تحاول ماكينة الدعاية الصهيونية الترويج لها مستدلة بنجاح اليهود في إقامة دولة إسرائيل عصرية ديمقراطية على جزء من أرض الميعاد رغم العداء العربي الشديد لها، ونجاحهم في هزيمة كل الجيوش العربية قاطبة ذات العدد والعتاد . ويثبت أن نجاح اليهود في إقامة دولة صهيونية على الأراضي العربية ليس بمعجزة إسرائيلية إنما هو خيبة عربية ، ومؤامرة غربية . ويبيِّن الفصل نوع وحجم المساعدات الغربية المقدمة لإسرائيل .

الفصل السادس : يناقش أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر ، ويثبت بالأدلة الدينية ، والتاريخية ، والمنطقية ، واللغوية كذب هذه الأسطورة وتهافتها .

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم فقد بذلت طاقة جهدي في كشف حقيقة الأساطير الصهيونية بكل دليل ممكن ، وكشف بعض المفاهيم الخاطئة التي استقرت في عقول وأفهام كثير من العرب والمسلمين والتي ورثوها من عصور التخلف والضعف وأورثتهم الذل والهوان .

***

الفصل الأول

أسطورة عداء الأغيار الأزلي لليهود

مزاعم أسطورة عداء الأغيار لليهود

يلجأ اليهود إلى ادعاء أن اليهود هم الضحية الوحيدة في التاريخ فكل الأمم على مدى التاريخ يناصبنهم العداء ، ويحاولون استئصال جنسهم السامي ، ويسوق اليهود الأدلة التاريخية على صحة هذا الزعم متخذين من التاريخ التوراتي المجتزأ الانتقائي دليلا قاطعًا على صدق دعواهم .

وبعد سيطرة الخطاب الصهيوني على النشاط الإعلامي الغربي لم تَعُد هناك تفرقة بين ظاهرة معاداة اليهود في الدولة الرومانية وظاهرة معاداة اليهود في العصور الوسطى المسيحية. ولم يَعُد هناك تمييز بين معاداة اليهود على أساس عرْقي وبين معاداة اليهود على أساس ديني .

لقد اتخذ اليهود الصهاينة من أسطورة العداء للسامية سلاحًا يشهرونه في وجه أي إنسان يعترض على أفعالهم الإجرامية ، أو يكشف زيف ادعاءاتهم الباطلة ، أو يقول كلمة حق مخلصة ؛ فيسارعون في وصفه بأنه معاد للسامية ، وهذه الكلمة لها تأثيرها الكبير على المجتمع الغربي لأنها تذكره بعقدة الذنب التي كان سببها ما فعله هتلر النازي مع اليهود حيث أحرق منهم نحو ستة ملايين يهودي – بزعم اليهود الصهاينة – وإن كان العدد أقل من هذا بكثير حسب الدراسات التي قام بها رجاء جارودي [1] لكنها الدعاية الصهيونية التي تحاول ابتزاز العالم وخاصة ألمانيا وكسب تعاطف الشعوب الأوربية لممارساتهم الإرهابية .

---

(1) راجع الباب الرابع من هذا الكتاب " أسطورة الملايين الستة " .

الرد على أسطورة عداء الأغيار لليهود

إن أسطورة عداء الأغيار (غير اليهود) لليهود من الأساطير الصهيونية التي يحاول اليهود الصهاينة أن يستدروا بها عطف العالم خاصة الأوربيين فهم يزعمون "أن اليهود هم الضحية الوحيدة على مستوى التاريخ" مستغلين ما يحس بها الأوربيون من الشعور بالذنب تجاه اليهود بعد محرقة هتلر النازي وللأسف الشديد هناك من الأوربيين من يصدق بهذه المزاعم الكاذبة ويتعاطف مع اليهود في صراعهم مع العرب ويمدهم بكل سلاح للدفاع عن أنفسهم ضد جمال عبد الناصر النازي الجديد الذي يريد أن يرمي بهم في البحر !! أو ضد صدام حسين الدكتاتور العنيد الذي يريد أن يحرق نصف إسرائيل !! أو ضد أسامة بن لادن الإرهابي الكبير الذي يريد أن يبيد غير المسلمين . أو حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي ومن وراءهم من محور الشر (إيران وسوريا) الذين يوجهون صورايخهم ضد المدن الإسرائيلية الآمنة ويخطفون الجنود الإسرائيليين المسالمين !!

والحقيقة أن اليهود ليسوا الضحية الوحيدة على مدى التاريخ فهناك أمم شتى تعرضت للسبي والتهجير والتعذيب والاستعباد ، لكن اليهود لا يذكرون إلا عذاباتهم هم .

فحينما يقوم البابليون بسبي وتهجير كثير من الأقوام السامية في فلسطين والشام لا يُذكَر سوى العبرانيين، وحينما يبيد النازيون الملايين لا يُذكَر أيٌّ من السلاف أو الغجر أو المعوقين أو غيرهم ممن تمت إبادتهم ، وذلك حتى تظل الأضواء مسلَّطة على اليهود وحدهم ، ويظل اليهود هم الضحية الوحيدة والأغيار هم الذنب الدائم .. وبناءً على ذلك يصبح احتلال فلسطين وطرد سكانها منها مجرد تعويض عما حاق باليهود من أذى على يد النازيين ! " (١)

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ " التأريخ من خلال الكوارث " بيت العرب للتوثيق العصري والنظم .

لم يكن اليهود وحدهم من تعرض لاعتداء الأغيار عليهم ففي عصر الشهداء تعرض المسيحيون للتعذيب والتنكيل والإبادة من الرومان بسبب تمسكهم بدينهم ورفضهم لوثنية الرومان .

فكل وثني يعرف أحد المسيحيين ويرشد عنه ، كان يؤتى به علي عَجَل ويدعون الواحد باسمه يتقدم إلي هيكل الأوثان فيطلب منه تقديم الذبيحة الوثنية ، وكان عقاب من يرفض تقديم الذبيحة للصنم أن يكون هو نفسه ذبيحة له ، بعد أن يجتهدوا في إقناعه بذلك بكل وسائل التخويف والإرهاب . (١)

وفي الأندلس انتهى وجود ملايين من المسلمين بسبب محاكم التفتيش .

تقول الدكتورة زجريد هونكه :

" **في** ٢ يناير ١٤٩٢ م رفع الكاردينال (دبيدر) الصليب على الحمراء، القلعة الملكية للأسرة الناصرية، فكان إعلاناً بانتهاء حكم المسلمين على أسبانيا . وبانتهاء هذا الحكم ضاعت تلك الحضارة العظيمة التي بسطت سلطانها على أوربا طوال العصور الوسطى، وقد احترمت المسيحية المنتصرة اتفاقاتها مع المسلمين لفترة وجيزة، ثم باشرت عملية القضاء على المسلمين وحضارتهم وثقافتهم .

لقد حُرِّم الإسلام على المسلمين، وفرض عليهم تركه، كما حُرِّم عليهم استخدام اللغة العربية، والأسماء العربية، وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرق حيًّا بعد أن يعذّب أشد العذاب .

وهكذا انتهى وجود الملايين من المسلمين في الأندلس فلم يبق في أسبانيامسلم واحد يُظهر دينه (2)

(١) الشماس منسي القمص " تاريخ الكنيسة القبطية " ص ١١٠
(2) د. زجريد هونكه " القومية" ص ١٧٤

ويعترف أحد اليهود " روبيك آتوف " بهذه السياسة الإسرائيلية الوحشية تجاه العرب فيقول : " إن الغزو الصهيوني يستمد الوحي والقوة الدافعة لتصرفاته من أحلام وتطلعات تلك الأرواح التي تعرضت للتعذيب في الجيتوات الأوروبية ، إذ يبدو أن السنوات الطويلة من الإذلال والاضطهاد اللذين عاناهما اليهود في أوروبا والذي بلغ ذروته في عمليات الإبادة الهتلرية ، قد تركت شرخًا عميقًا في البنية الروحية لليهود الأوروبيين الذين يقودون إسرائيل اليوم ، وهكذا فإن أحقاد مئات الأعوام تجد اليوم متنفسًا لها من خلال الوحشية التي يُعَامَل بها العرب على نحو لم يسبق له مثيل قط . ولكن أي قدر ساخر قاسٍ هذا الذي يجعل اليوم العرب الذين كانت أراضيهم ملاذا لليهود الفارين إليها من الفظائع الرهيبة التي كانوا يتعرضون لها في أوروبا خلال القرون الوسطى ، ضحايا لاضطهاد بهذا المستوى والقسوة على أيدي اليهود بالذات " (١)

وقد وصلت تأثيرات النكبة النازية على السيكولوجية القومية في إسرائيل إلى ذروتها في الأسابيع التي سبقت حرب يونيو ١٩٦٧ . لقد استولى الفزع على الإسرائيليين بما فيهم الكثير من الشباب ، واعتقد الكثيرون أن المصريين الذين كانت نداءاتهم متعطشة للدماء ، وتردد كل ساعة في الراديو يدبرون لهم نكبة يهودية جديدة إن المؤسسة الإسرائيلية تنمي حاسة اليهودي باستمرار لتحقيق أكثر من هدف ، وأهم هذه الأهداف هو دفع الإسرائيلي للقتال بشراسة تحت ستار " الدفاع عن النفس من خطر الإبادة " ، وإيهام العالم الخارجي بمدى الخشية الإسرائيلية من خطر الإبادة العربية . وقد شهد الكثيرون من المراقبين بقدرة هذه المشاعر في تلك الفترة ، حيث تنفجر فيه عقدة المادة الانتحارية وتحل كل المشاكل الشخصية ، وتتآلف الأحزاب المتعارضة ، وتنشأ حكومة قومية ويبحثون عن بطل قومي . (٢)

---

(١) آتوف . روبيك : « العرض المزدوج للباتريوت » صحيفة على همشمار ٢٩ / ١٠ / ١٩٨٢ نقلا عن كتاب " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " دار الهلال ص ٢٣٦، ٢٣٧ .

(٢) د. رشاد الشامي " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " مرجع سابق ص ٢٣٧

والعجيب في الأمر أن اليهود يستخدمون مع العرب سلاح البطش والإرهاب ويصبرحون للعالم بأنهم مهددون بالإبادة والحرق .

وكانت النتيجة أن إسرائيل احتلت أراضينا واستمر وصفهم بالضحية أما نحن فضاعت أراضينا واتهمنا نحن بالبربرية والنازية !!

والتساؤل هنا الذي يطرح نفسه لماذا اليهود على مدى التاريخ هم وحدهم – على حد اعتقادهم – المضطهدون من كل البشر على اختلاف أزمانهم وجنسياتهم ومعتقداتهم ؟!!

والحقيقة التي يصل إليها دارس التاريخ الإنساني العام أو توراة اليهود نفسها يتضح له بجلاء أن اليهود لم يكونوا أبدًا الضحية بل هم دائمًا أس البلاء في كل بلد حلوا به بما يتميز به أكثرهم من خيانة للعهود ، وإثارة الفتن والحروب ، وما كانت النوازل التي حلت بهم إلا جزاء وفاقا .

الأسباب الحقيقية وراء اضطهاد اليهود

من العجيب حقًا أن يكون " يهوه " إله بني إسرائيل وراء كل اضطهاد حاق ببني إسرائيل أو اليهود ؛ فهو الذي قرر إفناءهم بسبب كفرهم به واتخاذهم العجل إلهًا من دونه .

" ٧فَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى: «قُمْ وَانْزِلْ فَإِنَّ الشَّعْبَ الَّذِي قَدْ أَخْرَجْتَهُ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، قَدْ فَسَدَ. ٨إِذِ انْحَرَفُوا سَرِيعاً عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَمَرْتُهُمْ بِهِ، فَصَاغُوا لَهُمْ عِجْلاً وَعَبَدُوهُ وَذَبَحُوا لَهُ الذَّبَائِحَ هَاتِفِينَ: هَذَا هُوَ إِلهُكَ يَاإِسْرَائِيلُ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ». ٩وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ، وَإِذَا بِهِ شَعْبٌ عَنِيدٌ مُتَصَلِّبُ الْقَلْبِ. ١٠وَالآنَ دَعْنِي وَغَضَبِي الْمُحْتَدِمَ فَأُفْنِيَهُمْ، ثُمَّ أَجْعَلَكَ أَنْتَ شَعْباً عَظِيماً». "(الخروج :٣٢)

هذا هو رأي " يهوه في بني إسرائيل " شعب عنيد مُتَصَلِّب القلب " وسيظل هذا دأب كثير ممن ينتسب لهذا الدين . ويأخذ موسى في الابتهال إلى الرب ليعفو عن

شعبه العنيد حتى لا يَشْمت به المصريون " فتراءف الرب ولم يوقع بشعبه العقاب الذي توعد به " (الخروج : ٣٢)

ولكن موسى ما إن اقترب من المخيم " ١٩ وَشَاهَدَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ حَتَّى احْتَدَمَ غَضَبُهُ وَأَلْقَى بِاللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدِهِ وَكَسَّرَهُمَا عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ. ٢٠ثُمَّ أَخَذَ العِجْلَ الذَّهَبِيَّ وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِماً، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَأَرْغَمَهُمْ عَلَى الشُّرْبِ مِنْهُ." (الخروج : ٣٢)

ولم يكتف موسى بحرق العجل الذهبي وطحنه وتذريته في الماء وإجبار من عبده من بني إسرائيل على الشرب منه بل قرر تمحيصهم ومعرفة من يتبع الرب ممن تولى عنه واتبع هواه فوقف " في باب المخيم وصاح " كل من يتبع الرب فليقبل إليَّ هنا " فاجتمع حوله اللاويون . فهتف بهم " هذا ما يعلنه الرب إله بني إسرائيل : ليتقلد كل واحد سيفه ، وجولوا في المخيم ذهابًا وإيابًا من مدخل إلى مدخل ، واقتلوا كل داعر سواء أكان أخًا أو صاحبًا أم قريبًا " . فأطاع اللاويون أمر موسى فقُتِل من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل " (الخروج : ٣٢)

والسؤال هنا من الضحية ومن الجزار في هذه الحادثة التي تعد أول حادثة يُقتَل فيها هذا الخلق الكثير من بني إسرائيل ؟ هل يعد الكافرون بالله العابدون للعجل هم الضحية ؟! ويهوه هو الجزار ؟!!

إن المتتبع لكل عقاب سينزل ببني إسرائيل بعد ذلك يجده يسير على هذا المنوال فساد من بني إسرائيل ، وعصيان لله يكون جزاؤه عقاب من الرب ينزله بهم ليس بأيديهم كما حدث في هذه المرة إنما بأيدي أعدائهم .

فتوراة اليهود توضح بجلاء المسئول عن كل بلاء حاق ببني إسرائيل ، إنه كفرهم وفسادهم ، وما العقاب الذي ينزله بهم الله إلا جزاء وفاقاً .

عقوبات العصيان في التوراة

فمن بين بنود الميثاق المبرم بين " يهوه " وشعبه عقوبات العصيان التي يقول الرب فيها لبني إسرائيل :

" إن عصيتموني ولم تعملوا بكل هذه الوصايا ، وإن تنكرتم لفرائضي وكرهتم أحكامي ولم تعملوا بكل وصاياي ، بل نكثتم ميثاقي ، فإني أبتليكم بالرعب المفاجئ وداء السل والحُمَّى التي تُفني العينين وتتلف النفس ، وتزرعون على غير طائل ، وينهب أعداؤكم زرعكم . وأنقلب عليكم فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتحكم بكم مبغضوكم وتهربون من غير طارد لكم .

وإن أمعنتم في عصيانكم أزيد من عقابكم سبع مرات وفقاً لخطاياكم . أُذِلُ غطرستكم ، وأجعل سماءكم كالحديد لا تمطر وأرضكم كالنحاس لا تُغِلُّ فيذهب جهدكم باطلا ... وإن لم تتعظوا ، وتماديتم في عصيانكم أنقلب عليكم وأزيد في بلائكم سبع مرات وفقا لخطاياكم . أسلط عليكم سيف العدو . فينتقم منكم لنقضكم ميثاقي .. وأجعل الأرض قفرا فيرتاع من وحشتها أعداؤكم الساكنون فيها ، وأشتتكم بين الشعوب ، وأجرد عليكم سيف ، وألاحقكم ، وأحول أرضكم إلى قفر ومدنكم إلى خرائب . عندئذ تستوفي الأرض راحة سبتها طوال سنين وحشتها وأنتم مشتتون في ديار أعدائكم . حينئذ ترتاح الأرض وتستوفي سنين سُبُوتِها فتُعَوِّض في أيام وحشتها عن راحتها التي لم تنعم بها في سنوات سُبُوتكم عندما كنتم تقيمون عليها . أما الباقون منكم في أرض أعدائكم ، فإني ألقي الرعب في قلوبهم فيهربون من حفيف ورقة تسوقها الريح ، وكأنهم يهربون من السيف . ويسقطون وليس ثمة مطارد لهم . ويعثر بعضهم ببعض كمن يفر من أمام سيف من غير مطارد لهم ، ولا تثبتون أمام أعدائكم فتهلكون بين الشعوب وتبتلعكم أرض أعدائكم . أما بقيتكم فتفنى بذنوبها وذنوب آبائها في أرض أعدائكم كما فني آباؤهم من قبلهم " (اللاويين : ٢٦)

كل هذه البلايا من خراب لبيت بني إسرائيل ، وأوبئة ، وقتل ، وشتات ، وقهر وذل من أعدائهم جزاء المعصية والفساد ونقض الميثاق مع الله فإن تابوا وأصلحوا فإن " يهوه " يجدد لهم العهد .

" إن اعترفوا بخطاياهم وخطايا آبائهم وبخيانتهم لي وعداوتهم ، التي جعلتني انقلب عليهم وأنفيهم إلى أرض أعدائهم وإن خضعت قلوبهم النجسة بعد أن استوفوا عقاب خطاياهم فإني أذكر ميثاقي مع إسحق وميثاقي مع إبراهيم "(اللاويين : ٢٦)

وبناء على هذا الميثاق ، وأحداث التاريخ التوراتي ، بل والتاريخ الإنساني العام ، فإن كل اضطهاد نزل ببني إسرائيل ، أو بالجماعات اليهودية في كل زمان ومكان كان بسبب فسادهم ونقضهم للعهد .

وإليك ثبتًا تاريخيًا بأهم ما تعرضوا له من نوازل ، واضطهاد ، وأسباب هذا الاضطهاد في التاريخ الإنساني العام ثم في نصوص الأديان السماوية : التوراة ، الإنجيل ، القرآن .

أولاً : أسباب اضطهاد اليهود في مصر القديمة

ما كان اضطهادهم في مصر القديمة، ثم طردهم منها إلا بسبب خيانتهم للمصريين القدماء والتحالف مع أعدائهم .

فقد عاش بنو إسرائيل في مصر عيشة كريمة ، في أفضل مكان بمصر وامتلكوا أجود أرض فيها وكان ذلك زمن الهكسوس .

" ٢٧وَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَاقْتَنَوْا فِيهَا أَمْلاَكاً وَأَثْمَرُوا وَتَكَاثَرُوا. " (التكوين : ٤٧)

أقام بنو إسرائيل في مصر في عهد الهكسوس نحو مائة عام في كنف يوسف في أمن وسلام وفي نعمة وإحسان . واستمرت الحياة هنيئة لبني إسرائيل في مصر حتى بعد موت يوسف وجميع أخوته لسنين طويلة .

ولكن بعد أن تمكن المصريون من طرد الهكسوس الذين عاش بنو إسرائيل في كنفهم وأعانوهم على حكم مصر وتسخير المصريين لهم كما جاء في التوراة . اعتبر المصريون أن بني إسرائيل هم الذين استعبدوهم لصالح الحاكم الأجنبي لذا قاموا باضطهاد واستعباد بني إسرائيل الذين عاونوا الهكسوس أعداءهم .

" وَمَا لَبِثَ أَنْ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. ٩فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هَا بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ مِنَّا وَأَعْظَمُ قُوَّةً. ١٠فَلْنَتَآمَرْ عَلَيْهِمْ لِكَيْلاَ يَتَكَاثَرُوا وَيَنْضَمُّوا إِلَى أَعْدَائِنَا إِذَا نَشَبَ قِتَالٌ وَيُحَارِبُونَا ثُمَّ يَخْرُجُوا مِنَ الأَرْضِ». ١١فَعَهِدُوا بِهِمْ إِلَى مُشْرِفِينَ عُتَاةٍ لِيُسَخِّرُوهُمْ بِالأَعْمَالِ الشَّاقَةِ. فَبَنَوْا مَدِينَتَيْ فِيثُومَ وَرَعَمْسِيسَ لِتَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ. ١٢وَلَكِنْ كُلَّمَا زَادُوا مِنْ إِذْلاَلِهِمْ، ازْدَادَ تَكَاثُرُهُمْ وَنُمُوُّهُمْ، فَتَخَوَّفُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٣فَتَفَاقَمَ عُنْفُ اسْتِعْبَادِ الْمِصْرِيِّينَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. ١٤وَأَتْعَسُوا حَيَاتَهُمْ بِالأَعْمَالِ الشَّاقَةِ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ كَادِحِينَ فِي الْحُقُولِ. وَسَخَّرَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ بِعُنْفٍ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِمِ الشَّاقَةِ." (الخروج : ١)

ولم يكن دافع فرعون مصر لاضطهاد بني إسرائيل مساعدتهم الهكسوس على استعباد المصريين فحسب بل قيامهم بأعمال تعد خيانة عظمى للوطن .

فقد كانوا يهربون أولادهم من التجنيد أو أعمال الحرب وانتهزوا فرصة انشغال فرعون وجيشه في محاربة الليبيين على الحدود الغربية فقاموا بتهريب الغلال والماشية والذهب إلى سوريا والبلاد الآسيوية وكانوا يشرفون على مخازن التموين وصوامع الغلال في بر رعمسيس ومنف مما تسبب في مجاعة في البلاد وتوقف إمداد الجيوش المحاربة بالتموين . فأوقف فرعون معاركه وعاد إلى العاصمة حيث أعد خطة للقضاء عليهم . (١)

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية ص ٢٥١. الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وتؤكد اللوحة المسماة بـ " لوحة إسرائيل " والتي جاء فيها أن من أعمال الفرعون " مرنبتاح " العظيمة هي انتصاره على الليبيين وقضائه على بني إسرائيل وتطهير مصر منهم . " وإسرائيل خُربت وليس بها بذر " (١)

وظل هذا دأب أكثر اليهود في أي مكان حلُّوا فيه فإنهم كانوا يعملون على نقض العهود ، وإشعال الحروب ؛ والتحالف مع أعداء الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها مما جعلهم شعبا منبوذا مستحقا للاضطهاد .

ثانياً : أسباب السبي الأشوري

هاجم (شلمانصر الخامس) ملك أشور مملكة إسرائيل واستطاع أن يخضعها لحكمه ، وتعاهد مع هوشع ملك إسرائيل على دفع جزية سنوية نظير إبقائه في الحكم وقد قبل هوشع هذا العهد ، لكن سرعان ما خان هوشع العهد مع ملك أشور واستغاث بملك مصر سرا وأثاره على ملك أشور وما لبث أن اكتشف ملك أشور خيانة هوشع، الذي أرسل وفدًا يستغيث بـ " سَوَا " ملك مصر ، ولم يؤد جزية لملك أشور كعهده في كل سنة " فحاصر شلمانصر الخامس السامرة ، ثم استولى عليها وخلفه سرجون الثاني فاختفت المملكة الشمالية إلى الأبد بالاستيلاء عليها وتم ترحيل زعمائها ورؤوس قبائلها إلى آشور وميديا (شرقي العراق) وإحلال آراميين (من سوريا) وبابليين محلهم بحسب المدونات الآشورية (٧٢١ ق.م). وهذا ما يُسمَّى «السبي الآشوري» الذي اختفت على أثره القبائل اليهودية العشر " المفقودة " .

استمرت يهودا في دفع الجزية. وفي نهاية الأمر، اندلعت ثورة فيها بتأييد من مصر. وقد كان ردّ سناخريب حاسماً، فأخمد الثورة، ولكنه سمح ليهودا أن تستمر كدولة تابعة. وحينما عاود اليهود الكرَّة، حاصر سناخريب القدس ولكنها لم تسقط إذ اضطر إلى فك الحصار بسبب الوباء على أن يدفع اليهود الجزية " (٢)

---

(١) سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " الجزء السابع مرجع سابق ص ١٠١

(٢) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ٣ " الآشوريين " . مرجع سابق .

ثالثاً : أسباب السبي البابلي

وحدث نفس الشيء قبل السبي البابلي . تَمَرُّد من اليهود ، وإشعال للثورة ، وإيقاد للحرب وتحالف مع كل القوى المتصارعة مما جعلهم أعداء للجميع فهم يعاهدون البابليين ، وفي نفس الوقت يعاهدون المصريين أعداء البابليين ، وفي الوقت ذاته يعاهدون الله ، فهم يريدون أن يمسكوا بجميع الخيوط حتى وإن كانت متناقضة فحبل من المصريين ، وحبل من البابليين أعدائهم ، وحبل من الله عدو لجميع الكافرين ، وهم أعداء للجميع .

فعندما كانت العلاقات بين الكلدانيين والمصريين متوترة ، ومرشحة للاصطدام ، قدر اليهود أن النصر سيكون حليف المصريين ، لذلك سارعوا للتحالف معهم ، وخالفهم في ذلك النبي " أرميا الكاهن " فقد كان اعتقاده أن النصر سيكون من نصيب نبوختنصر البابلي وجيشه .

ولما انتصر جيش نبوختنصر ، اقتحم نبوختنصر القدس وساق اليهود أسرى إلى بابل ، وقدّر للنبي " أرميا " موقفه فترك له الحرية في البقاء أو الهجرة . (١)

وكان نبوختنصر قد قاد حملتين ضد المملكة الجنوبية : الأولى في عام ٥٩٧ ق.م لإخماد التمرد فيها، ونفى ثمانية آلاف يهودي من الأرستقراطيين. وبعد بضع سنين، عندما أعاد العبرانيون الكرَّة بإيعاز من مصر، قاد نبوختنصر حملة أخرى عام ٥٨٦ ق.م. ورغم أن المصريين أرسلوا المساعدات للعبرانيين، فقد أسقط القدس ودمَّر الهيكل وأسر عدداً من اليهود ساقهم إلى بابل، وعيَّن جداليا حاكماً لفلسطين. " (٢)

رابعاً : أسباب السبي الروماني

والشيء نفسه حدث قبل الغزو الروماني فقد عاهد اليهود الرومان ثم عاهدوا أعداءهم من المصريين والفرس وكانت النتيجة أن دمر الرومان عليهم وهدموا لهم

---

(١) نعمان عبد الرزاق السامرائي " اليهود والتحالف مع الأقوى " نقلا عن الشبكة الإسلامية .

(٢) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ / ج ١ " : نبوختنصر" مرجع سابق .

الهيكل " فقد أرسل يهودا المكابي مبعوثاً للدولة الرومانية ليعقد حلفاً مع القوة الجديدة. وقد قبل الرومان... وقد قوّى اليهود علاقتهم مع حكام الفرس ، ومع البطالمة في مصر، حتى أصبحت يهودا قوة عسكرية لا بأس بها في القرن الأول قبل الميلاد. ولكن القوة الرومانية الصاعدة كانت آخذة في الاقتراب، كما أن الخلافات الداخلية كانت تعتمل داخل الدولة اليهودية. ولذا، فقد سقطت الدولة بسهولة في يد الرومان (٦٥ ق.م) وتحولت إلى الدولة الهيرودية .

وقد تعاظمت قوة الحزب الشعبي بين اليهود أثناء حكم الأسرة الهيرودية، وكان أعضاء هذا الحزب لا يعرفون موازين القوى العظمى. ولذا فقد تمردوا ضد الهيمنة الرومانية، فكانت النتيجة سلسلة الهزائم والانكسارات في ماسادا وغيرها، وهي الهزائم التي انتهت بهدم الهيكل ثم القدس نفسها وبتحريم اليهودية في فلسطين." (١)

ويكشف لنا التاريخ أن التجار اليهود وصرافي النقود لم يقتصروا في أعمالهم غير المشروعة علي تجارة العبيد، بل كانوا ينظمون ويحتكرون التجارات الفاسدة، من مخدرات ودعارة وتهريب المسكرات والعطور والجواهر والبضائع الثمينة الأخرى.. وتأمينا لمصالحهم وحماية لعملياتهم غير المشروعة، كانوا يلجئون إلي الرشوة وشراء ذمم المسؤولين الكبار.. وهكذا استطاعوا بواسطة المخدرات والمسكرات والنساء تقويض أخلاق الشعب الروماني .. ويسجل التاريخ أن يوستنيانوس، وهو إمبراطور روما القوي، لم يكن بالقوة الكافية لوضع حد لتلك النشاطات .

وقد بحث المؤرخ البريطاني إدوارد جيبون (١٧٣٧ – ١٧٩٤) في التأثيرات المفسدة للتجار والمرابين اليهود، ووصفهم بأنه كانت لهم يد طولي في " انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية ".. وكان هذا هو عنوان كتابه.. وتحدث جيبون بإسهاب عن الدور الذي لعبته بوبابا زوجة نيترون، في التمهيد لتلك الظروف التي

(١) نفسه م٤ / ج١ " مصر والإمبراطورية الحيثية "

جعلت الشعب الروماني ينظر كالمخمور بدون مبالاة إلي انهياره السريع وتحطمه.. وبسقوط الإمبراطورية الرومانية تأسست السيطرة اليهودية، ودخلت أوروبا في "العصور المظلمة".

وتقول الموسوعة البريطانية حول هذا الموضوع ما يلي : " كان لدي التجار والمرابين اليهود ميل شديد للتخصص بالتجارة، وكان مما ساعدهم علي الامتياز في ذلك الحقل، مهارتهم وانتشارهم في كل مكان.. وكان معظم تجارة أوروبا في العصور المظلمة في أيديهم، وخاصة تجارة الرقيق " .

ونستطيع أن نلمس آثار تلك السيطرة اليهودية المطلقة، حين نرى مثلا قِطع عملة قديمة بولونية وهنغارية تحمل نقوشا يهودية .. ويكشف لنا إلحاح اليهود بهذه الصورة للسيطرة علي النقد وجعل إصدار العملة في أيديهم، أن المرابين اليهود اعتنقوا منذ تلك الأزمنة الشعار الذي اشتهر به بعد ذلك آمشل ماير باورر (١٧٤٣ – ١٨١٢ م) وهو: " دعنا نَتَوَلَّ إصدار النقد في أمة من الأمم والأشراف عليه، ولا يهمنا بعد ذلك من الذي يسنّ القوانين لهذه الأمة " !!

وقد طرح آمشل ماير باورر هذا الشعار علي شركائه، ليشرح لهم جوهر الدافع الذي حدا بالمرابين اليهود السعي للحصول علي السيطرة علي مصرف إنجلترا عام ١٦٩٤. [1]

وكانت هذه الجرائم اليهودية في حق الأوربيين سببًا في اضطهاد الأوربيين لهم طوال العصور الوسطى حتى عصر النهضة .

خامساً : أسباب عداء سيدنا محمد ﷺ لليهود :

أما عن علاقتهم بخاتم الأنبياء وإمام المرسلين فكانت أنكى وأشدَّ ؛ فعلى الرغم من المعاملة الراقية التي عاملهم الرسول بها إلا أنهم قابلوا وفاءه ﷺ لذمتهم بالغدر ، كما

---

(1) وليم جاي كار " أحجار على رقعة الشطرنج " الفصل الثالث " اليهود " .

قابلوا إحسانه ﷺ بالإساءة فقد أرادوا قتل النبي ﷺ بإلقاء حجر عليه وأنجاه الله تعالى من كيدهم ، وكرر اليهود محاولة قتل النبي ﷺ مرة ثانية لكن هذه المرة ليس بإلقاء حجر عليه إنما بالسم ونجا النبي من الموت بالسم وإن ترك السم أثرًا في جسده الشريف إلى أن توفاه الله تعالى .

وقد نقض اليهود عهد رسول الله ، وعاهدوا الأحزاب سرًا كعادتهم في معاهدة الأطراف المتصارعة معا فلما كفى الله تعالى المسلمين شر الأحزاب عاقبهم النبي على خيانتهم فقتل المحاربين المعتدين وأجلى الباقين عن المدينة .

والدولة الصهيونية تعترف بحسن معاملة المسلمين لليهود إبان الفتح الإسلامي لفلسطين " جاء الفتح الإسلامي للبلاد بعد أربع سنوات من وفاة النبي محمد ﷺ ٦٣٢. واستمر الحكم العربي للبلاد أكثر من أربعة قرون، وتوالى على الحكم الخلفاء الراشدون ثم خلفاء بني أمية من دمشق وخلفاء الدولة العباسية من بغداد ثم من مصر.

وفي البداية، تجدد التوطن اليهودي في القدس، ومنحت الطائفة اليهودية المكانة التي حظي بها أهل الذمة تحت الحكم الإسلامي، وهي المكانة التي تضمن سلامتهم وأمنهم وممتلكاتهم وحرية العبادة مقابل دفع الجزية ومع ذلك فإن القيود التي فرضت بعد ذلك على غير المسلمين (٧١٧م) أثرت على إدارة اليهود لشؤونهم العامة كما أثرت على ممارستهم لشعائرهم الدينية وعلى مكانتهم الشرعية. (١)

وسوء حال اليهود الاقتصادية والدينية في العصر العباسي الذي تدعيه الدولة الصهيونية هو محض افتراء وحسبنا للرد عليه هو ذكر ما كتبه المؤرخون الأكاديميون اليهود عن حال اليهود في العصر العباسي : " لقد مكَّنت وحدة الإمبراطورية العباسية تسهيل نقل الأشخاص والبضائع ورأس المال والأفكار من

([1]) نقلاً عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الإنترنت .

المركز اليهودي في بغداد إلى معظم العالم اليهودي، وبالفعل فإن حوالي ٩٠ % من يهود العالم آنذاك كانوا يعيشون في العالم الإسلامي.

وكان العالم اليهودي حرًا في إدارة شئونه الداخلية بتدخل قليل من السلطات الإسلامية ما دام اليهود يدفعون ضرائبهم ويعترفون بسيادة الإسلام من خلال بعض التصرفات بعضها مذل شيئا ما. لا يهتم أسيادهم المسلمون كثيرا بما يقوم به اليهود ما داموا يحفظون السلام ويدفعون ضرائبهم (الحسبة أو الجزية) وما داموا ملتزمين بأماكنهم .

وصلت الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى فترتها الأكثر إنتاجًا بين السنوات٩٠٠ و١٢٠٠، وتبعتها الحضارة اليهودية في العالم الإسلامي على المنوال نفسه .تطورت في أثناء هذه الفترة بعض أكبر أعمال الفلسفة اليهودية، والنحو، والقانون وفقه اللغة، وصناعة المعاجم مماثلا للتقدم الكبير لهذه الحقول في العالم الإسلامي. ووجد الشعر اليهودي بالعبرية نهضته أيضا في هذه الفترة وتشبه أوزانه وأسلوبه ومحتواه مثيلاتها في الشعر الإسلامي العربي وفي هذه الفترة أيضا بدأ العراق يفقد السيطرة السياسية للإمبراطورية . [1]

ومع كل ما تمتع به اليهود في العصر العباسي من ازدهار اقتصادي واستقرار اجتماعي وتقدم في شتى المعارف : أدبيَّة ، وعلميَّة ، وفلسفيَّة لم يحمدوا للخلافة العباسية إحسانها إليهم فتحالفوا مع هولاكو وقدَّموا له المال والمشورة وتجسَّسوا له للقضاء على الخلافة العباسية والاستيلاء على أملاكها .

وحين سطع نجم هولاكو في المشرق كاتبه يهود بغداد وحالفوه وقدموا له المال والمشورة، قبل أن يصل إلى بغداد، فلما دخلها وقتل الخليفة ومليونين من المسلمين سَلِمَ اليهود ، فلم يُقْتَل منهم أحد ، كما سلمت أموالهم من النهب والسلب . [2]

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " ترجمة عبد الغني بن إبراهيم من منشورات: معهد هاريت و روبرت للتفاهم الدولي بين الأديان اللجنة اليهودية الأمريكية نقلاً عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية ص ٥٣

([2]) نعمان عبد الرزاق السامرائي " اليهود والتحالف مع الأقوى " .

سادساً : ملاحقة اليهود في أوروبا

ولنفس الأسباب التي اضطهد بسببها اليهود في الإمبراطورية الرومانية ، وفي صدر الإسلام اضطهد اليهود في أوروبا ففي عام ١٢٥٣ عمدت الحكومة الفرنسية إلي حل جذريّ لمشكلة اليهود، فطردتهم جميعًا لمخالفتهم القوانين، فاتجه قسم كبير من المطرودين إلي إنجلترا .. وحتى عام ١٢٥٥ كان اليهود قد تمكنوا من السيطرة علي عدد من كبار الرجال السلك الكنسي الإنجليزيّ، وعلي الكثير من النبلاء والسادة الإقطاعيين.. وكان هؤلاء المرابون ومن يسمونهم حكماء اليهود ينتمون إلي النورانيين.. وقد تم اكتشاف ذلك خلال التحقيق الذي أمر الملك هنري الثالث بإجرائه، في فضائح الاحتيال والرشوة والجرائم التي فاحت روائحها، بعد مقتل سان هيوأوف لينكولن عام ١٢٥٥.. وقد أثبتت التحقيق أن ثمانية عشر يهوديًا كانوا هم الذين ينظمون تلك العمليات فقدموا إلى المحاكمة، وحكم عليهم بالإعدام .

مات الملك هنري عام ١٢٧٢، وخلفه علي عرش إنجلترا الملك إدوار الأول، الذي أصدر أمرا حرم بموجبة علي اليهود ممارسة الربا .. ثم استصدر من البرلمان عام ١٢٧٥ قوانين خاصة سميت " الأنظمة الخاصة باليهود ".. وكان الهدف منها تقليص سيطرة المرابين اليهود علي كافة مدينيهم، ليس فقط من المسيحيين بل حتى من الفقراء اليهود أنفسهم .. ولا يمكن وصمم هذه الأنظمة بأنها معادية للسامية لأنها حمت فيمن حمت اليهود المتقيدين بالقوانين .

وقد ظن المرابون اليهود أنهم في هذه المرة أيضًا، سيتمكنون من تحدي أوامر الملك.. وكان خطؤهم كبيرًا، إذ أن الملك عمد إلي إصدار قانون بطرد جميع اليهود من إنجلترا.. وكان ذلك بدء المرحلة التي يسميها المؤرخون "الإجلاء الأكبر".

بعد أن خطا الملك إدوار الخطوة الأولى، سارع ملوك ورؤساء أوروبا إلي الإقتداء به .

عام ١٣٠٦ طردت فرنسا اليهود، وتبعتها سكسونيا عام ١٣٤٨، وهنغاريا عام ١٣٦٠، وبلجيكا عام ١٣٧٠، وسلوفاكيا عام ١٣٨٠: والنمسا عام ١٤٣٠، والأراضي المنخفضة (هولندا) عام ١٤٤٤، وأخيرًا أسبانيا عام ١٤٩٢.

ويتخذ طرد اليهود من أسبانيا أهمية خاصة ؛ ففي القرن الرابع عشر تمكن المرابون اليهود للمرة الأولى من جعل الحكومة الإسبانية تمنحهم حقّ جباية الضرائب من الشعب مباشرة، كضمان للقروض التي كانوا يقدّمونها للحكومة.. واستغل المرابون اليهود هذا الوضع أبشع استغلال، وأبدوا من القسوة والوحشية في طلب "أقة اللحم" من الأهالي ما ملأ أفئدتهم بالحقد والغضب، بحيث أضحت شرارة واحدة كافية لتفجير النقمة.. فكانت هذه الشرارة في الخطابات اللاهية التي ألقاها فرناندو مارتسنسز، والتي هبّ علي أثرها الشعب لارتكاب واحدة من أكثر المجازر المعروفة دموية .. وهذا أحد الأمثلة التي دفع فيها اليهود الأبرياء جزاء سياسة زعمائهم المجرمة بحق الإنسانية .

وقد طرد اليهود من ليتوانيا عام ١٤٩٥، ومن البرتغال عام ١٤٩٨، ومن إيطاليا عام ١٥٤٠، ومن بافاريا عام ١٥٥١.

وهكذا يمكن القول بأن العصور المظلمة لدي اليهود بدأت مع بشائر عصر النهضة في أوروبا .. وهذه الحقيقة تدعم صحة النظرية التي يقول بها بعض المؤرخين والتي فحواها أن أمم أوروبا لم تستطيع البدء بعصر النهضة والازدهار، إلا بعد أن تمكنت من تحرير نفسها من براثن السيطرة الاقتصادية اليهودية .

حُصرت الجاليات اليهودية في أوروبا بعد حركات التهجير الكبرى، داخل أحيائها التي سميت بالجيتو، والتي يسميها اليهود الكاحل، حيث فرض علي اليهود أن يعيشوا معزولين عن جماهير الشعوب، يحكمهم حاخاماتهم أو حكماؤهم، الذين كانوا بدورهم خاضعين لتوجيهات النورانيين وكبار المرابين اليهود، الذين لبثوا في مراكزهم التي

تمكنوا من الحصول عليها في بعض المدن الأوروبية.. وكان عملاء النورانيين منبثين في أحياء الجيتو، ينفثون سموم الحقد والكراهية وروح الانتقام في قلوب الجماهير اليهودية، من أولئك الذين هجروهم وعزلوهم .. كما كان الحاخامات بدورهم يلقنونهم أنهم "شعب الله المختار" ، وأن يوم الانتقام آت دون ريب، وسيرثون الأرض ومن عليها .

وتجدر هنا الإشارة إلي أن معظم اليهود الذين انتقلوا إلي أوروبا الشرقية، فرض عليهم بدورهم العيش في "مناطق الإقامة" التي سمح لهم بها، والواقعة بصورة عامة علي الحدود الغربية لروسيا، من سواحل البحر البلطيقي في الشمال حتى سواحل البحر الأسود في الجنوب.. وكان معظمهم من اليهود الخزر في الأصل.. ويشتهر الخزر من اليهود بثقافتهم المعروفة بـ "اليديش" (وهو اسم لغتهم التي يتكاملون بها)، كما يعرفون بخبثهم وبخلهم الشديد، وأساليبهم المنحطة في الأمور المالية، وأخلاقهم الدنيئة.. ويجب أن نميز هنا بينهم وبين العبرانيين القدماء الذين ذكرتهم التوراة، فهؤلاء كانوا من الرعاة المهذبين في الغالب . (1)

نشوء السوق السوداء في أوروبا

طوَّر سادة المال الحركة الثورية، حتى حولوها إلي الشيوعية العالمية التي نعرفها اليوم.. كانوا ينظمون أعمال العنف الفردية حتى أصبحت حركة ثورية منظمة ووضعوا فيما بعد خطة منظمة لعودة اليهود للبلاد التي طردوا منها عن طريق التسلل، حيث إنهم كانوا ممنوعين قانونيًا من الرجوع إلي تلك البلاد .. وحيث إنهم كانوا ممنوعين من الإقامة والحصول علي وظيفة، فقد زودوا بمبالغ وأرصدة لإنشاء نظام السوق السوداء، ومارسوا في هذه الأسواق كل أنواع التجارة والمبادلات المحرمة .. وكانوا يعملون حسب منهج الشركة الاحتكارية الخفية، مما أتاح لبارونات المال الذين يمولون هذه الشبكات أن يبقوا في الخفاء .

---

(1) انظر وليم جاي كار "أحجار على رقعة الشطرنج " الفصل الثالث " اليهود " .

إننا نستطيع الحكم علي نجاح مخطط تسلل اليهود إلي البلاد التي طردوا منها، بدراستنا للوقائع التالية : فقد عاد اليهود إلي إنكلترا عام ١٦٠٠م ، وإلى هنغافوريا سنة ١٥٠٠ ولكنهم طردوا منها ثانية عام ١٥٨٢.. وعادوا إلى سلوفاكيا سنة ١٥٦٢ ليطردوا منها عام ١٧٤٤.. وعادوا إلي ليتوانيا عام ١٧٠٠.. وبصرف النظر عن عدد المرات التي طردوا فيها، فإنهم في كل مرة كانوا يتركون وراءهم الشبكات الخفية التي كانت تدير وتخطط النشاطات الثورية والاضطرابات للقوي الخفية. (1)

سابعاً : أسباب اضطهاد روسيا القيصرية لليهود

لقد كان اليهود وراء كل ثورة ضد روسيا وكانوا سبب زعزعة الاستقرار فيها لذا كان إمبراطور روسيا شديد الكره لهم " وقد كان هرتزل يعرف مع ذلك معرفة كاملة المشاعر المعادية للسامية (لصاحب الجلالة إمبراطور روسيا) وروَى في الواقع في صحيفته المحادثات التي تمت في سان بطرسبرج مع وزير المالية الروسي الكونت "وت" Witte في ٩ من أغسطس عام ١٩٠٣م لقد قال لهرتزل منذ البداية : أتريد خروج اليهود من البلاد ؟ أأنت عِبراني؟ باختصار إلى مَن أتكلم الآن ؟

- أنا عبراني ورئيس للحركة الصهيونية.

- إذن ماذا علينا أن نقول أنت وأنا ؟ (2)

وأخذ " وت " يعدد مطاعن القيصر ضد اليهود، وهي المطاعن ذات الطابع الديني والاقتصادي والسياسي (وعليه فإذا كان هنا سبعة ملايين فقط من اليهود وسط شعب تعداده مائة وستة وثلاثون مليونًا ، فإن اليهود يشكلون ٥٠ % من القوة المؤثِّرة في الأحزاب الثورية) (3)

---

(1) نفسه .

(2) نشرة شيفر في مجموعة وثائق عن إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ص ٣٩٤. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات السماوية " مرجع سابق

(3) نفسه ص ٣٩٥.

ـ أظن أن هذه غلطة حكومتنا، فإن اليهود جدَّ مُضطَّهَدين، ولقد كنت دائمًا أقول للإمبراطور الراحل ألكسندر الثالث :

لو كان من الممكن يا صاحب الجلالة أن نُغرق ستة ملايين أو سبعة من اليهود في البحر الأسود، فربما أكون راضيًا رضًا كاملاً، ولكن إذا لم يكن هذا ممكنًا فيجب أن نتركهم يعيشون.

وأنا لم أغير رأيي، ولكني قُوبلتُ بتعاظم الاضطهاد .

لم يُخدَعْ هرتزل بهذه (الأريحية) تجاه اليهود، وقد عزاها بحق إلى حرص "وت" على تكديس الأحقاد المتجمعة لمصلحته وضد غريمه بلف ، وذلك بمناسبة مذبحة اليهود في كيشنيف (لو ساءت الأمور فسوف يسقط بلف وسوف يرتفع وت إلى الذروة) (1)

لقد كان وضع " وت " محدَّدًا بأمرين .

ـ وسأله هرتزل: إن جنودًا من الترك يحرسون قبر المسيح، ما رأيكم ؟

ـ ربما يكون أعظم سوءًا لو كان اليهود هم حراسه. (2)

ثامناً : أسباب اضطهاد هتلر النازي لليهود

سُئل هتلر عن سبب معاداته لليهود، فكانت إجابته قصيرة بقدر ما كانت قاسية :

" لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران. ونحن وحدنا شعب الإله المختار" .

وقبل عرض آراء هتلر في اليهود لابد أن نفرق بين يهود العالم الذين تعاونوا مع الحلفاء ضد هتلر في الحرب ، واليهود الصهاينة الذين تحالفوا معه ضد الحلفاء بل وضد إخوانهم اليهود أيضًا (3) وكل الاتهامات التي شنها هتلر على اليهود والتي ضمنها كتابه " كفاحي " موجهة لليهود الاندماجيين غير الراغبين في الهجرة .

---

(1) نفسه ص ١٩٧.

(2) نفسه .

(3) راجع تفاصيل هذا التحالف في " أسطورة عداء الصهيونية للنازية " من هذا الكتاب .

صرَّح هتلر بأن اليد الخفية اليهودية وراء جميع الجرائم الأخلاقية التي تفسد المجتمع ، والأفكار المسمومة التي تضلله .

" قد أثبتت لي الأيام أن ما من عمل مخالف للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد . واستطعت أن ألمس مدى تأثير هذا " الشعب المختار " في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته " (١)

فاليهود وراء كل فن إباحي ، ووراء الشيوعية الهدَّامة ، ووراء الصحف الموجَّهة ضد الشعب الألماني .

" فقد امتدت أصابع الإخطبوط اليهودي إلى جميع الميادين وفرض سيطرته عليها. وأصبح هذا التغلغل كالطاعون الأسود بل أشد منه فتكًا ، إذ تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تدعو إلى الإباحية المطلقة وللماركسيَّة هي من صنع اليهود أمَّا الصحف الكبرى التي أعجبت بها وبرصانتها فكان معظم محرريها وموجهيها من أبناء هذا " الشعب المختار " وشعرت بعد معرفتي بالحقيقة مدى تأثير اليهود في توجيه الرأي العام وذلك بالنظريات التي تتناسب ومصالحهم الشخصية البعيدة الهدف " (٢)

كما يصرح هتلر أن اليهود بارعون في جمع المال بشتى الطرق وإن كانت غير مشروعة وهي غالبا كذلك مثل تجارة الرقيق الأبيض والدعارة .

" ومما زاد في نقمتي على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السبل الملتوية ، ولقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال للدور الذي يمثله اليهود في ترويج سوق الدعارة والاتجار بالرقيق الأبيض " (٣)

---

(١) ادولف هتلر " كفاحي " ص ١١ عن دار الكتب الشعبية بيروت لبنان ط الثانية ١٩٧٥
(٢) نفسه ص ١١
(٣) نفسه ص ١١

كما يؤكد هتلر أن اليهود هم وراء المذهب الشيوعي الذي يعمل على تدمير الحياة وخراب العالم وإشاعة الفوضى في كل مكان لصالح اليهود الذين يسعون لفرض سيطرتهم على العالم .

" درست العلاقة بين الماركسية واليهودية وتأكدت لي حقيقة اليهود ومراميها في إشاعة الفوضى والخراب في العالم ليتمكن هذا الشعب المختار من استغلال الفوضى وبفرض مشيئته في كل مكان " (١)

ويرجع هتلر خراب الاقتصاد الألماني قبل الحرب العالمية الأولى إلى اتباع ساسة ألمانيا نصائح عملاء الماركسية من اليهود في هذا الشأن بهدف قيام دولة تعمل لصالح اليهود على أنقاض ألمانيا .

" ولقد تأكدت لي مع الأيام الأخطاء السياسية التي ارتكبها المسئولون الألمان منذ أواخر القرن الماضي حتى نشوب الحرب العالمية كانت نتيجة الأخذ بنصائح عملاء الماركسية من يهود ومفكرين عديمي الإخلاص لوطنهم فعندما أقامت ألمانيا اقتصادها على تلك الأسس الواهية كان اليهود أول المهللين لها ، يقينا منهم أن الاقتصاد الأعوج سيؤدي بألمانيا إلى الانهيار ، فتقوم على أنقاضها الدولة التي يحلمون بها دولة تحكمها في الظاهر البروليتاريا وتخضع في نفس الوقت لسيطرة شرذمة من رجال المال اليهود " (٢)

ويجعل هتلر اليهود هم التابور الخامس الذي تحالف مع أعداء ألمانيا في الحرب العالمية الأولى .

" لقد كان على السلطات أن تحزم أمرها وتتخذ جميع التدابير الكفيلة بالقضاء على المضللين والماركسيين ومن ورائهم اليهود كان على الحكومة أن تقضي على أعداء

(١) نفسه ص ٢٢
(٢) نفسه ص ٢٢

ألمانيا على تلك الحثالة الباقية في المؤخرة بينما كانت النخبة في الأمام تجود بدمائها في ساحة القتال " (١)

قبل إعلان الصهاينة المفوضين عن اليهود تحالفهم مع الحلفاء ضد هتلر في الحرب العالمية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ لم يكن هتلر راغبا في قتل اليهود إنما أراد التخلص منهم كما تخلصت بقية أوربا منهم عن طريق التهجير ، لكن بسبب تحالف اليهود مع الحفاء وتجسسهم ضد ألمانيا ، وفشل هتلر في تهجيرهم للأسباب الآتية :

١- لم يكن لدى هتلر مستعمرات في آسيا وأفريقيا ينقلهم إليها .

٢- رفض دول أوربا استقبالهم .

٣- إغلاق إنجلترا – صاحبة الانتداب على فلسطين حينئذ – باب الهجرة أمام هجرة اليهود إلي فلسطين بسبب ثورة العرب .

لهذه الأسباب لم يكن بوسع هتلر التخلص من اليهود إثناء الحرب إلا باحتجازهم في معسكرات الاعتقال بوصفهم " رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا " ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادئ الأمر ثم نحو الشرق في الأراضي المحتلة وخاصة في بولندا حيث هلك كثير من اليهود بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربي ، ثم بالأوبئة الفظيعة ، فعل هتلر ذلك باليهود بسبب ارتكابهم جريمة الخيانة العظمى بالتحالف مع أعدائه أثناء الحرب كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل ياباني عشية دخولهم الحرب مع اليابان .

أسباب اضطهاد اليهود في الكتب السماوية

ولا تكاد الكتب السماوية تختلف عن التاريخ الإنساني العام في رد كل اضطهاد لبني إسرائيل والجماعات اليهودية إلى فسادهم وانحرافهم الديني والسلوكي والأخلاقي .

---

(١) نفسه ص ٢٦

أولاً : أسباب اضطهاد بني إسرائيل في التوراة

العجيب أن توراة اليهود أكثر الكتب السماوية تصريحًا بأن كفر وفساد وانحراف بني إسرائيل هي السبب الحقيقي وراء اضطهاد الشعوب لهم ، ونكتفي في هذا المقام ببعض الإشارات على سبيل المثال لا الحصر .

" ارتكب بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا إلههم وعبدوا البَعْلِيم وعَشْتَارُوث فاحتدم غضب الرب عليهم ، فسلط عليهم كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين ، فاستعبد كوشان رشعتايم بني إسرائيل ثماني سنوات .

واستغاث بنو إسرائيل بالرب فأقام لهم مخلصا أنقذهم هو عُثْنِيئِيل بن قناز أخو كالب الأصغر فحلّ عليه روح الرب وصار قاضيًّا لإسرائيل . وحين خرَج لمحاربة كوشان رشعتايم ملك أرام تغلب عليه ، وأظفره الرب به .

وعم السلام البلاد حِقبة أربعين سنة ، إلى أن مات عُثْنِيئِيل بن قناز . فعاد بنو إسرائيل يقترفون الشر في عيني الرب فسلط عليهم الرب عِجْلون ملك موآب عقابًا لهم على شرهم فألّب عليهم بني عَمُّون وعماليق ، وهاجَمَهم واحتلّ أريحا مدينة النخل واستعبد عجلون ملك موآب بني إسرائيل ثماني عشرة سنة فاستغاث بنو إسرائيل بالرب فأرسل لهم منقذا إهود بن جيرا البنياميني .. وهاجموا الموآبين وقتلوا منهم نحو عشرة آلاف من المحاربين الأشداء في ذلك اليوم خضع الموآبيون لبني إسرائيل وعمَّ السلام البلاد ثمانين سنة ..

وبعد موت إهود عاد بنو إسرائيل يرتكبون الشر في عيني الرب فأخضعهم الرب ليابين ملك كنعان .. " (القضاة : ٣ ، ٤)

وتذكر توراة اليهود أن فساد اليهود كان السبب في عقاب الرب لهم بالسبي الآشوري .

" فاحتدم غضب الرب على إسرائيل ، وطردهم من حضرته ، ولم يبق سوى سبط يهوذا . ولكن حتى سبط يهوذا لم يحفظ وصايا الرب إلهه بل نهج في طُرُق إسرائيل التي سلكتها . فنبذ الرب كل ذرية إسرائيل وأذلهم وأسلمهم ليد آسريهم

وطرهم من حضرته .. فسُبيَ الإسرائيليون من أرضهم إلى أشور إلى هذا اليوم .. ونقل ملك أشور أقواما من بابل وكوث وعوًا وحماة وسفروايم ، وأسكنهم مدن السامرة محل بني إسرائيل ، فستولوا على السامرة وأقاموا مدنها "

(ملوك الثاني : ١٧)

وبدلاً من اتعاظ بقية مدن إسرائيل بما أحدثه ملك أشور بالسامرة وأهلها راحوا يتمادون في غيهم وفسادهم فأوحى الرب إلى نبيهم ميخا أن أنذر كل من مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل بخراب أورشليم بسبب فساد شعب إسرائيل .

" ثم قال الرب على لسان عبيده الأنبياء : " لأن منسى ملك يهوذا اقترف جميع هذه الموبقات ، وارتكب شرورا أشد من فظاعة شرور الأموريين الذين كانوا قبله ، وأضل يهوذا فجعله يأثم بعبادة أصنامه ، لذلك يقول الرب إله إسرائيل : " ها أنا أجلب شراً على أورشليم ويهوذا فتَطِنُّ أذنا كل من يسمع به . وسأوقع على أورشليم العِقاب الذي أوقعته بالسامرة وبأخآب ونسله . وأمسح أورشليم من الوجود كما يمسح الطبق من بقايا الطعام ثم يقلب على وجهه ليجف . وأنبذ بقية شعبي وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم فيصبحوا غنيمة وأسرى لهم ، لأنهم ارتكبوا الشر في عينيَّ وأثاروا غضبي منذ خروج آبائهم من مصر إلى هذا اليوم . وزاد منسى فسفك دم أبرياء كثيرين حتى ملأ أورشليم من قصاها إلى أقصاها " (ملوك الثاني : ٢١)

وتلخص توراة اليهود قصة شعب إسرائيل عبر تاريخه فتقول :

" أوحى إليَّ – إي حزقيال – بكلمته قائلاً " يا ابن آدم ، عندما أقام شعب إسرائيل في أرضهم نجسوها بطرقهم الشريرة وتصرفاتهم .

كانت طريقهم أمامي نجسة كنجاسة الطامث فسكبت غضبي عليهم جرَّاء ما سفكوا من دم على الأرض التي نجسوها بأصنامهم ففرقتهم بين الأمم وشتتهم في البلدان ، ودنتهم بمقتضى طريقهم وتصرفاتهم .

وحين استقروا بين الأمم التي تفرقوا بينها دنّسوا اسمي القدوس إذ قيل لهم : هؤلاء شعب الرب وقد طردوا من أرضه .

فغرت على اسمي الذي نجسه شعب إسرائيل بين الأمم التي تفرقوا بينها .

لذلك قل لشعب إسرائيل : ليس لأجلكم أنا موشك أن أعمل (عظائم) يا شعب إسرائيل ، بل غيرة على اسمي الذي دنستموه بين الأمم التي تفرقتم بينها فأقدس اسمي العظيم الذي صار بسببكم منجسا بين الأمم التي تفرقتم بينها فتدرك الأمم أني أنا الرب حين أتقدس فيكم أمام أعيينهم يقول السيد الرب إذ آخذكم من بين الأمم وأجمعكم من كل البلدان وأحضركم إلى أرضكم وأرش عليكم ماء نقيا فتطهرون من كل نجاساتكم ومن أصنامكم ... ولهذا اعلموا أنه ليس من أجلكم أنا أفعل هذا ، يقول السيد الرب فاخجلوا واخزوا من طرقكم يا شعب إسرائيل " (حزقيال : ٣٦)

ثانياً : رأي يسوع في اليهود

ولقد تعقب اليهودُ يسوعَ وجادلوه طويلاً وأنكروا عليه دعوته ، ولمّا يأس يسوع من هدايتهم ، وإصلاح انحرافهم صبَّ عليهم جام غضبه واصفا إياهم بالرياء والنفاق والعمى ، وبأنهم أحفاد قتلة الأنبياء وأبناء الحيات والأفاعي ، وحمّلهم مسئولية كل دم زكي سفح ظلمًا حتى وإن كان دم هابيل ابن آدم ...

" لكم الويل أيها الكتبة والفريسيين (علماء اليهود) المراءون فإنكم تغلقون ملكوت السموات في وجوه الناس فلا تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تلتهمون بيوت الأرامل وتذرعون بإطالة صلواتكم لذلك سينزل بكم دينونة أقسى الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متهودًا واحدًا فإذا تهود جعلتموه أهلاً لجهنم ضعف ما أنتم عليه الويل لكم أيها القادة العميان تقولون من أقسم بالهيكل فقسمه غير ملزم أما

من أقسم بذهب الهيكل فقسمه ملزم أيها الجهال العميان أي الاثنين أعظم الذهب أم الهيكل الذي يجعل الذهب مقدسًا ...

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تؤدُّون حتى عشور النعنع والشبث والكمُّون وقد أهملتم أهم ما في الشريعة : العدل والرحمة والأمانة . كان يجب أن تفعلوا هذه أولاً ولا تفعلوا تلك أيها القادة العميان إنكم تصفون الماء من البعوضة ولكنكم تبلعون الجمل الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تنظفون الكأس والصفحة من الخارج ولكنها من الداخل ممتلئتان بما كسبتم بالنهب والطمع الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم كالقبور المطلية بالكلس تَبْدو جميلة من الخارج ولكنها ممتلئة بعظام الموتى وكل نجاسة كذلك أنتم تبدون للناس أبرارا ولكنكم من الداخل ممتلئون بالرياء والفسق الويل لكم أيها الكتبة والفريسيين المراءون فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الأبرار وتقولون لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دم الأنبياء فبهذا تشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء قاتلي الأنبياء فأكملوا ما بدأه آباءكم ليطفح الكيل أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تفلتون من عقاب جهنم ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين فبعضهم تقتلون وتصلبون وبعضهم تجلدون في مجامعكم وتطاردونه من مدينة على أخرى وبهذا يقع عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل البار إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم إن عقاب ذلك كله سينزل بهذا الجيل ."

(متى : ٢٣)

وبعد أن لعن يسوع اليهود وفضح جرائمهم تنبأ بخراب أورشليم مسكن اليهود الملاعين الذين سفكوا دماء الأنبياء وكذبوا المرسلين فيقول :

" يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا ! ها إن بيتكم يُتْرَك لكم خرابا فإني أقول لكم إنكم لن تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب" (متى : ٢٣)

ثالثاً : اليهود في القرآن الكريم

لم يكتف بنو إسرائيل بعصيان أوامر الله فحسب بل كفروا بآيات الله وعبدوا العجل من دون الله تعالى ، بل وامتدت يدهم الآثمة إلى أنبياء الله فقتلوا فريقا منهم ، وكذبوا الآخرين ، لذا ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب منه تعالى :

{ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّه ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } (البقرة : ٦١)

وسوَّلت لهم أنفسهم الأمارة بالسوء أن يصفوا الله تعالى بصفات منكرة لا يرضاها من البشر أحد فما بالك بالخالق العظيم المتعال الغني المغني سبحانه وتعالى عما يصفون .

لذا فقد عاقبهم الله بان ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما جمعوا وأعدوا شتت الله جمعهم .

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } (المائدة : ٦٤)

والقرآن الكريم ينص على أن أكثر اليهود ناقضون لعهود الله وعهود البشر .

{ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } (البقرة: ١٠٠)

ومن صور خيانتهم للعهود تحالفهم مع كل القوى المتصارعة مما جعلهم أعداء للجميع فهم يعاهدون البابليين مثلاً ، وفي نفس الوقت يعاهدون المصريين أعداء البابليين ، وفي ذات الوقت يعاهدون الله ، فهم يريدون أن يمسكوا بجميع الخيوط حتى وإن كانت متناقضة فحبل من المصريين ، وحبل من البابليين أعدائهم ، وحبل من الله

عدو لجميع الكافرين ، مما يجعلهم أعداء للجميع ، وهذه سمة الجبان الذليل ، كما أنها سمة خائن العهد ولقد وصفهم الله بهاتين الصفتين من بين صفاتهم الدنيئة الكثيرة {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } (آل عمران : ١١٢) .

عن ابن عباس { إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ } قال : بعهد من الله وعهد من الناس .

فمعنى الحبل في هذه الآية السبب فاليهود ضربت عليهم الذلة أينما وجودوا إلا بسبب من الله وهو إتباعهم الوحي والهدي النبوي عندما اتبعوا سيدنا موسى عليه السلام فأعزهم الله بعدما كانوا أذلة، أو بسبب من الناس من خلال تملق الأقوياء والتحالف معهم وجعلهم أداة ووسيلة تحقيق أهدافهم .

وهذا ما يصدقه الواقع والتاريخ فاليهود قوم انتهازيون وصوليون ، يتملقون الأقوياء ويتحالفون معهم من أجل خدمة أهدافهم . (1)

وذكر الله تعالى في كتابه العزيز فساد بني إسرائيل وتسليط الله أعداءهم عليهم .

{ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا }

(الإسراء : الآيات من ٤ : ٨)

---

(1) نعمان عبد الرزاق السامرائي " اليهود والتحالف مع الأقوى " .

ولقد صدقت النبوءة والوعد فسلط الله على بني إسرائيل من قهرهم أول مرة ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ودمر مملكتهم تدميرًا .

أهؤلاء هم الضحية التي يتحدثون عنها ؟

أ هؤلاء من يستحقون وعد الله لإبراهيم كما يزعمون ؟

إن شرارهم أنجس من خَلَقَ الله على وجه البسيطة ، وإن ما حدث لهم على مدى التاريخ كان جزاء وفاقا .

وبعد أن أثبتنا بالأدلة القاطعة : دينية ، وتاريخية أن اليهود لم يكونوا أبدًا ضحية عبر التاريخ بل أن مفسديهم هم وراء كل ما حل بهم من اضطهاد ، وأن سماتهم الخسيسة هي التي جعلتهم شعبًا منبوذا من كل شعوب الأرض ، وهي التي حولتهم إلى جزار يفتك بالضعفاء والأبرياء ، ولا يستثني في عدوانه نبيًا ولا رسولاً ، ولا طفلاً ولا شيخاً ، ولا امرأة ولا نبتاً ، لقد ارتكب اليهود في تاريخهم من الجرائم في حق الأنبياء والمرسلين ما لم يرتكبه شعب آخر فقد كذب كثير منهم الأنبياء والمرسلين بل سعوا إلى قتلهم ، وتمكنوا بالفعل من قتل فريقاً من الأنبياء وسنعرض في الكتاب الثاني من هذه السلسلة لقصتهم في الكتب السماوية : قصتهم في التوراة ، وقصتهم مع سيدنا عيسى كما جاءت في الأناجيل ، ومع سيدنا موسى كما جاءت في القرآن الكريم ، ومع سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وكلها تؤكد أن ما حاق بهم من اضطهاد كان جزاءً وفاقاً .

معاداة السامية

لو أخذت العبارة بالمعنى الحرفي، فإنها تعني العداء للساميين أو لأعضاء الجنس السامي الذي يشكل العرب أغلبيته العظمى . بعكس اليهود الذين لا نستطيع أن نجزم على أي منهم بأنه سام خالص كما سبق الحديث .

ولكن مصطلح " معاداة السامية " في اللغات الأوربية، يقرن بين الساميين واليهود ويوحِّد بينهم ، وهذا يعود إلى جهل الباحثين الأوربيين في القرن التاسع عشر

بالحضارات الشرقية ، وعدم تكامل معرفتهم بالتشكيل الحضاري السامي أو بتنوع الانتماءات العرْقية والإثنية واللغوية لأعضاء الجماعات اليهودية .

علاقة مصطلح " معاداة السامية " بالصهيونية

قد اختلط المجال الدلالي لمصطلح معاداة السامية تماماً في اللغات الأوربية بعد ظهور الصهيونية . وبعد سيطرة الخطاب الصهيوني على النشاط الإعلامي الغربي، لم تَعُد هناك تفرقة بين ظاهرة معاداة اليهود في الدولة الرومانية وظاهرة معاداة اليهود في العصور الوسطى المسيحية. ولم يَعُد هناك تمييز بين معاداة اليهود على أساس عِرْقي وبين معاداة اليهود على أساس ديني . وأصبحت معاداة الصهيونية ، بل والدولة الصهيونية هي الأخرى، تُصنَّف باعتبارها من ضروب معاداة اليهود .

وحينما كانت دول الكتلة الشرقية تصوِّت ضد إسرائيل في هيئة الأمم المتحدة، كان هذا يُعدُّ أيضاً تعبيراً عن تقاليد معاداة اليهودية الراسخة فيها . وبالمثل اعتُبر قيام فرنسا ببيع طائرات الميراج لليبيا تعبيراً عن الظاهرة نفسها .بل ويذهب أنصار هذا الرأي إلى أن نضال الشعب الفلسطيني ضد الاستيطان الصهيوني تعبير عن الظاهرة نفسها. وهكذا اتسع المجال الدلالي للمصطلح واضطرب ليضم عدة ظواهر لا يربطها رابط، حتى أصبح بلا معنى، وأصبح أداة للإرهاب والقمع الفكريين .

يُستخدَم المصطلح أيضاً للإشارة إلى ما يسميه الصهاينة «معاداة السامية الإسلامية»، أي عداء المسلمين لليهود. وهم يرون أن هذا النوع من العنصرية آخذ في التزايد حيث ينظر المسلمون إلى اليهود باعتبارهم "أعداء الله"، وأن إسرائيل تعبير عن المؤامرة اليهودية الأزلية .

ويرى الصهاينة أن معظم أشكال معاداة اليهود أشكال بنيوية، أي لصيقة ببنية المجتمع. وتحاول الصهيونية العمالية أن تبرهن على وجود هذه المعاداة البنيوية للسامية من خلال تحليل علاقات الإنتاج في المجتمع لتصل إلى نتيجة مفادها أن المجتمعات البشرية لا تسمح لليهودي أن يعمل في القطاعات الإنتاجية وأن اليهودي

من ثم محكوم عليه بالهامشية والطفيلية، وأن الحل الوحيد لهذه الهامشية البنيوية أن يؤسس اليهود لهم وطناً يمارسون فيه سيادتهم القومية ويشغلون فيه كل المواقع في الهرم الإنتاجي .

ويذهب الصهاينة إلى أن معاداة اليهود ليست لصيقة ببنية المجتمع وحسب، بل لصيقة ببنية النفس البشرية. وهذا ما عبَّر عنه شامير بشكل سوقي حين قال إن البولنديين يرضعون معاداة اليهود مع لبن أمهاتهم . ويرى الصهاينة أن العرب والمسلمين يعانون من الظاهرة نفسها، أي المعاداة البنيوية للسامية .

والعلاقة بين «المعاداة للسامية» و«الصهيونية » علاقة قوية، فإذا كانت " معاداة السامية " تهدف إلى التخلص من اليهود وتطهير أوربا منهم ، فإن " الصهيونية " تهدف إلى توظيفهم بحيث يتجه المهاجرون اليهود إلى فلسطين . [1]

استغلال الصهيونية لأسطورة " معاداة السامية "

استغلت الصهيونية فكرة اللاسامية لتحقيق أهدافها في إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين ، بل عملت على تأجيج نارها وافتعالها كلما خمدت .

ويعترف هرتزل أن ماكس نوردو يتفق معه في الاعتراف بأن "اللاسامية وحدها هي التي صنعت منا يهودا، "فهو جدُّ مقتنع بأن أفكار "الجنس"، بل وأفكار "الشعب" و"القومية" اليهودية ليس لها من واقع . [2]

وقد كان هناك اعتقاد بأن اللاسامية ستنتهي بهزيمة النازية ولكن الصهيونية أرادت للاسامية أن تستمر لأنها البقرة الحلوب للصهيونية المعاصرة وأداة الابتزاز والإرهاب التي تشهرها ضد العالم، ولا سيما ضد الإنسان الأوروبي الذي أصبح يعاني بفعل الدعاية الصهيونية من عقدة الذنب وتأنيب الضمير. إن إشهار سلاح

---

(1) لمزيد من التفصيل عن مصطلح " معاداة السامية " الرجوع لموسوعة "اليهود واليهودية والصهيونية" م ٢/ ج٤ " عداء الأغيار الأزلي لليهود واليهودية ".

(2) يوميات تيودور هرتزل مرجع سابق ص ٧٨ .

اللاسامية على كل من يقف في وجه الحركة الصهيونية أو يشكك في نشاطها أو مطامعها التوسعية أطلق يدها لتهيمن على مقدرات الإعلام الغربي فلم يعد هناك كاتب أو مفكر أو صحفي حر يجرؤ على فضح الصهيونية أو إدانتها دون أن يتعرض لتهمة اللاسامية . ولم تقف الصهيونية في استغلالها اللاسامية ، عند هذا الحد فراحت تتهم كل من يتعاطف مع الفلسطينيين في مأساتهم بأنه لا سامي، تماماً مثلما اتهمت العرب (الساميين) بأنهم لا ساميون ، لا بل إنما اتهمت اليهود الذين عارضوا الصهيونية باللاسامية فحين تظاهر اليهود العراقيون في تل أبيب عام ١٩٥١ احتجاجاً على التفرقة بين الاشكنازيين والسفارديين هاجمهم بن غوريون ووصف تظاهراتهم بأنها "لا سامية إسرائيلية".

وما تزال الصهيونية تشتهر سلاح اللاسامية في وجه كل دولة أو سياسي في العالم ينتقد (إسرائيل) أو يقف من العرب موقفاً مؤيدًا، بعدما استخدمت هذا السلاح بفاعلية لإقامة دولتها على أرض فلسطين . [1]

واليهود الصهاينة إد يرفعون شعار معاداة السامية في وجه أعدائهم إنما يرمون إلى هدفين : التغطية على جرائمهم التي يرتكبونها في حق الشعوب العربية ، وكسب تأييد الدول الغربية في مشروعها الاستيطاني . [2]

ليت العرب والمسلمين يحسنون الدفاع عن حقوقهم كما يحسن اليهود الصهاينة الدفاع عن باطلهم ، لكن مما يؤسف له أن العرب والمسلمين قد خسروا قضاياهم المشروعة بسبب انعدام المحامين المخلصين عنها فاغتُصِبت أراضينا وحكم علينا بالإرهاب !!

***

(1) " قاموس المصطلحات الصهيونية " عن المركز الإعلامي الفلسطيني على شبكة المعلومات .
(2). انظر الفصل الثالث من الباب الثاني " أسطورة معاداة الصهيونية لأعداء السامية " في هذا الكتاب .

الفصل الثاني

أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض

المرجعية النصية للأسطورة

أرض بلا شعب لشعب بلا أرض أسطورة صهيونية سياسية تعتمد على أسطورة دينية توراتية وهي عهد الرب " يهوه " لإبراهيم ولنسله بتملك أرض كنعان " ٧وَأُقِيمُ عَهْدِي الأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. ٨وَأَهَبُكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً»." (التكوين : ١٧)

وقامت الصهيونية السياسية بتطبيق هذه الأسطورة الدينية بالقوة فدعت يهود الشتات المستوطنين في بلدان العالم إلى استيطان أرض فلسطين وطرد الفلسطينيين منها زاعمة أن فلسطين أرض بلا شعب ، وأن اليهود شعب بلا أرض .

تقول جولدا مائير : " لا يوجد شعب فلسطيني وكأننا نحن الذين جئنا لإخراجه من دياره والاستيلاء على بلده ، فالفلسطينيون لا وجود لهم "[1]

ويقول مناحم بيجين : " لقد وُعِدنا بهذه الأرض ، ولنا حق فيها "[2]

وقد أعلن مناحم بيجين وهو أشد الصهاينة إيمانًا بالتقاليد التوراتية : إن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل كلها وللأبد "[3]

ولا شك أن بن جوريون كان يشير إلى إبادة الرجل الأبيض للهنود الحمر والاستيلاء على أرضهم عندما قال بوضوح " إن الأمر لا يتعلق بالحفاظ على الوضع الراهن فأمامنا مهمة إنشاء دولة نشيطة وديناميةموجهة نحو التوسع "[4]

---

(1) جريدة الصنداي تايمز اللندنية بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٦٩ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية "
(2) تصريح بيجين في أسلو لصحيفة دافار ١٢ / ١٢ / ١٩٧٨ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية"
(3) مناحم بيجين " العصيان ، قصة الأرجون " ص ٣٣٥ .
(4) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٥٦ .

وأسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض من اختراع المستعمرين الغربيين الذين أرادوا أن يتخلصوا من اليهود ومشاكلهم الاقتصادية والقومية والسياسة وفي نفس الوقت يستفيدون منهم برعاية مصالحهم في الوطن العربي فاختلقوا هذه الأسطورة العلمانية السياسية وأضفوا عليها بُعْداً دينيا توراتيا ، فزعموا اقتراب يوم القيامة ، وآن الأوان لتحقق مشيئة الرب " يهوه " بتوطين اليهود أرض الميعاد التي وُعد بها آباؤهم الغابرون ، ولا يهم أن يتم هذا على يد الماشيخ المنتظر أو على يد بلفور أو ترومان أو بوش أو غيرهم من الصهاينة الغربيين ،وفي سبيل تحقيق هذه الأسطورة لا يهم الاستيلاء على أرض الغير بالقوة وتهجير سكانها قسرا !!

وانطلاقاً من أسطورة العهد الإلهي لبني إسرائيل ودون التساؤل عن ماهية هذا العهد ، ولمن صدر وبغض النظر عن كون هذا الوعد كان مشروطا بالالتزام بوصايا الرب أم لا ، أعلن الزعماء الصهاينة ، حتى ولو كانوا لا أدريين أو ملحدين أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب !!

وتشير إحصائيات الحكومة الإسرائيلية أن ١٥ % من الإسرائيليين فقط هم من المتدينين . ولكن هذا لا يمنع ٩٠ % منهم التأكيد على أن هذه الأرض قد منحها لهم الرب الذي لا يؤمنون به !!

ولا تمارس الغالبية العظمى للإسرائيليين الحاليين الطقوس ولا العقيدة الدينية ، ولا تضم مختلف " الأحزاب الدينية " سوى عدد قليل جدا من المواطنين ومع ذلك تلعب دورا حاسما في دولة إسرائيل .

وشرح ناثان وينستوك هذا التناقض في كتابه " الصهيونية ضد إسرائيل " قائلا : لو ألغينا مفاهيم " الشعب المختار " و " الأرض الموعودة " لانهارت الصهيونية من أساسها . [1]

---

(1) نفسه ص ١٥٥

لقد اهتمت الحركة الصهيونية باستمرار في إنكار الشعب الفلسطيني كشعب مثلما اهتمت بالإيحاء بأن أرضه خالية من السكان ومن الزراعة لتبرر بذلك الأسطورة الأساسية التي قامت عليها " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " ويصل المنطق الصهيوني إلى الاستنتاج التالي : مَنْ تصادف وجوده من العرب في أرض فلسطين في هذه المرحلة فليس له إلا الانتقال إلى مكان آخر في أرض العرب الواسعة ، وأية مأساة في ذلك وأي عجب ؟!

ولا تزال الحركة الصهيونية حتى الآن ترتكز في ما ترتكز إليه في إعلامها الغربي والدولي إلى هذه النظرة لتبرير احتلال فلسطين وللدعوة إلى استمرار الهجرة اليهودية إليها . (١)

وبهذا التفسير الاستعماري المتناقض تحولت الجماعات اليهودية المنبوذة المضطهدة من الغرب العلماني إلى شعب الله المختار ، كما تحولت أرض فلسطين المأهولة بالسكان إلى أرض بلا شعب في حاجة لمن ليستوطنها ، وبالطبع وفقا لهذا التفسير فليس هناك أحق باستيطان الأرض المقدسة إلا شعبًا مقدسًا وهو الشعب اليهودي !!

وبهذا يتم استبدال يهود الغرب بالفلسطينيين العرب ، فيُشتَّت الفلسطينيون المواطنون الأصليون من بلادهم فلسطين ، ويستوطن اليهود المواطنون الغربيون هذه البلاد ! كل هذا يتم تحت رعاية الغرب خدمة لمصالحه ، وهذا هو المشروع الصهيوني .

وفي إطار هذه الإستراتيجية الصهيونية تصبح فلسطين (الأرض المقدَّسة) بلدا بلا سكان، لأن امتلاك فلسطين ليس من حق السكان الأصليين . وليس بإمكان البشر، يهوداً كانوا أم عرباً أن يتساءلوا عن معنى هذا القرار، لأن محور مشكلة فلسطين،

(1) فيصل أبو خضرا " تاريخ المسألة الفلسطينية " ص ٣٣

وفقاً لما قاله بن جوريون، يتلخص في حق اليهود المشتتين في العودة وهو حق مطلق قائم منذ بداية التاريخ حتى نهايته .

وكما قال وايزمان " إن أساس وجودنا كله هو حقنا في إقامة وطن قومي فوق أرض إسرائيل [فلسطين] وهو حق نملكه منذ آلاف السنين، ومصدره وعد الرب لإبراهيم، وقد حملناه معنا في أنحاء العالم كله طوال حياة حافلة بالتقلبات " (١)

الفكر الإمبريالي المؤسس لدولة إسرائيل

تعتبر الأحداث التي أدَّت مباشرة إلى إنشاء دولة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية صفحة واضحة من النضال الحاد للدول الاستعمارية من أجل إعادة تقسيم العالم ومن أجل مناطق النفوذ وتعزيز المواقف في الشرق الأوسط والأدنى ، وسار هذا النضال بين الدوائر الاستعمارية في إنجلترا والرأسمالية في الولايات المتحدة الأمريكية .

إن مشكلة الاستعمار الصهيوني لفلسطين إنما تطرح بنفس المصطلحات التي تعرفها مشكِلات المستعمرين الآخرين جميعًا، فالاستعمار يري أن أية أرض تعتبر (خالية) ما دامت غير مسكونة من البيض الغربيين، وقد عبر عن هذا المعنى ببراءة وقحة أحد الصهيونيين الأمريكيين فقال :

" أنا أعلم أن الأمريكي كان دائماً موضِع نقد لأنه إستغل واحتل تكساس وكاليفورنيا إبان حرب المكسيك، التِي توصف بأنها عمل عدواني، ولكِني أسأل نفسِي: ما قِيمة نقد كهذا حِين يكون البديل أن يحرم مجموع الجنوب الغربي من طيبات الحضارة الأمريكية ؟ عِندما توجد أرض "خالية" بالقوة إفتراضا فإن العالم

---

(1) موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٦ / ج ٢ " الاعتذاريات الصهيونية العنصرية ونظرية الحقوق اليهودية المطلقة " مرجع سابق .

يدعو إلى خلاصها، وفلسطين المقفرة كانت بالضبط تكساس مصغرة، ومنطق التاريخ يتطلب أن تُملأ هذه (المساحات الخاوية) لأن الطبيعة يرعبها الخواء " [١]

ولقد كان هذا من قبل هو الشعار الذي رفعه زنجويل عام ١٩٠٤م (أن تعطي أرضًا بلا شعب لشعب بلا أرض) (وقد كان تعداد سكان فلسطين آنذاك أكثر من ستمائة ألف من السكان العرب، مع كثافة سكانية مماثلة لكثافة الشقق الفرنسية المتوسطة).

هذا هو موقف الأمريكيين تجاه الهنود، وموقف البيض في أفريقيا الجنوبية تجاه السود، وموقف الصهيونيين تجاه العرب، وكلهم يرون أن فلسطين أرضًا (خالية).

وقد كتبت السيدة جولدا مائير في أول سطر من رسالتها ذات المغزى في ٢٤ من أغسطس ١٩٢١م تقول : " إن الإنجليز لم يختاروا العرب لاستعمار فلسطين، بل اختارونا نحن " [٢]

كيف صدر وعد بلفور

في نهاية الحرب العالمية الأولى في ٢ / ١١ / ١٩١٧ تقدمت إنجلترا بتصريح حول نشأة " وطن قومي لليهود " في فلسطين ، ويعتبر تصريح بلفور نتيجة للمحادثات التي جرت على مدار عام كامل بين القادة الصهيونيين والدوائر البريطانية الحاكمة ، ووفقا لاعتراف الدبلوماسيين الإنجليز الرسميين ، فإن تصريح بلفور قد أملته بالدرجة الأولى أهداف سياسة بريطانية الحربية وبالذات لإضعاف العدو وشد أزر الحلفاء .

ففي أثناء الحرب العالمية الأولى نظرًا لارتباط مصالح بريطانيا بمصالح الحركة الصهيونية ، فإن بريطانيا قررت أن ترعى المشروع الصهيوني الرامي إلى إنشاء

---

(1) برنارد روزنبلات " الجسر الأمريكي إلى الكومنولث الإسرائيلي " ص ١٢٣ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) مَارِّيّ سركين " جولدا مائير" ص ٦٣. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

وطن قومي لليهود في فلسطين يعمل في خدمة الأهداف الاستعمارية للدولة التي تساعد في إنشائه ، ومن هنا صدر الأمر البريطاني المعروف بتصريح بلفور في صورة خطاب موجه إلى اللورد روتشيلد رئيس الطائفة اليهودية في بريطانيا في ٢ نوفمبر ١٩١٧ كما يلي :

" عزيزي اللورد روتشيلد .. أعبر لكم عن بالغ سروري إذ أنقل إليكم باسم حكومة صاحِب الجلالة التصريح التالي بالعطف على الأماني اليهودية الصهيونية ، وهو التصريح الذي عُرض على مجلس الوزراء ونال موافقته .

إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وستبذل أقصى مساعيها لتيسير تحقيق هذا الهدف ، على أن يكون مفهوما أن شيئا لن يُعْمل قد يكون من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطّوائف الحالية غير اليهودية في فلسطين ، ولا بالحقوق ولا بالوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر .

أكون ممتناً إذا أحطتم المنظمات الصهيونية علماً بهذا التصريح " .

المخلص .. آرثر جيمس بلفور

ومن الطريف أن نص وعد بلفور كتبه " وايزمان " رئيس المنظمة الصهيونية بخط يده ولم يضف بلفور شيئاً على النص إلا توقيعه فقط كما جاء في مذكرات وايزمان .

ويجدر بنا أن نحلل ذلك التصريح الذي يعتبر من الأمور الرئيسة التي أدت إلى قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨ .

١- نَصَّ التصريح على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، ومن ثم ليس كل فلسطين يصبح وطناً قوميًا للصهيونيين .

٢- لم يُشر نص التصريح إلى عرب فلسطين بل صراحة يكاد يغفل وجودهم اللهم إلا عندما تحدث النص عن (طوائف غير يهودية) ومن ثم كان الإنجليز يُضْمرون منذ البداية استبعاد حقيقة قائمة حينذاك وهي (عرب فلسطين) و(عروبتها).

مع أن تعداد فلسطين في عام ١٩١٨ كان على النحو التالي : ٦٤٤ ألف نسمة من العرب ، ٥٦ ألف نسمة من اليهود (أغلبهم من العرب) أي حوالي ٨ % من تعداد السكان .

٣- أن بريطانيا منحت إقليمًا لا تملكه إلى طائفة لا تملكه دون استشارة أهل وأصحاب البلاد الذين كانوا يشكلون الأغلبية المطلقة لسكانه ، بل وعاملت بريطانيا العرب – بمقتضى النص – على اعتبار أنهم مجرد طائفة ما . (١)

٤- تشترط اتفاقية لاهاي الرابعة في مقدمتها عن حق الحرب " أن يظل سكان الأراضي المحتلة تحت حماية قواعد القانون الدولي " ولما كان الخطاب مرسل إلى شخصية خاصة هي اللورد روتشيلد، وهو مواطن بريطاني، كيما يبلغه إلى منظمة دولية لم تكن في ذلك الوقت شخصًا من أشخاص القانون الدولي فإن الوعد من ناحية القانون الدولي لا قيمة له .

٥- إن إعلان بلفور متعارض أساسًا مع ميثاق (عصبة الأمم) الذي ينص في المادة (٢٠) : " على أن أعضاء العصبة يعترفون، كل فيما يخصه، بأن الميثاق الحالي يلغي أي التزامات أو اتفاقات لا تتفق مع نصوصه، وهم يتعهدون علنًا ألا يتعاقدوا على مثلها في المستقبل، وإذا كان عضو ما قبل انضمامه إلى العصبة قد تحمل التزامات لا تتوافق مع نصوص الميثاق فيجب أن يتخذ الإجراءات العاجلة للتخلص من هذه الالتزامات " .

وقد قدم الكاتب آرثر كوستلر دون شك أفضل تعريف بهذا الخطاب حين قال :

" إنه وثيقة تَعد فيها قوميةٌ قوميةً أخرى رسميا بأرض قومية ثالثة، مع أن القومية التي بُذِل لها الوعد لم تكن قومية حقا بل كانت جماعة دينية، والأرض عندما وُعد بها كانت تابعة لقومية رابعة، هي تركيا " (١)

---

(1) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، و د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " وزارة التربية والتعليم المصرية مطابع روز اليوسف ص ٢٢٢ .

وقد كان المقصود بإعلان بلفور أن يستبق ألمانيا والنمسا في التأثير على يهود الإمبراطوريات الوسطى وروسيا؛ لأن الحلفاء كانوا بحاجة إلى روسيا وإلى اليهود في وقت واحد .

ثم إن الزعماء الإنجليز لم يدعوا أدنى شك حول المغزى الحقيقي لإعلان بلفور، كتب ونستون تشرشل يقول: " إن إعلان بلفور لا ينبغي أن يعتبر وعدًا مبذولاً لأسباب عاطفية، لقد كان إجراءً عمليا اتخذ لمصلحة القضية المشتركة، حينما كانت خدمة هذه القضية لا يمكن أن تتجاهل أي عامل لدعمها ماديًّا ومعنويًّا " (٢)

ولم يتوقف دور بلفور في دعم الصهيونية على تصريحه الشهير بل استمر في دعم الصهيونية عدة سنوات ففي يونيه عام ١٩٢٢، ألقى خطاباً في مجلس اللوردات البريطاني يحث فيه بريطانيا على قبول فرض الانتداب على فلسطين، وتقدَّم بمسودة قرار الانتداب لعصبة الأمم، كما شارك في افتتاح الجامعة العبرية عام ١٩٢٥ وقد بيَّن بلفور تصوُّره لمستقبل فلسطين في إحدى المذكرات حيث قال : إن الصهيونية ، سواء أكانت على حق أم كانت على باطل ، خيِّرة كانت أم شريرة ، فإنها ذات جذور متأصلة في "تعاليم قديمة وحاجات حالية وآمال مستقبلية" (غربية) . ولذا، فإن أهميتها " تفوق رغبات وميول السبعمائة ألف عربي " قاطني هذه الأرض . وقد أكد بلفور في مذكرة أخرى أن الحلفاء لم يكن في نيتهم قط استشارة سكان فلسطين العرب .

وانطلاقاً من إدراك الأهمية الجغرافية / السياسية لفلسطين، طلب بلفور أن تكون فلسطين متاحة لأكبر عدد من المهاجرين (الذين رفض بلفور من قبل دخولهم إنجلترا) وأن تُوسَّع حدودها لتشمل الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن . (3)

---

(1) آرثر كوستلر: تحليل معجزة . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) ستيفن دايز وجاكوب دى هاز " المخادع الكبير " ص ٢٨٨ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(3) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية م٦ ج١ الباب الثالث : الوعود البلفورية . مرجع سابق .

وبعد انتهاء الحرب توالت المذكرات العربية والصهيونية على المسئولين من دول الحلفاء ، وعلى مؤتمر الصلح ، فقد طالب الشريف حسين بن علي (شريف مكة) - الذي ساعد إنجلترا في هزيمة العثمانيين وإجلائهم عن المشرق العربي نظير وعد من انجلترا باستقلال العرب إذا انتصرت في الحرب - إنجلترا بأن تنجز وعدها معه . بينما طالبت الحركة الصهيونية بالاعتراف بالحق التاريخي لليهود في فلسطين ، وحقهم في إقامة وطن قومي لهم هناك على النحو التالي :

١- وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني .

٢- العمل على تطبيق تصريح بلفور .

٣- إقامة مجلس تمثيلي ليهود فلسطين .

فاتفقت فرنسا وانجلترا على أن تكون فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي ، وأن تلتزم الحكومة البريطانية بتنفيذ تصريح بلفور دون إشارة إلى العرب صراحة مع أنهم يشكلون أغلبية سكان فلسطين ، وبذلك تكون عصبة الأمم المتحدة التي أقرت نظام الانتداب قد تخلت عن واحد من أهم أهدافها ألا وهو مساعدة الشعوب على أن تحكم نفسها بنفسها ، وسارت في طريق إبادة عرب فلسطين وتهويدها . (١)

سياسة الانتداب البريطاني في فلسطين

إن " الانتداب البريطاني" مهما كانت الأعراض الطارئة التي أحدثها تَلَهُّف الصهيونيين للتعجيل بمجرى الأحداث - يتصف باتجاه حدَّده منذ عام ١٩٢١ السير هيوبرت يانج أحد مديري وزارة المستعمرات بقوله: "إن المشكلة التي يتعيَّن علينا أن نَحُلَّها هي أننا نستَهْدِف إيجاد تكتيك، وليس إستراتيجية، والفكرة الإستراتيجية العامة التي أتخيَّلها هي التهجير التدريجي لليهود إلى فلسطين، إلى أن نُؤَمِّن لهم أغلبية

(1) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٢٣

ساحقة في البلاد... بيد أنه من المشكوك فيه أن نكون بحيث نعترف للعرب بما تَعْنيه سياستنا في الواقع " (١)

عندما اجتمعت عصبة الأمم عام ١٩٢٢ قررت يوم ٢٤ / ٧ / ١٩٢٢ وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، دون استشارة الشعب الفلسطيني مخالفة بذلك المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم التي تنص على أنه " يجب أن يكون لرغبات هذه الشعوب المقام الأول في اختيار الدولة المنتدبة " ، كما تقضي المادة ٢٢ أيضًا " وضع رفاهية الشعب الفلسطيني ومصالحه نصب عين الدولة التي يتم اختيارها بواسطة ذلك الشعب لتقوم بأمانة الانتداب " وهذا ما لم تقم به بريطانيا بل عمدت بعد الانتداب على الاعتراف بالوكالة اليهودية (عام ١٩٢٩) ووافقت على نقل مقرها إلى القدس ثم ألفت إدارة مدنية حلت محل الإدارة العسكريَّة وعينت يهوديًّا كأول مندوب سامي لها في فلسطين ، وشجعت بريطانيا الهجرة الصهيونية بصورة شرعية وغير شرعية فارتفعت نسبة السكان اليهود في فلسطين .

وعندما عارض الجنرال السير لويس بلوس المندوب السامي البريطاني في فلسطين السياسة الصهيونية في فلسطين عُزل في يوليو ١٩٢٠ واستُبدل به السير هربرت صمويل، الصهيوني الدولي، الذي كتب عنه زعيم التنظيم الصهيوني العالمي حاييم وايزمان عام ١٩٢١ قائلاً :

" كنت المسئول الأول عن تَعْيين السير صمويل في فلسطين، فهو صديقنا، وقد قَبِلَ هذه المهمَّة الصَّعبة بناءً على طلبنا، فهو صموئيلنا " (2)

شكَّل هربت صمويل إدارة عليا ذات طابع صهيوني وصدرت القوانين التي تنقل الأراضي المملوكة للدولة إلى اليهود ، والقوانين التي تُسَهِّل انتقال الأراضي بالشراء

---

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق ، مدخل . فلسطين ما هي ؟

(2) ذكره ج. ب. آلم في كتابه: يهود وعرب ص ١٢٦ نقلا عن كتاب " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الثالث : أسباب نجاح الصهيونية السياسية .

أو بالتنازل من أيدي العرب إلى اليهود ، وكانت رءوس الأموال الصهيونية مستعدة لتغطية طلبات أي بائع حتى ولو كانت الأسعار مرتفعة ، فالمهم الاستحواذ على الأرض . (١)

كيف زاد عدد اليهود في فلسطين واتسعت أملاكهم ؟

فور تولي هربت صمويل الحكم في فلسطين تسارع نمو الاستيطان اليهودي الصهيوني فيها بشدة بوساطة الحماية البريطانية، لقد كانت فلسطين عام ١٩١٨ بلدًا عربيًّا شبيهًا بكل البلاد العربية الأخرى، وكانت نسبة اليهود فيه لا تتعدى ٨ % ارتفعت هذه النسبة في إحصاء نوفمبر عام ١٩٣١لتصل إلى ١٧% ثم إلى (٣١%) عام ١٩٤٨ .

أما فيما يخصُّ الأرض، ففي عام ١٩١٨ كان السكان اليهود يملكون ٢% من الأرض، وفي نهاية الحماية البريطانية تضاعفت هذه المساحة إلى ثلاثة أضعاف، فكانت المِلكيَّة غير القابلة للتَّصَرُّف للشعب اليهودي قد وصلت إلى ٦% وتقع في أجود الأراضي وأفضلها ريًّا .

وكانت مِيزانية الحماية البريطانية من حظ الصهيونية، فخلال الحماية انتقل الوطن من ٨٠,٠٠٠ ألفًا من السكان عام ١٩٢٢ إلى ٦٤٠,٠٠٠ ألفًا عام ١٩٤٨ وكانت الحركة الصهيونية مالكة لمدنها ، وأراضيها ، وصناعتها ، وجيشها . (٢)

ثورات الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيوإنجليزي

ونظرًا للسياسة البريطانية الظالمة الداعمة للصهيونية والمُفَرِّطة في حقوق الفلسطينيين العرب فإن العرب قاموا بثورات ضدَّ الاحتلال المزدوج، الصهيوني

---

(1) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٢٣ .

(2) لمزيد من التفاصيل حول الإحصاءات الخاصة بتلك الفترة راجع " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق، الفصل الثالث .

والإنجليزي، في إبريل عام ١٩٢٠ وفي مايو ١٩٢٠ وفي أغسطس ١٩٢٩ ثم كانت ثورتي : ١٩٣٦ ، ١٩٣٩ م .

وكانت ثورة ١٩٢٩ في مبدأها (حرب فلاحين) فلاحين بلا أرض طردتهم الوكالة الصهيونية حين اشترت الأرض من الملاك الكبار أصحاب الملكية العقارية، وهم في أغلب الأحيان يقيمون بالخارج . فبين عامي : ١٩٢٢ و١٩٢٩ مثلاً كان أكثر من ٩٨% من الأرض المَبيعة لجماعات من كبار الملاك، مهم ٩٦% غير مقيمين بفلسطين .

ويعترف المؤرخون الأكاديميون اليهود أنه لم يكن هناك أي عداء بين العرب واليهود قبل افتضاح المخطط الصهيوني الرامي إلى طرد الفلسطينيين من أرضهم وتوطين يهود العالم مكانهم بل على العكس تمامًا فقد نَعِمَ اليهود بالعيش في ظل الحكم الإسلامي نعيمًا لم يروا مثله على مدى تاريخهم كله .

يقول المؤرخون اليهود : " ومن المثير أن الصهاينة الأوائل كانوا ينظرون بعين الرضى إلى الثقافة العربية، وإلى المعاملة الحيادية بعامة التي تلقاها اليهود تحت الحكم الإسلامي . ولقد اتجهت أنظار الصهاينة نحو الثقافة العربية والدين الإسلامي كحضارة مثالية يمكن أن تتسامح في وجود وطن أو دولة يهودية داخلها، وذلك جزئيًا، كرد على العنف الفظيع الذي كان يهود أوروبا الشرقية يعانون منه على يد جيرانهم المسيحيين .

لكن الصراع ، والعنف الذي وقع في النهاية بين اليهود والعرب في فلسطين تحت الانتداب البريطاني وضع حدًا لهذه النظرة ، ولقد ساهم هذا الصراع العسير الذي أنزل الكارثة على اليهود والعرب في الشرق الأوسط منذ ذلك الوقت في المواقف السلبية في كلا الجانبين " (١)

---

(1)الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٦٩

ويلاحظ تجاهل اليهود الأسباب الحقيقية التي ولَّدَت الصراع والعنف بين الفلسطينيين والصهيونيين وهي اغتصاب الصهيونيين للأراضي الفلسطينية وطرد أهلها منها .

يحلل كرستوفر سايكس كيف نشأت المشكلة فيقول : " إن مشكِلة الأرض فِي فلسطين إنما تنشأ أسَاسًا مِن بيع مساحات شاسعة من الأرض بوساطة ملاك مُتَغَيِّبين مُوكِّلين إلى أفراد وإلى نقابات صهيونية ، وهناك شَرْطٌ مُعْتَاد في هذه البيوع هو طرد شاغليها .

أما التعساء الذين عاشوا غالبًا على هذه الأرض خلال أجيال عديدة فإنهم يرون أنفسهم مطرودين من أرضهم ومحرومين دون تَعْويض عن وسيلتهم الوحيدة للبقاء. إن المستأجرين المطرودين وهم الضحايا الحقيقيون للهجرة اليهودية هم جَوْهَر المشكلة الفلسطينية " (1)

هؤلاء الفلاحون العرب ، بلا أرض، ولم يتح لهم العمل لدى المُلاك الجدد الصهيونيين، لأن ميثاق المؤسسة القومية اليهودية كان يحرم تشغيل العرب في أملاك الصهيونيين .

فميثاق الوكالة اليهودية الذي صُودِقَ عليه في ١٤ من أغسطس عام ١٩٢٩ في زيورخ يقرر أنه " في جميع الأعمال والمشروعات التي تنفذها الوكالة اليهودية يجب الالتزام بالمبدأ الأساسيّ، وهو إستخدام عمال يهود " .

بل إن منطق هذه السياسة الصهيونية ذاته، والمُتَمَثِّل في إبْعَاد العرب عن فلسطين هو الذي أدى إلى ثَوْرَات جدِيدة للفلسطينيين خلال الأعوام من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩

وهكذا كان موقف المحتل الإنجليزي واضحًا إلى جانِب انْتشار الصهيونية .

---

(1) (كريستوفر سايكس (Order wingate) لندن ١٩٥٩ ص ١٠٦). نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

ويعترف مؤرخو الدولة الصهيونية بالدور الإنجليزي الفاعل لإقامة دولة يهودية في فلسطين " خلال العقود الثلاثة للانتداب البريطاني، اتسع نطاق الزراعة، وأنشئت مصانع صغيرة، وتم شق طرق جديدة في مختلف أنحاء البلاد. واستغلت مياه نهر الأردن لإنتاج الطاقة الكهربائية، كما استغلت الطاقات المعدنية الكامنة في البحر الميت. " (1)

وعندما بدأ هتلر ونظام حكمه النازي في اضطهاد اليهود ، أخذت جموع اليهود تتدفق على فلسطين الجهة المفضلة لدى اليهود الألمان ، خاصة أن الحكومة الإنجليزية والوكالة اليهودية كانت تمد يد المساعدة بكل كثافة إلى المهاجرين لكي يستقروا في فلسطين .

هجرات اليهود إلى فلسطين

وإليك ثبْتاً بهجرات اليهود إلى فلسطين لبيان المؤامرة الصهيونية على الشعب الفلسطيني وأرضه :

١ - الهجرة الأولى ، استمرت خلال الفترة من عام (١٨٨٢ - ١٩٠٣) وضمت عدداً يصل من ٢٠ - ٣٠ ألف مهاجر يهودي .

٢ – الهجرة الثانية امتدت من عام (١٩٠٤ - ١٩١٤) تقريباً وضمت عدداً يتراوح بين (٣٥ - ٤٠) ألفاً من اليهود .

٣- الهجرة الثالثة التي امتدت من عام (١٩١٩ - ١٩٢٣) وضمت حوالي ٣٥ ألف يهودي .

٤- الهجرة الرابعة امتدت من عام (١٩٢٤ - ١٩٣١) وضمت حوالي ٨٢ ألف يهودي .

---

(1) نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الإنترنت .

٥- الهجرة الخامسة : واستغرقت السنوات من (١٩٣٢- ١٩٤٤) وضمت حوالي ٢٦٥ ألف يهودي ، وهو أعلى رقم بلغته أفواج المهاجرين إبان الانتداب.

وقد استمرت الهجرة بعد ذلك، ووصل إلى فلسطين ١٩٢ ألف مهاجر، وجاء بعد الحرب العالمية مجموعة من ١٦١ ألفاً معظمهم «مهاجرون غير شرعيين».

ويمكن القول بأن عدد اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨ قد بلغ ٦٤٩,٦٢٣ يهوديًا . وبلغ عدد اليهود الذين هاجروا بعد إنشاء الدولة حتى عام ١٩٥١ حوالي ٦٨٧ ألف . ومنذ عام ١٩٦٩ بدأ تدفُّق جديد للمهاجرين اليهود . (١)

عندما أصبحت أمريكا الراعي الرسمي للمشروع الصهيوني

أثبتت شركات البترول الأمريكية العاملة فيه أن منطقة الخليج العربي تعوم على بحيرة من البترول ، وأن من يسيطر على الشرق الأوسط يستطيع أن يسيطر على العالم لذا قررت أن تنزع المشروع الصهيوني من إنجلترا وأن تتولى الإشراف عليه مزايدة على إنجلترا في مساعدة الصهيونية فطالبت بفتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود إليها دون قيد ، تمهيدًا لإنشاء دولة يهودية لا وطنا لليهود كما نص تصريح بلفور .

مؤتمر بلتيمور

التقت المصالح الأمريكية مع مطامع الصهيونية ، وفي مايو عام ١٩٤٢ عُقِدَ اجتماع فِي فندق بلتيمور، فِي نيويورك ضم الصهاينة الأمريكيون والأوربيون في نيويورك مع ممثلي المستوطنين في فلسطين كما حضره " هاري ترومان " نائب الرئيس الأمريكي حينئذ ، والرئيس الأمريكي ابتداءً من عام ١٩٤٥م إلى ١٩٥٣ وتمخَّض الاجتماع عن برنامج سُمِي برنامج بلتيمور جاء فيه ما يلي :

١- إنشاء قوة دولة يهودية .

---

(1) راجع " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " د. عبد الوهاب المسيري م ٧ ج٢ الباب الثالث " التهجير " . مرجع سابق .

٢- تشكيل قوة عسكرية تحارب تحت علمها الخاص تأكيدا بأن الشعب اليهودي له قوميته ، وله علمه ، وله الحق في الالتحاق بهيئة الأمم المزمع إقامتها بعد إنتاء الحرب .

٣- فتح أبواب فلسطين للهجرة المطلقة إليها بلا قيد .

٤- منح الوكالة اليهودية حقوقا إدارية وتنظيمية داخل فلسطين تمهيدا لاستلام اليهود أمور الحكم والإدارة في فلسطين .

٥- إلغاء الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ . (١)

وبهذا المؤتمر تخلت الصهيونية عن خطابها المراوغ وكشفت عن حقيقة مخططها في صراحة وجرأة بعدما اطمأنت أن الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة العالم الجديد لا تدعم المشروع الصهيوني فحسب بل إنها أصبحت الراعي الرسمي له .

وكما يقول " ألان تايلور " أحد مؤرخي الحركة الصهيونية: "وهكذا ظهر على السطح الآن وضوح الهدف الخفي الذي رافق الصهيونية دوماً". ولم يجانب هذا المؤرخ الصواب ولا حاول أن يفرض تفسيراً متعسفاً على الأحداث أو الكلمات. فقد وصف المجتمعون في فندق بلتيمور في مدينة نيويورك برنامج بلفور بأنه "تطبيق كامل لبرنامج بازل". وكل ما حدث هو أن بعض الفراغات قد مُلئت، وبعض العبارات الصامتة قد استُنطقت، وبعض العبارات الهلامية قد تحدَّدت (ومع هذا استمر التزام الصمت تجاه مصير السكان الأصليين). وقد ظل برنامج بازل ساري المفعول (مع تفسير بلتيمور) إلى أن تم تعديله بعد إنشاء الدولة . (2)

وقد صُودِقَ على (برنامج بلتيمور) في ٢٢ من مايو ١٩٤٥ من الوكالة اليهودية، ثم قدم إلى إنجلترا على أنهُ كلِمة نهائية تحدد للمرة الأولى صراحة الأهداف التالية

---

(1)د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " ص ٢٢٧ .

(2) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٦ ج١ الباب السادس الخطاب الصهيوني المراوغ . مرجع سابق .

ـ لا وطن قومي في فلسطين، بل دولة يهودية في كل فلسطين، بجيشها الخاص بها.

ـ هجرة غير محدودة تهيمن عليها الوكالة اليهودية وحدها .

ـ سوف تخصص التعويضات الألمانية لبناء الدولة الصهيونية .

إن هذا تحول حقيقي في الصهيونية، يمكن إدراكه على النحو التالي :

أولاً : فمنذ مؤتمر بال عام ١٨٩٧ م وإعلان بلفور عام ١٩١٧م لم يكن معلنا سوي مسألة (وطن قومي يهودي) في فلسطين، أما مسألة (دولة مسيطرة على كل فلسطين) فقد كان الزعماء الصهاينة يفكرون فيها دائما، ولكنهم لم يتحدثوا عنها أبدًا (على الأقل رسميًا).

والهجرة اللا محدودة تحت هيمنة الوكالة اليهودية وحدها ـ كانت تعني إجازة عطلة لإنجلترا، لقد حاولت حقا أن تفي بوعودها في إعلان بلفور، ومن خلال الحماية، وهي ترتب في ظروف معينة حقوق (السكان غير اليهود) لقد صدّر الكتاب الأبيض لمكدونالد عام ١٩٣٩ باطلا، وصارت إنجلترا في الغرب أثقل التضحيات، وخرجت منها مستنزفة الدم، مدنها رماد وإمبراطوريتها مقوَّضة، ومن ثم إختار الزعماء الصهاينة في بلتيمور حاميًا لهم، أكثر قوة (الولايات المتحدة) التي كانت لها منذ ذلك الحين الهيمنة على العالم الغربي كله.

وأخيراً، فإن طلبهم ألا تُدفعَ التعويضَات الألمانية للضحايا اليهود، حيث ينبغي أن تكون، بل إلى دولة إسرائيل، يعني أن الصهيونية هي الممثل الوحيد لليهود في العالم، في حين أنهم لم يكونوا حتى ذلك الحين سوي أقلية ضعيفة.

لقد أثار مُنْعَطف بلتيمور الذي سجل إنطلاق سيطرة الصهيونية السياسية، الأكثر قومية، على جميع التنظيمات اليهودية الأخرى في العالم، بما في ذلك الصهيونية الدينية العالمية ـ أثار هذا المنعطف بعض الاحتجاج . (١)

---

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني الفصل الثالث " أسباب نجاح الصهيونية السياسية " . مرجع سابق .

في عام ١٩٣٨م كان ألبرت أينشتين قد أدان هذا الاتجاه ، وكتب : " في رأيي ربما كان أكثر معقولية أن نصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة مُشْتَرَكَة سليمة، من أن ننشئ دولة يهودية. إن شعوري بالطبيعة الجوهرية لليهودية يصطدم بفكرة دولة يهودية ذات حدود وجيش ومشروع سلطة زمنية، وإني لأخشى الخسائر الداخلية التي سوف تتعرض لها اليهودية بسبب من تطورها في طبقتنا إلى قومية ضيقة، فنحن لم نعد يهود مرحلة المكابيين ، ولئن عدنا قومية بالمعنى السياسي لِلكلِمةِ ، فذلِك يَعْدِل أن نَحِيْد عن رَوحَنةِ مجتمعنا التِي ندين بها لعبقرية أنبيائنا " (1)

وصرح مارتن بوبر في نيويورك بأن " الرواد (اليهود) جاءوا إلى فلسطين لأنهم لم يجدوا في أي مكان سواها معنى لحياتهم أو كمالا، فلم يكن يعنيهم أن يقيموا دولة سياسية، بل كانوا يريدون أن يبنوا مجتمعًا إنسانيًا جماعيًا، لم يكن شيء ما جاهزا في علاقاتنا مع العرب، ولكن كان هناك بصفة عامة حسن جوار بين قرية يهودية وقرية عربية.

هذه المرحلة العضوية من الاستِقرار في فلسطين استغرقت حتى عهد هتلر، وجاء هتلر فدفع بجموع من اليهود إلى فلسطين، لم يكونوا صفوة من الناس، جاءوا يقضون حياتهم ويعدون للمستقبل، وهكذا أعقبت النمو العضوي المنتقى هجرة جموع دفعتها الضرورة إلى البحث عن قوة سياسية توفر لها الأمان. وقد فضلت أغلبية اليهود أن تتعلم من هتلر لا منّا. وقد أوضح هتلر أن التاريخ لا يتبع طريق الروح بل طريق السلطة، وأنه عندما يكون شعب ما قويًا فإنه يستطيع أن يقتل دون أن يناله عقاب. وتلك هي الحال التي كان علينا أن نصارعها، فاقترحنا في جماعة " أحود " ألا يكتفي اليهود والعرب بأن يتعايشوا، بل لا بد أن يتعاونوا . فلعل هذا يجعل تنمية

(1) موشى منوحم " انهيار اليهودية في عصرنا ص ٣٢٤ ". نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

الشرق الأدنى الاقتصادية أمرا سمكنا، وبذلك يكون بوسع الشرق أن يقدم لمستقبل الإنسانية إِسْهَامًا كبِيرًا وجَوْهَرِيًّا " . (1)

ومن أجل تطبيق برنامج بلتيمور قامت الوكالة اليهودية بدعاية واسعة النطاق عما اقترفه هتلر النازي من جرائم بشعة ضد يهود ألمانيا وشرق أوروبا ، وزعمت أن عدد من قتلهم النازي أو احرقهم حوالي ستة ملايين ضحية ، وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية شحنت الوكالة اليهودية عشرات الألوف من ألمانيا إلى فلسطين بشكل أزعج سلطات الانتداب البريطاني حيث إن البلاد ما كانت لتستوعب هؤلاء إلا على حساب العرب هناك .

وعندما اعترضت حكومة الانتداب على فتح أبواب فلسطين هكذا أمام الهجرة اليهودية التي بلغت مائة ألف دفعة واحدة لجأت المنظمات إلى الولايات المتحدة الأمريكية فطلبت من انجلترا وبأسلوب شديد اللهجة أن تفتح أبواب فلسطين للمهاجرين الجدد ، وما كانت انجلترا حينئذ بقادرة على معارضة الولايات المتحدة الحليفة الأقوى التي لولاها لما نزلت الهزيمة بألمانيا . (٢)

وكانت انجلترا قد حاولت أن تسيطر على الأمور في فلسطين وأن تحد من إرهاب العصابات الصهيونية ، ومن هجرات اليهود ، ومن تهويد فلسطين ، وأن تراعي الحد الأدنى لحقوق الفلسطينيين لذا أعلن اللورد موين، وزير الدولة الإنجليزي، بالقاهرة في ٩ من يونيو ١٩٤٣ م في مجلس اللوردات أن اليهود لم يكونوا أحفاد العبرانيين القدماء، وليس لهم شرعًا أن يستردوا الأرض المقدسة، وقد كان نصيرًا لتهدئة الهجرة إلى فلسطين، فاتُّهِمَ حينئذ بأنه عدو عَنِيد للاستقلال العبراني . (3)

---

(1) مارتن بوبر (جويش ينوزلتر عَدَد ٢ من يونيو ١٩٥٨) نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٢٧

(3) إسحاق زار " إنقاذ وتحرير، نصيب أمريكا في ميلاد إسرائيل " . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

وفي ٦ من نوفمبر ١٩٤٤م اغتيل اللورد موين في القاهرة على يد عضوين في مجموعة شتيرن .

وما كان لانجلترا لتسكت على تحول المشروع الصهيوني الذي رعته وأشرفت على تنفيذه بهدف تحقيق مصالح مشتركة لليهود والإنجليز معا إلى مشروع نازي هتلري يشرف عليه عصابات إجرامية لا تعرف إلا القتل والإرهاب وسيلة لتحقيق أطماعها . لذا فإنه كان على الحكومة الإنجليزية أن تتحرك لتنقذ مشروعها من أيدي هؤلاء المجرمين .

ففِي ١٧ من نوفمبر ١٩٤٤م أعلن ونستون تشرشل رئيس الوزراء، فِي مجلس العموم تصريحه : " إذا كانت أحلامنا من أجل الصهيونية يجب أن تتلاشى فِي دخان مسدسات القتلة، وإذا كانت جهودنا من أجل مستقبلها قد أنتجت عصابة جدِيدة من قُطَّاع الطُّرُق الجدِيرين بالانتماء إلى ألمانيا النازية، فإن هناك كثيرين مثلي سوف يُعِيدُونَ النَّظَر فِي موقِفهم الذِي كان دائِمًا موقِفنا، وإذا كان هناك أمل في مستقبل سلمي للصهيونية فإن هذه النشاطات الملعونة يجب أن تتوقف، كما يجب أن يُحَطَّمَ أولئِك المسئولون عنها، أن يبادروا ويعدموا " .

وبدلاً من تحسين العصابات الصهيونية علاقتها مع إنجلترا شريكتهم في المشروع أرادت العصابات الصهيونية سرقة المشروع لصالحها ، ولصالح الراعي الجديد (أمريكا) وحرمان انجلترا ليس من المشروع فحسب بل من البقاء في فلسطين . ففجرت فندق داود الذي كانت تقيم فيه القيادة العسكرية للحكومة الإنجليزية .

ففي ٢٢ من يوليو عام ١٩٤٦م وقع انفجار بجناح فندق الملك داود، بالقدس، حيث كانت تقيم القيادة العامة العسكرية للحكومة الإنجليزية وقد أودى الانفِجار بحياة واحد وتسعين شخصًا بينهم ٢٨ بريطانياً . وكان هذا عملاً من أعمال مناجم بيجن قائد منظمة (الأرجون) ، الذِي أعلن مسئوليته عنه . وكشف عن منهج العصابات

الصهيونية في تلك المرحلة وهو : " بالدم والنار والدموع والدخان، وبنوع جديد من الإنسانية، نوع مجهول تماما لِلعالِم، منذ أكثر من ألف وثمانمائة عام (اليهودي المحارب) قبل كل شيء، يجب أن نبدأ الهجوم، سوف نهاجم القتلة، فمن الدم والعرق سوف يولد جيل فخور كريم قويّ. " (1)

وهكذا كان جزاءُ الإنجليز على مساعدتهم للصهيونية جزاءَ سنمار (2) فبعد أن مَكّن الإنجليز للصهيونية في فلسطين لم يعد للصهيونيين حاجة إليهم ، إذ إنهم لم يعودوا بعد عملية السحق التي تَمَّتْ يَخشَون غضب العرب، فلم يبق عليهم إلا أن يطردوا الإنجليز ليصبحوا سادة البلاد .

ولو استعرضنا الخدمات التي قدمتها انجلترا للصهيونية لأخَذنا العجبُ من تصرف الصهيونيين تجاه انجلترا بتوجيه إرهابهم إليها لا لشيء إلا لأن انجلترا أحست أن سياستها الداعمة للصهيونية قد فجرت ثورات فلسطينية عديدة ، ومقاومة ضد اليهود والإنجليز شديدة ؛ وخلقت رغبة صهيونية في التخلص من الإنجليز أكيدة ، لذا حاولت إنجلترا التمسك بإقامة وطن قومي لليهود لا دولة يهودية ، والحد من الهجرة اليهودية لا إطلاق العنان لها ، والمحافظة على أبسط حقوق عرب فلسطين لا استئصالهم . كل هذا من أجل الحفاظ على حقها في هذا المشروع أولاً ، وعلى الاستقرار داخل أرض فلسطين ثانيًا ، وامتصاص غضب البلاد العربية ثالثًا . فكان جزاء الإنجليز أن شملهم الإرهاب الصهيوني بسبب هذه السياسة .

كيف نشأت دولة إسرائيل؟

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية رأت المنظمات الصهيونية أن دور انجلترا في التمهيد لقيام دولة يهودية قد انتهى ، وأن وجود إنجلترا في فلسطين أصبح عقبة في

---

(1) مناحم بيجن " التمرد قصَّة الأرجون " . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) " جزاه جزاء سنمار " هو مثل عربي شهير ، وسنمار هذا مهندس رومي، بني قصرا عظيما بالكوفة للملك النعمان ، فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخر ميتاً، و فعل ذلك لئلا يبني مثله لغيره. فضربت العرب به المثل لمن يجزي بالإحسان الإساءة. (مجمع الأمثال للميداني)

سبيل قيام الدولة اليهودية ، وأنه من الضروري انتقال رعاية المشروع الصهيوني من إنجلترا إلى الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد ضمان إيمان الرئيس الأمريكي ترومان بالمشروع الصهيوني فما كان نجاح ترومان وحزبه الديمقراطي في انتخابات الرئاسة الأمريكية سنة ١٩٤٥م ليتم إلا بالأموال الباهظة التي أنفقها اليهود .

وكان نتيجة ذلك أن شكلت الولايات المتحدة وانجلترا لجنة انجليزية أمريكية في نوفمبر ١٩٤٦م لإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية ، وكان الهدف من تشكيل هذه اللجنة العمل على تحقيق المصالح الصهيونية في فلسطين لذا جاءت قرارات هذه اللجنة على النحو التالي :

١- فلسطين ستكون دولة يهودية .

٢- فتح باب الهجرة اليهودية .

٣- حرية انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود .

وحاولت الحكومة البريطانية عن طريق عقد مؤتمر في لندن الوصول إلى حل مّا إلا أن الصهيونيين رفضوا حضوره إلا إذا وافقت بريطانيا على قيام دولة يهودية في فلسطين ، وحضره العرب وكشفوا فقط عن مخطط إبادة اليهود لعرب فلسطين ، ولمّا انتهى المؤتمر على هذا النحو أعلنت انجلترا نفض يدها من المشكلة ووضعها بين يدي الأمم المتحدة . (١)

دعت بريطانيا الجمعية العامة للأمم المتحدة للاجتماع في دورة غير عادية في مايو ١٩٤٧ حيث قررت الجمعية اختيار لجنة تحقيق لتحضير تقرير عن مسألة فلسطين . وقدمت اللجنة تقريرها الذي اقترحت فيه تقسيم فلسطين على دولتين

---

(١) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٢٨

مستقلتين مع اتحاد اقتصادي ، وتدويل مدينة القدس ، ووافقت الجمعية العامة على التقرير وأصدرت قرارها الشهير رقم ١٨١ بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ باعتماد ذلك المشروع وبتكليف مجلس الأمن باتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذه ، وصوتت الحكومات العربية بالرفض على قرار التقسيم ، ولكنه أجيز بأغلبية ٣٣ دولة ضد ١٣ ، وامتنعت ١١ دولة عن التصويت .

وأجمع ممثلو الدول العربية في كلماتهم على أن الحل الوحيد لقضية فلسطين الذي يتفق مع العهود المقطوعة للعرب هو إنهاء الانتداب ، وإنجاز استقلال فلسطين في ظل دولة واحدة ديمقراطية تعترف بجميع حقوق مواطنيها وتمنح الضمانات للأقليات فيها .

أما الوكالة اليهودية فقد أعلن مندوبها في الجمعية العامة للأمم المتحدة عن موافقته على مشروع القرار وجاء في كلمته " إن الوكالة اليهودية تقبل جميع التوصيات التي أيدتها لجنة التحقيق بإجماع الآراء .

إن قرار التقسيم يؤكد هذه المؤامرة الحقيرة على فلسطين وشعبها لذا سنقف وقفة لنبين ما جرى في كواليس الأمم المتحدة لضمان صدر قرار التقسيم .

كيف صدر قرار تقسيم فلسطين

إن حل تَقسِيم فلسطين صدر عن الجمعية العامة لِلأمم المتحدة، في ٢٩ من نوفمبر عام ١٩٤٧م، وفي ذلك التاريخ كان اليهود يُكَوِّنُــونَ ٣٢ % من السكان، ويملكون ٥,٦% من الأراضي، وإذا بالدولة الصهيونية تتسلم ٥٦% من الأراضي، بما في ذلك أخصب المناطِق الزراعية .

وعن كيفية الوصول إلى قرار التقسيم يقول جارودي : " ولقد أتاح التصويت على هذِهِ الخطة مجالا لمؤامرات حقيرة؛ ففي ١٨ من ديسمبر عام ١٩٤٧م وقف عضو الكونجرس الأمريكي لورانس سميث، فذكر هذه المؤامرات أمام الكونجرس، وقال:

"فلْنَنْظُر ما جرى في جمعية الأمم المتحدة خلال الاجتماع السابق من تصويت على التقسِيم، كان لابد أن يُصَوِّت ثُلُثَا الأصوات إلى جانِب القرار للموافقة عليه . لقد أُعِيدَ التصويت مرتين . وفي أثناء ذلِك تَعَرَّضَ مندوبو ثلاث دول صغيرة لضغط قوي . لقد كانت الأصوات الحاسمة هي أصوات : هاييتي، وليبيريا، والفلبين، ولقد كَفَتْ هذه الأصوات لإحراز أغلبية الثُّلُثَيْن، وكانت هذه البلاد قبل ذلك مُعْتَرِضَة على التَّقْسِيم . إن الضغوط التي مارسها مندوبونا، ورجالنا الرسميون، وبعض المواطنين الأمريكيين تعتبر عملا ذميمًا . " (١)

وكتب دروبيرسون في صَحيفة شكياغو ديلي، في ٩ من فبراير عام ١٩٤٨م مُحَدِّدًا هذه النقاط : " لقد سعى هارفي فايرستون، مالك مزارع المطاط في ليبيريا لدى الحكومة الليبيرية ..".

ومَارَسَ الرئيس ترومان ضَغْطًا لا مثيل له على رياسة الدولة، وكتب نائب رئيس الوزراء سمنرولز يقول: " اِسْتِجَابَةً لأوامر مباشرة من البيت الأبيض مَارَسَ الموظفون الأمريكيون ضغوطاً مباشرة أو غير مباشرة. حتى يُؤَمِّنُوا الأغلبية الضرورية عند التصويت النهائي . " (٢)

ويؤكد وزير الدفاع ـ آنذاك ـ جيمس فورستال أن "الطُّرُق المستخدمة لِلضَّغْطِ، ولإكراه الأمم الأخرى في نطاق الأمم المتحدة، كانت فضيحة . " (٣)

وأما عن أسلوب "الضغوط" التي مارسها "اللوبي" الصهيوني، وضغوط "التصويت اليهودي" فقد اعترف الرئيس ترومان نفسه أمام مجموعة من الدبلوماسيين، عام ١٩٤٦م فقال :

---

(1) مضبطة الكونجرس في ١٨ من فبراير عام ١٩٤٧م ص ١١٧٦. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) سمنرولز " نحن لا نحتاج إلى السقوط "بوسطون، بوجتون ميفلين، ١٩٤٨م، ص ٦٣ . نقلا عن "فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(3) مذكرات فورستال ص ٣٦٣ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

" إنّي آسف، أيها السادة، ولكن ينبغي أن أجيب مئات الألوف من الناس الذين ينتظرون نجاح الصهيونية، وليس عندي مئات الألوف من العرب بين ناخبيَّ . " [١]

ويقرر رئيس الوزراء الإنجليزي القديم إيرل كليمنت أتلى في مذكراته هذه الشهادة : " إن سياسة الولايات المتحدة، في فلسطين كانت خاضعة للتصويت اليهودي، ولمساعدات الشركات اليهودية الكبرى ." [٢]

لقد اتُّخِذَ قرار التقسيم بوساطة الجمعية العامة، لا بوساطة مجلس الأمن، فقد كان له - إذن - قيمة التوصية، لا قيمة القرار واجب التنفيذ !!

لم يكن الفلسطينيون وحدهم يرفضون هذا التقسيم، فإن أرجون "مناحم بيجن" أعلنت آنذاك أن هذه التجزئة غير قانونية ، ولا يمكن الاعتراف بها، ودَعَت اليهود : " لا إلى طرد العرب فحسب ، بل إلى الاستيلاء على كل فلسطين . " [٣]

الدول العربية وقرار تقسيم فلسطين

لقد حاولت الوفود العربية – آنذاك - كسب تأييد العرب الأمريكيين لصالح حقوق شعب فلسطين وإسقاط قرار التقسيم عند التصويت عليه في الجمعية العامة للأمم المتحدة ولكنهم فوجئوا أن " أن هؤلاء العرب الأمريكيين لم يبق منهم من يعرف اللغة العربية ، بل اندمجوا في الكتلة الأمريكية اندماجا تاما "[٤]

وذهبت كل الخطب التي قيلت باللغة العربية أدراج الرياح " على أن الخطب الكثيرة التي ألقاها العرب باللغة الإنجليزية قد أقنعت هؤلاء الأمريكان من أصل عربي بأن الاتجاه إلى تقسيم فلسطين اتجاه ظالم ، وفتحت أعينهم على ما نَبَّه إليه

(1) وليام إدي " فرانكلين روزفلت يقابل ابن سعود" نيويورك، الأصدقاء الأمريكيون للشرق الأوسط عام ١٩٥٤م ص ٣٧ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(2) كليمنت آتلي "رئيس الوزراء يتذكر" فرانس ويليام ـــ ط هينمان لندن ١٩٦١م، ص ١٨١. نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(3) مناحم بيجن " التمرد: قصة الأرجون " ص ٣٣ ٥ نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(4) د. محمد حسين هيكل " مذكرات في السياسة المصرية " دار المعارف ج٣ / ص ٣٧

الخطباء العرب من اتجاه السياسة الصهيونية إلى التوسع حتى تمتد دولتهم من الفرات إلى النيل ، لكنهم لم يكونوا يملكون أن يصنعوا شيئا من مثل ما يصنعه اليهود الأمريكيون . فلم تكن للعرب سياسة كالسياسة الصهيونية تقررت منذ عشرات السنين، فالعرب يعملون لتنفيذها بصبر ومثابرة كصبر اليهود ومثابرتهم . ولم تؤيد دولة قوية واحدة سياسة العرب كما أيدت الولايات المتحدة وأيدت روسيا سياسة الصهيونيين . لهذا لم يكن لهذه الحفلة الأمريكية العربية من الصدى ما تخطى حدود فندق بنسلفانيا إلا قليلا " (١)

إن العرب فشلوا في إقناع الرأي العام العالمي بعدم تقسيم فلسطين في حين نجحت الصهيونية في كسب تأييد أمريكا القوى العظمى فالرئيس الأمريكي ترومان أعلن في افتتاح الجمعية العامة في الجلسة الأولى لبحث مسألة فلسطين " أعلن فيه أن الحكومة الأمريكية تنظر إلى مقترحات اللجنة التي أشارت بتقسيم فلسطين بعين التقدير والاعتبار " (٢)

وكان العرب يتخيلون أن السوفيت قد يعاونهم جريًا على سياستهم في معارضة أمريكا معارضة مطردة في كل موقف قد تتخذه ، وجاء قرار روسيا مخيبا لآمال العرب إذ أعلنت موافقتها على تقرير لجنة التقسيم .

وكان من الطبيعي أن يأتي تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح تقسيم فلسطين .

حرب فلسطين ١٩٤٨

بعد صدور قرار التقسيم أعلنت حكومة بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين في ميعاد غايته ١٥ مايو ١٩٤٨م ، وكانت كل التطورات لصالح اليهود حيث كان لديهم القوات المدربة ، والأموال الكثيرة ، والدعم الدولي وعلى رأسه القوتان العظميان :

(1) نفسه ص ٣٨
(2) نفسه ص ٢٨

الولايات المتحدة ،والاتحاد السوفيتي . بينما كانت البلاد العربية التي تدعم الحق العربي في فلسطين مشغولة هي الأخرى في تحرير نفسها من الاحتلال الأجنبي .

وعندما كانت آخر القوات الإنجليزية تغادر فلسطين أُعْلِن قيام دولة إسرائيل ، واعترفت بها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ومعظم دول العالم .

وليت العرب عرفوا قدرهم ، وأقروا بعجزهم ، وقدَّروا قوة عدوهم واعترفوا بقرار الأمم المتحدة لهان الأمر ولجنبوا أنفسهم ويلات حروب لا نصيب لهم فيها إلا الهزائم النكراء .

ولكن الذي حدث على النقيض من هذا فالحكام العرب أرادوا أن يضيفوا إلى هزيمتهم السياسية هزيمة عسكرية أيضا تأتي على الأراضي الفلسطينية الباقية !!

فبدلاً من دعم الدول العربية للفلسطينيين وقوات المتطوعين لمنع التقسيم ، أو الإقرار بالأمر الواقع الذي فرضه ضعفهم وقوة عدوهم وتواطؤ القوى العظمى ضدهم بقبولهم لقرار التقسيم بعدما فشلت كل الجهود الدبلوماسية في التوصل لأفضل منه بدلا من هذا وذاك ، راح العرب - كما هي عادتهم - يلجئون إلى الخطب الرنانة وإثارة الحماسة الدينية والإقدام على المغامرات غير المحسوبة بغية تصفية حسابات مع بعضهم البعض ، والتنافس على توسيع حدود ممالكهم على حساب دولة فلسطين مستترين وراء الدفاع عن المقدسات الدينية والأرض العربية مزايدين في القومية على أعدائهم من القوى السياسية الذين يرون أن الجهاد الحقيقي إنما يكون من أجل جلاء الاحتلال الأجنبي وإقامة الدستور وتطبيق الديمقراطية ، وتوجهوا إلى الجماهير العربية التي سبق أن ساموهم الخسف والعذاب ، والفقر والجهل والمرض راح هؤلاء الحكام المستبدون يمالئون الجماهير العربية التي كانت تضج بالحماسة للقضية الفلسطينية وتجعلها في مقدمة اهتمامها وقرروا – دون انتظار موافقة حكوماتهم – تحريك الجيوش إلى فلسطين للقضاء على اليهود في غضون أيام قلائل هكذا أوحى حكام العرب لشعوبهم !

وليت أنهم أعدوا للحرب عدتها بل أرادوها مظاهرة عسكرية ليس إلا فالجيوش العربية " كان تكوينها أصلا مُعَدًّا على أساس القيام بالعمليات البوليسية وبغرض إظهار المظهرية فقط "(١) لذا فلا عجب أن يهملوا جمع المعلومات عن قوة العدو الصهيوني ، ليس ذلك فحسب بل إن أعداد القوات التي أرسلوها للقتال لا تتناسب فقط وعدد العرب آنذاك (الذي كان يصل إلى سبعين مليون نسمة ، بالإضافة إلى أربعمائة مليون مسلم في مقابل ستمائة ألف يهودي) بل لا يتناسب مع عدد اليهود المشاركين في المعركة !!

كما نسي هؤلاء الحكام إخطار القيادات العسكرية المشاركة في الحرب إلا في آخر لحظة ، أما عن مقدرة القيادات العسكرية على خوض المعارك ، والتخطيط لها والتنسيق بين الجيوش ، وتدريب الجيوش على القتال وعلى الخطط الحربية فحدث ولا حرج .

وكانت الجيوش العربية قليلة العدد ضعيفة القيادة عديمة الخبرة والتدريب الحديث ضئيل التسلح كان عليها أن تدخل " في مواجهة إسرائيل بصلابتها . كانت الدول العربية تقف في جبهة مفككة يعوزها التنظيم وتفتقر إلى الوحدة ، رجال السياسة فيها عاجزون وركبتهم الأوهام ومتأكدون من تفوقهم لدرجة أنهم اعتقدوا أنه يكفي جمع المعلومات عن العدو في اللحظات الأخيرة قبل القتال ، ويفسر الباحثون هذا الجهل بالتناقض الحاد في الحساسيات والتقديرات التي تميز مشكلة فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ، وقد انعكس ذلك على العرب حيث لم يتخذوا الأهبة ولم يجروا استعدادا ولم يضعوا أي خطة جادة لمتطلبات الحرب ولم يكن همهم الأول إنزال الهزيمة بالعدو والانتصار عليه وإنما مراقبة بعضهم البعض تربصا وخيفة وحتى في أثناء العمليات العسكرية والاشتباكات المستمرة كان المصريون يخشون الملك عبد الله أكثر مما يخشون بن جوريون على حد ما يراه أحد الباحثين" (٢) وفي الجلسة

(1) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٦ دار المعارف ط١
(2) نفسه ص ١٦ مرجع سابق

السرية التي عقدها النقراشي (رئيس الوزراء المصري آنذاك) للرد على استجواب من فؤاد سراج الدين حول الحرب قال " إن نوري السعيد قد عرض عليه تكوين قيادة مشتركة ، ولكنه رفض لأنه " لا يستطيع أن يتحمل متاعبهم ، ولا يود أن يضع رقبته في أيديهم " (١)

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل : عن الدول العربية التي شاركت في حرب فلسطين : " إن هذه الدول العربية هي التي أضاعت ٧٨،٥% من أرض فلسطين، هل ممكن أن تتخيل أن هذه الدول العربية مجتمعة كلها وَضَعَت في ميادين القتال :

أولا : ما لا يزيد عن ثلاثين ألف جندي على كل الجبهات، في حين أن إسرائيل وضعت ١٠١ ألف جندي ومتطوع .

ثانيا : كان عند إسرائيل على أقل تقدير من ١٢٠: ١٣٥ جنرالا كانوا موجودين في الحرب العالمية الثانية يهود في الجيش السوفيتي في الجيش الأميركي في الجيش الفرنسي وقد استدعوا جميعا لكي يقودوا المعركة .

ثالثا : نحن – العرب - لم يكن لدينا فكرة عن الحرب ولم نكن داخلين لكي نحارب. نحن كنا داخلين بالاتفاق مع الدول المسيطرة، إنجلترا بالتحديد، أننا سوف نبقى في حدود قرار التقسيم . فدخلنا ملتزمين حدود التقسيم لم نتجاوزها، لم يتجاوزها منا أحد.

رابعا : لمَّا اكتشف اليهود ضعفنا بدءوا يتجاوزون الحدود لدرجة أنهم اخترقوا الحدود المصرية وكادوا يطوِّقون الجيش المصري . (٢)

فإذا كان حال الجيوش العربية بهذا الضعف ، والوحدة العربية بهذا التفكك ، والحكام العرب بهذا العداء و التخوين ، فلماذا أقدم حكام العرب على الحرب ؟

والجواب ببساطة أو بمرارة أن حكام العرب كان غرضهم من دخول الحرب ليس دحر العصابات اليهودية وإعادة حقوق الشعب الفلسطيني له أنما كان التحاسد والتباغض بين بعضهم البعض هو الغاية المنشودة من هذه الحرب فقد كان " الملك

---

(1) أحمد حمروش " ثورة ٢٣ يوليو " الجزء الأول ص ١٣٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(2) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان ج١ " مرجع سابق .

فاروق يضمر الحسد من الملك عبد الله " (١) فلكل منهما أهداف من الحرب مخالفة للآخر ولقد سعى كل واحد منهما إلى تكوين تحالفات لإفشال خطة الآخر " فالأردن تؤيده العراق أراد التدخل عسكريا كي يؤمن أجزاء من فلسطين التي خُصِصَتْ للدولة العربية حسب خطة التقسيم في حين أن مصر تؤيدها السعودية أرادت أن تعوق خطة الأردن / العراق بإلغاء التقسيم " (٢) .

لذا جاء قرار الملك عبد الله " بإلغاء منظمة الجهاد المقدس الفلسطينية ، وجميع القوى والعصابات التابعة لها ، وإلغاء جيش الإنقاذ المؤلف من المتطوعين ، وطلب إلغاء الهيئة العربية العليا لفلسطين ، ووضعت خطة محكمة لإبعاد الفلسطينيين من ميدان الجهاد والسياسة ، وعن كل ما يتعلق ببلادهم ومستقبلهم وحياتهم " (٣) .

لقد جاءت هذه القرارات متسقة مع إستراتيجية الملك عبد الله التي " بدت وكأنها تسير في توافق مع بن جوريون فما كاد يستأنف القتال وتنهزم قواته في اللد والرملة – أو يسحبها عمدا – في مؤامرة بين جلوب والصهيونية ، حتى قرر الملك عبد الله إيقاف القتال بدون انتظار قرار مجلس الأمن "(٤) تاركا القوات المصرية تنهزم وتطرد مما استولت عليه من أراض (النقب) .

ويذكر لنا الأستاذ محمد حسنين هيكل حكاية عن الملك عبد الله قائد الجيوش العربية تظهر كيف كان الملك عبد الله يفكر ؟ وكيف كانت المعركة تُدار ؟

" ذهبت إلى عمان وجاءت عليها غارة، غارة من طائرة واحدة إسرائيلية ضربت قنبلة قرب قصر رغدان في نفس اليوم الذي جاء وزراء الخارجية العرب يقابلون الملك عبد الله لأنه كان قائد الجيوش العربية كلها المفروض القائد الأعلى، لكي يقرروا وقف

(1) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٧ مرجع سابق
(2) نفسه ص ٢٨ .
(3) السيد محمد أمين الحسيني " حقائق عن قضية فلسطين " مرجع سابق ص ٢٤ ط ٢ .
(4) د. محمد نصر مهنا " صور من المشكلات السياسية في العالم المعاصر " ص ١٨ مرجع سابق..

إطلاق النار أم لا ، فأنا طلعت المقر لقيت الملك عبد الله يتمشى في القصر صباحا بعد ما جاءت الغارة امبارح بالليل وفرضوا إطفاء نور كامل في عمان، وأنا طالع على قصر رغدان، قصر رغدان منور، فأنا رحت لقيته يتمشى في الجنينة منتظرا وزراء الخارجية، قلت له : يا أفندم القصر منور عمان تحت مظلمة، قال لي : " أنت عايز يقولوا إن ملك هاشمي أطفأ أنواره خوفا من اليهود ؟ أنا امبارح لما جاءت الغارة أنا لم أسكت أنا خرجت بره القصر وأخذت رشاشا ومعي مناور وهو صار يرصد الطائرة وأنا أطخ !! "

ما هذا ؟ هل هذه حرب ؟ الحرب تحتاج أولاً إلى علم ، وتحتاج ما هو أهم ، تجنيد موارد ، تحتاج ما هو أهم إلى تراكم تجارب . (١)

ولم ينس حيدر باشا متواطئا مع الملك فاروق أن يخفي حقيقة ما يجري على أرض فلسطين فراح يصدر البيانات الكاذبة عن حقيقة الوضع في المعركة " كانت أنباء القتال كما تصفها البلاغات الرسمية مطمئنة إلى حد يشعر معه من يقرؤها أو يسمعها أن الدول العربية توشك أن تدخل تل أبيب . من أجل هذا لم يتحمس الرأي العام لفكرة وقف القتال أو إعلان الهدنة . " (٢)

وجرت اتصالات بين الدول العربية أسفرت عن قبول الهدنة لمدة ثلاثة أسابيع لأنهم يعرفون بواطن الأمور الخافية على الشعوب .

ولم تستغل الدول العربية الهدنة بتزويد جيشها بالعدة والعتاد ، كما أنها لم تعمل على تنظيم صفوفها وأحكام خططها وفقا لسير المعركة ومع ذلك رفضت مد الهدنة ثلاثة أسابيع أخرى واستمرت البلاغات الرسمية الكاذبة تمني الناس بقرب دخول تل أبيب ! " وإنهم لكذلك إذ أذاعت هذه البلاغات الرسمية أن جناح الجيش الأردني

---

(1) محمد حسنين هيكل برنامج " مع هيكل " حلقة خاصة بمناسبة مرور ستين عاما على إنشاء دولة إسرائيل " فلسطين حق يأبى النسيان ج١ " مرجع سابق .

(٢) د. محمد حسين هيكل " مذكرات في السياسة المصرية " الجزء الثالث ص ٤٨ مرجع سابق

المتصل بالجيش المصري ، والمرابط في بلدتي اللد والرملة ، قد تخلى عنهما ، فاستولى عليهما اليهود . ومن يومئذ بدأت حركات الجيوش العربية تبعث إلى النفوس شيئا من الريبة ، وإن أبى الناس أن يصدقوا أن قوة إسرائيل تستطيع أن تتغلب على جيوش الدول العربية الست المشتركة في القتال . وبدأ الناس يسمعون بعد ذلك عن تخلي بعض الجيوش العربية عن البعض الآخر ، وعن تجسس بعض العرب الفلسطينيين لحساب اليهود . لذا بدأ التفاؤل الأول يذوي شيئاً فشيئاً . " (١)

واستمر القتال بين العرب واليهود ينتقل من السيئ للأسوأ بالنسبة للعرب . وبدأت القوات العربية تنسحب من مواقع احتلتها كبئر سبع الذي سبق أن استولت عليه القوات المصرية بتضحيات وخسائر فادحة ، وازداد الأمر سوءا بحصار اليهود لقوات من الجيش المصري في الفالوجا .

وفي تلك الأثناء سعى الكونت فولك برنادوت وسيط الأمم المتحدة لوضع أساس للصلح بين إسرائيل والدول العربية فلما فشلت مساعيه الحميدة في التوصل لصلح رأي أن يرفع إلى الأمم المتحدة تقريرا برأيه في الموقف وطريقة حله . وقد رفع هذا التقرير بالفعل واقترح فيه أن تعطى منطقة النقب للعرب ، وأن يعوض اليهود عن ذلك بأن يعطوا منطقة الجليل الغربي المجاورة للبنان . وكان هذا التقرير سيعرض في الجمعية العامة للأمم المتحدة حين ينعقد بباريس في شهر سبتمبر من سنة ١٩٤٨ .

ونظرًا لأن هذا التقرير كان أفضل الحلول للقضية آنذاك فإن اليهود قاموا باغتيال الرجل النزيه برنادوت مبعوث الأمم المتحدة لأن تقريره يقضي على أحلامهم التوسعية ونظر الناس في كل الأمم إلى التقرير الذي وضعه على أنه وصية لرجل شريف ، وأن من واجب الأمم المتحدة أن تقر هذه الوصية وتنفذها . ما عسى أن يكون موقف الدول العربية من هذه الوصية ؟

---

(1) نفسه ص ٤٩ .

لقد كانت تدرك أن لها مصلحة كبرى في قبولها . وكانت إنجلترا وأمريكا قد بعثت إليها تبلغها أنها إذا قبلتها وجدت تأييدًا تاما من الدولتين الكبيرتين ومن مجموعة الدول الدائرة في فلكهما ، وهذه المجموعة تؤلف أغلبية عظمى في الجمعية العامة للأمم المتحدة . ولم يكن ثمة ريب في أن إسرائيل ستقف كل جهدها في سبيل هذه المقترحات التي أدت إلى أن يقتل اليهود برنادوت ، فهي إن فعلت انقلبت الكفة في الأمم المتحدة وأصبح العرب موضع عطفها بعد أن كان اليهود موضع هذا العطف .

لكن الدول العربية نظرت إلى المسألة من ناحية أخرى فهي إن أقرت مقترحات برنادوت أقرت التقسيم الذي طلبته الأمم المتحدة ، والتي قامت الدول العربية في وجهه وحاربته بقواتها المسلحة . (١)

وهنا تتجلى آفة من أعظم آفات كثير من العرب تغليب ما قد يراه كرامة شخصية أو مصلحة ذاتية على مصلحة الأمة ، أو بمعنى آخر أن الحاكم العربي على استعداد أن يضحي بمصلحة الأمة في سبيل محافظته على زعامته الجوفاء ، فسياسته للأمة مبنية على موروث جاهلي وهو أن العداوات دائمة والمصلحة غائبة ، وهذا مما أضر بالعرب أبلغ الضرر قديمًا وحديثاً مع أن من حسن السياسة أن " المصالح هي التي تدعو إلى قيام الحرب واشتعال العداء ، والمصالح هي التي تدعو إلى عودة السلام ، وكما قال لوريان لمرستون : " لا عداء دائم ولا صلح دائم وإنما مصلحة دائمة" (٢)

وفي النهاية أدت السياسة العربية الخرقاء إلى هزيمة القوات العربية ، واستيلاء القوات الإسرائيلية ليس فقط على الأجزاء التي خصصتها الأمم المتحدة بمقتضى قرار التقسيم لكن الاستيلاء على أجزاء أكثر منها بكثير ، واضطرت البلاد العربية المواجهة (مصر ، والأردن ، وسوريا ، ولبنان) إلى عقد اتفاقيات الهدنة (هدنة

(1) نفسه ص ٥٢ .

(2) السفير محمد التابعي " الدبلوماسية في الإسلام " ص ١٣٤دراسات قومية تصدر عن مركز النيل للإعلام .

رودس) عام ١٩٤٩م ، وأعلنت الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا في عام ١٩٥٠م ضمان هذه الحدود الجديدة لإسرائيل .(١)

وقد كتب بن جوريون نفسه يقول: "إنه حتى رحيل البريطانيين لم تخترق أية مستعمرة يهودية، حتى ولو كانت مُتَطرِّفة بعيدة، أو يستول عليها العرب، في حِين أن الهاجاناه بما وجهت من هجمات قوية وكثِيرة - إستولت على كثِير مِن المواقع العربية، وحررت طبرية، وحيفا، ويافا، وصفد " (٢)

واختصارًا، يخطئ من يقول: إن دولة إسرائيل أنشِئت بوساطة الأمم المتحدة، فلقد أنشِئت بمجموعة مِن الأحداث شكلت "الأمر الواقِع" .

رسم المؤرخون الإسرائيليون الجدد صورة أكثر واقعية تقترب إلى حد ما من الرواية الفلسطينية لوقائع حرب ١٩٤٨، والتي تبين أن المطامع الصهيونية قد تم تحقيقها على حساب السكان الفلسطينيين وأن العرب أبعدوا عن طريق الطرد، وقد أظهر المؤرخون الجدد أن العالم العربي لم يكن لديه قوة عسكرية مخيفة، بل كان مفككا يتكون من دول متخلفة، بعض حكامها متواطئ مع الصهاينة، وجيوشها سيئة التدريب وقدراتها القتالية شديدة التدني كل هذا يؤدي إلى نزع البطولة عن اليهود بل بين هؤلاء المؤرخون الجدد أن إسرائيل دولة متعنتة، ترفض السلام وقد اعتمد هؤلاء المؤرخون الجدد المادة الأرشيفية التي رفعت عنها السرية بعد مرور ثلاثين عاما. (٣)

كيف حوّلت الصهيونية أسطورة أرض بلا شعب إلى حقيقة ؟

ولم يكن مخطط تهجير اليهود إلى فلسطين وطرد الفلسطينيين منها معلنا بل تم إخفاؤه فشعارات مثل "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" و"إرتس يسرائيل التي تمتد

---

(1) د. عطية القوصي ، د. عبد العزيز نوار ، د. عاصم الدسوقي وغيرهم " الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب الحديث " مرجع سابق ص ٢٣٠

(2) دافيد بن جوريون "بعث وقدر إسرائيل " ص ٥٣٠ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

(3) " قاموس المصطلحات الصهيونية " موقع السلطة الوطنية الفلسطينية على الإنترنت .

من النيل إلى الفرات" أو " إعادة يهود الشتات إلى أرض الميعاد " و" نفي العرب من بلادهم وتحويلهم إلى لاجئين " كل هذه الشعارات قد تم إخفاؤها عن طريق استخدام الخطاب الصهيوني المراوغ .

فعندما انضمت إسرائيل لمنظمة الأمم المتحدة – بإرادة الولايات المتحدة الأمريكية - في ١١ مايو ١٩٤٩ فإنها لم تقبل عضوا إلا بثلاثة شروط هي :

١- عدم المساس بوضع مدينة القدس .
٢- السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم .
٣- احترام الحدود التي وضعها قرار التقسيم .

ولكن بن جوريون أعلن في معرض حديثه عن التقسيم وعن القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة : " ترى دولة إسرائيل أن قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٧ يعتبر باطلا وكأنه لم يكن " (١)

وعندما بدأ الصهاينة مجازرهم ضد الفلسطينيين في ظل قرار التقسيم بدأت حركة التهجير وأخذت في طريقها في مرحلة أولى ٣٠٠ ألف فلسطيني لفت نظر العالم إليهم مبعوث الأمم المتحدة " الكونت برنادوت " الذي اغتاله الإرهاب الصهيوني في اليوم التالي لتقديمه التقرير الذي طلب فيه بتعديل قرار التقسيم على نحو أكثر ملاءمة للواقع . ثم كانت حرب ١٩٤٨ التي انتهت بطرد ٧٢٦ ألف فلسطيني من أرضهم ومدت سيطرة الدولة الصهيونية إلى نحو ٨٠ % وهكذا أقيمت دولت إسرائيل ، وطرد نصف سكان فلسطين . (٢)

وكان الأسلوب المستخدم والمتبع لطرد الفلسطينيين هو أسلوب الترهيب والتخويف والمثل الصارخ على ذلك هو مذبحة دير ياسين في التاسع من أبريل عام ١٩٤٨ والتي تمت بطريقة مماثلة لطريقة النازي في أورادور ، فقد تم قتل أهالي هذه

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٥٧

(2) فيصل أبو خضرا " تاريخ المسألة الفلسطينية " مرجع سابق ص ٢٧، ٢٨ بتصرف يسير .

القرية البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة (الرجال والنساء و الأطفال والشيوخ) على أيدي قوات الأرجون التي كان يرأسها مناحم بيجين .

يقول مناحم بيجين تعليقا على هذه المذبحة : " إنه بدون هذا الانتصار (!) في دير ياسين ما قامت دولة لإسرائيل ... وقد قامت الهاجاناه بهجمات مظفرة على جبهات أخرى .. وكان العرب الذين أصابهم الهلع يهربون وهم يصيحون : دير ياسين " (1)

وقد اعتبر حكام إسرائيل كل فلسطيني غادر منزله - من هَوْل المذابح الإسرائيلية – غائبا لا حق له في العودة وبهذه الطريقة صُودِر ثلثا الأراضي المملوكة للعرب (٧٠,٠٠٠ هكتار من ١١٠,٠٠٠) وظل هذا المخطط متبعا حتى بلغ ما يملكه الفلسطينيون في عام ١٩٨٢ هو ٧ % من أرض فلسطين فقط .

ولمحوا ذكرى وجود السكان الفلسطينيين والتأكيد على أسطورة " أرض بلا شعب دُمِرت القرى الفلسطينية وهُدِّمت منازلهم وحتى قبورهم ، وقد أورد الأستاذ شاحاك عام ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية فلسطينية دُمِرت بالبولدوزر وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت مُسَجَّلة في عام ١٩٤٨ (2)

واستبدلت بالقرى الفلسطينية مستوطنات إسرائيلية ، وازداد هذا الاستبدال منذ ١٩٧٩ في الضفة الغربية ، وطبقا للتقاليد الاستعمارية الكلاسيكية ، وهي تسليح المستوطنين ، تم طرد مليون ونصف مليون فلسطيني وأصبحت " الأرض اليهودية " تمثل اليوم ٩٣ % من فلسطين بعد أن كانت ٥,٦ % عام ١٩٤٧ .

وقد حُرِّف " قانون العودة " لصالح اليهود فأي يهودي قادم من أي مكان يصبح مواطناً إسرائيليًّا بمجرد أن تطأ أقدامه مطار تل أبيب ،أما الفلسطيني المولود في فلسطين ومن أبويين فلسطينيين فيجوز اعتباره عديم الجنسية !

---

(1) راجع " اليهود والصليبيون الجدد " للمؤلف الطبعة الثانية الفصل الخامس " أشهر مذابح اليهود " . مرجع سابق .

(2) إسرائيل شاحاك " عنصرية دولة إسرائيل " ص ٢٥٢ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٦٣ .

ومن المدهش حقاً أن توصل الصهيونية إلى تحقيق الغرض الذي وضعه لهم المعادون للسامية وهو انتزاع اليهود من أوطانهم وحبسهم داخل جيتو عالمي .

الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين

أن الدولة الصهيونية "إسرائيل" لم تولد من وعد، أو هِبَة مِن الرب، ولا حتى بقرار مِن الأمم المتحدة، ولكِنها وُلِدَتْ مِن العنف المسلح، ومن "الأمر الوَاقِع". الذي صنعته العصابات الصهيونية : الهاجاناه، والأرجون، شتيرون .

فلم يكن الاستيطان الصهيوني ليتم إلا بالإرهاب والعنف ، وطالما ردد بن جوريون " أن الإمبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات وأن إسرائيل لا يمكن أن تعيش إلا بالقوة والسلاح " .

وقد جاء في كتاب " التمرد أو الثورة " لفيلسوف العنف الإسرائيلي مناحم بيجين "موضحا منهج وفلسفة العصابات الصهيونية : " قال ديكارت أنا أفكر إذن أنا موجود ، وأقول أنا أقتل إذن أنا موجود " .

وعن نتائج العنف يقول بيجين في كتابه " من مجموع ٨٠٠ ألف عربي كانوا يعيشون على بقعة إسرائيل الحالية عام ١٩٤٩ – حيث كتب كتابه بالعبرية – لم يبق غير ١٥٦ ألف عربي ، ولقد مهدت دير ياسين الطريق لانتصاراتنا الحاسمة في طبريا واحتلال يافا "

كما يقول " أوري أفنيري " في كتابه " إسرائيل بدون صهيونيين " ص ١٣٤ :

" نحن جيل من المستوطنين ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة أو أن نبني بيتا "

ويقول " حاييم وايزمان " في مذكراته " التجربة والخطأ " :

" يستطيع الإنسان أن يلمس هنا وهناك تحللا للأخلاقية الصهيونية التقليدية ويلمس هنا وهناك مسحة من الروح العسكرية وارتماء في أحضانها بل وأكثر من ذلك

اللجوء إلى العنف والإرهاب والاستعداد للتعاون مع الشر كقوة لها فوائدها في تحقيق الوطن القومي لليهود "

وقد سيطرت فكرة العنف على وجدان العصابات الصهيونية فلم يكن المستوطن اليهودي فلاحًا وحسب بل كان أيضًا " الشومير " أي الحارس الذي يدافع عن الأرض التي سرقها ، وحيث إن الإرهاب كان سلاحا أساسيا ومباشرا لإجلاء الأرض من السكان الأصليين كان من الضروري تأسيس منظمات لها طابع مزدوج زراعي / عسكري حتى تترجم الرواية الصهيونية نفسها إلى واقع (١)

ويكتب أحد اليهود في صحيفة " هاملتس " الألمانية معللا لجوء اليهود الصهاينة إلى العنف فيقول :

" ماذا يفعل إخواننا (الصهاينة) في فلسطين إنهم عبيد في الدياسبورا (المنفى) وفجأة وجدوا أنفسهم أحرارا بلا حدود ولا رادع ، إن هذا التحول قد خلق في نفوسهم حالة من الميل إلى الاستبداد كحالة العبد عندما يتحول إلى سيد فهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة ثم يفاخرون بما يفعلون ...ورغم ذلك فليس هناك بيننا من هو قادر على الوقوف في وجه هذا الميل الخطير "

ولقد اشتركت المؤسسات الصهيونية على اختلافها في الإعداد للعمل الإرهابي حيث كانت التدريبات تجرى أسبوعياً في المدارس العبرية والدينية والمصانع الصغيرة والحمامات ودور العبادة اليهودية. وهكذا لم يكن النشاط الإرهابي عملاً على هامش الحركة الصهيونية. بل كان عملاً يرتبط بالوجود الصهيوني وبطبيعة الاستيطان . (٢)

---

(1) حسين الطنطاوي " الصهيونية والعنف " دار الشعب ص ٣٦.

(2) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود والصهونية " م٧ ج٣ الباب الثاني الإرهاب الصهيوني/الإسرائيلي حتى عام ١٩٤٨ .مرجع سابق .

المذابح الإسرائيلية وطرد الفلسطينيين

في عام ١٩٤٧ وعشية إنشاء دولة إسرائيل كان هناك ٦٠٠,٠٠٠ يهودي في فلسطين من مجموع السكان البالغ قدره مليون وربع مليون نسمة .

وهنا بدأ الاجتثاث المنظم للفلسطينيين فقد كان هناك قبل حرب ١٩٤٨ نحو ٦٥٠,٠٠٠ عربي يعيشون على أرض فلسطين ، وفي عام ١٩٤٩ لم يتبق منهم سوى ١٦٠,٠٠٠ عربي فقط ، وبسبب الخصوبة الشديدة وكثرة مواليدهم أصبحوا ٤٥٠,٠٠٠ في نهاية ١٩٧٠ ، وحسب إحصاء عام ١٩٩٨ بلغ عدد الفلسطينيين حوالي ٢,٥ مليون نسمة ، وبلغ عدد الفلسطينيين الكلى ٧,٧٨٨,١٨٦. يوجد معظمهم فى البلاد العربية، خاصة الأردن وسوريا ولبنان. وتوجد قلة منهم في الأمريكتين وأوربا . [1]

الحروب العربية /الإسرائيلية

إن ميلاد الدولة الصهيونية (إسرائيل) كان بفضل حربين :

١- الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) حيث اضطرت ضرورة الحصول على أكبر دعم ممكن ضد ألمانيا، في العالم، وبخاصة في أمريكا ـ اضطرت إنجلترا إلى إعطاء وعود بلفور عام ١٩١٧م.

٢- وفي الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) نجح الزعماء الصهاينة في فرض أسطورة صهيون، التي تعني إنشاء دولة إسرائيل ، وذلك حين رفضت كل البلاد أن تستقبل اليهود المضطهدين على يد النازيين، فكانت إسرائيل نتيجة حتمية للهتلرية وللسياسة الأمريكية التي تبنت المشروع الصهيوني .

وإذا كان تاريخ الدولة الصهيونية "إسرائيل" يبين أنها وُلِدَتْ بفضل حربين، فقد امتدت حتى الآن بفضل ستة حروب ، هي :

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٦٣– ١٦٥ بتصرف .

الحرب التي إنتهت عام ١٩٤٨م بالاستيلاء على أراضٍ تتجاوز الحدود التي رسمتها الأمم المتحدة فقد حصلت على ٧٧,٤ % من أرض فلسطين .

وحرب العدوان عام ١٩٥٦م، "بالتواطؤ مَعَ إنجلترا وفرنسا" وفيها استطاعت أن تستولي على سيناء ، ولم تنسحب منها إلا بعد أن أصبحت مسألة مرور السفن الإسرائيلية رافعة العَلَم الإسرائيلي في خليج العقبة أمرا واقعا ، تحميه قوة الطوارئ الدولية التي ترابط في شرم الشيخ .

وحرب عام ١٩٦٧م . فحرب ١٩٦٧ - وما ترتَّب عليها من احتلال الأراضي العربية في سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة - شكلت منعطفاً بارزاً في تاريخ التوسع الصهيوني باعتبار أن الكيان الصهيوني حقَّق أقصى اتساع له ووصل إلى الحدود الآمنة .

كما أن من أهم نتائج انتصار إسرائيل الساحق في ١٩٦٧ زوال الخلافات بين التيار الديني اليهودي المعادي للصهيونية وممارساتها الخارجة عن تعاليم التوراة واقترابه بل تطابقه مع التيار الصهيوني العلماني .

يقول د . عبد الوهاب المسيري " بعد احتلال ما تبقى من فلسطين في حرب يونيه ١٩٦٧، طرأ تحوُّل على مواقف معظم الأحزاب الدينية الصهيونية وغير الصهيونية من اعتبار هذه الحرب معجزة وإشارة ربانية إلى اعتبارها بداية الخلاص، وفي الأوساط الدينية غير الصهيونية انطلق الصوت الجديد من الولايات المتحدة، موطن زعيم حركة حبد، الحاخام شنيرسون. ويتلخص الموقف الجديد بالقول بأنه صحيح أن دولة إسرائيل بوصفها كياناً صهيونياً تعبير عن الكفر والتمرد على إرادة الله ، ولذلك فهي بالتأكيد ليست تعبيراً عن الخلاص، لكن، ومن ناحية أخرى، فإن أرض إسرائيل بسيادة يهودية تنطوي على مغازٍ ذات أهمية. ولذلك تدعو هذه الحركة إلى عدم التنازل عن أيٍّ من الأراضي التي احتُلت عام ١٩٦٧م ، وذلك من منطلق أحكام الشريعة الدينية .

لقد تأثر هذا الموقف منذ البداية بما سمي «المعجزات والإشارات السماوية» التي تجلت بالانتصارات في الحروب المختلفة، وخصوصاً حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٦٧. وقد اعتمد قسم من هذا التيار، في تأكيده عدم قدسية إسرائيل، على الفارق بين دولة إسرائيل وأرض إسرائيل، وعلى ذلك الجزء بالذات الذي لا يمثل مكاناً مهمًّا في التقاليد الدينية اليهودية. لكن، بعد احتلال عام ١٩٦٧، زال الفارق عملياً، وأصبح هناك تطابق بين أرض إسرائيل وهي مفهوم ديني وبين دولة إسرائيل وهي مفهوم سياسي علماني،وزاد اقتراب اتباع هذا التيار تدريجياً من الأوساط اليمينية في إسرائيل، أو لوبي أرض إسرائيل كما تُسمِّي هذه الأوساط نفسها .ومع أن هذا التيار ما زال غير صهيوني بالمعنى التقليدي، إلا أن تحوُّل أرض إسرائيل إلى قيمة دينية في نظره، جعله يقترب كثيراً من مواقف جوش إيمونيم . التي تعتبر حرب ٦٧ بداية الخلاص " (١)

وحرب عام ١٩٧٣م التي أوصلت إسرائيل إلى توقيع معاهدة السلام مع مصر في مقابل تخليها عن سيناء فقط . وبهذا خرجت مصر زعيمة الوطن العربي من الصراع ، مفسحة المجال لإسرائيل لتعربد في المنطقة .

وغزو لبنان عام ١٩٨٢م وحصار إسرائيل للعاصمة بيروت لمدة شهرين كاملين وإجلاء المقاومة الفلسطينية عن أرض لبنان .

وأخيرا غزو لبنان عام ٢٠٠٦ وتدمير إسرائيل للبنان تدميرًا شاملاً ، وإقصاء حزب الله عن الجنوب اللبناني الذي كان يحتله ويهدد منه شمال إسرائيل ، وإحلال قوات اليونيفيل بدلاً منه وهي قوات مهمتها منع أي هجوم محتمل على إسرائيل (٢)

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود والصهيونية " م٧ ج ٥ الباب الأول أزمة الصهيونية . مرجع سابق .

(2) لمزيد من التفاصيل حول غزو إسرائيل للبنان عامي ١٩٨٢ ، ٢٠٠٦ راجع كتاب " إسرائيل وحزب الله ولبنان " للمؤلف دار الإبداع .

وهكذا نجح الصهاينة – بالنار والدماء - في إقامة المشروع الصهيوني على أرض فلسطين بل اتسع ليشمل أراض عربية أخرى ، كما نجحوا ليس فقط في كسب الرأي العام العالمي لصالح هذا المشروع بل نجحوا في كسب تأييد الدول العظمى ، والدول ذات التأثير في السياسة الدولية لهذا المشروع .

لقد كانت بريطانيا هي الراعي الرسمي للمشروع الصهيوني من وعد بلفور ١٩١٧ إلى مؤتمر بلتيمور ١٩٤٢ ، لتتحول الرعاية إلى الولايات المتحدة بعد ذلك . والآن الولايات المتحدة الأمريكية هي الراعي الرئيسي نعم ، ولكنها ليست الراعي الوحيد فهناك شبه إجماع من الدول الغربية على أن إسرائيل هي ثابت من الثوابت. يجب حمايته والدفاع عنه بالحق والباطل .

في حين فشل العرب في إفشال المشروع الصهيوني عسكريا وسياسيا ، فلم ينجح العرب في شيء سوى في إزكاء نار الفرقة وإشعال الصراع العربي العربي طوال القرن العشرين ابتداء من صراع بعض الحكام العرب مع الخلافة العثمانية ، حتى احتلال صدام حسين للكويت مرورا بصراع الملك فاروق مع الملك عبد الله ، والحرب العربية الباردة –الساخنة أحيانا كما حدث في حرب اليمن ، وأيلول الأسود - إبان الحقبة الناصرية . لم يتحد العرب إلا في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ثم سرعان ما نشأ الصراع ثانية بين السادات وجبهة الرفض .

[وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بهم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ] (النحل : ٣٣ ، ٣٤)

[وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ] (الشورى : ٣٠)

إن ما يوصف بالتطرف يوماً يوصف بالاعتدال يوماً آخر بعد تغيير الحقائق على الأرض هذا هو القانون الصهيوني الذي مارسوه في صراعهم مع العرب . فبعد

إعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ كان الصهاينة الذين يطالبون بإنشاء دولة صهيونية يعدون " متطرفين " لأن الحد الأقصى المعلن آنذاك هو " وطن قومي " وحسب .

ولكن هؤلاء المتطرفين أصبحوا معتدلين في الأربعينيات حينما أصبح الشعار الرسمي للحركة الصهيونية هو إنشاء دولة صهيونية وقبول قرار التقسيم والعيش مع العرب في سلام ! ومن ثم كان الحديث عن كامل أرض إسرائيل وطرد العرب هو عين التطرف الصهيوني .

ولكن بعد أن قضمت إسرائيل أراض تتجاوز حدود الأرض المعطاة لها بمقتضى قرار التقسيم وبعد أن تم طرد العرب ، أصبح الاعتدال الصهيوني هو تجاوز قرار التقسيم والقبول بالأمر الواقع والتمسك بحدود ١٩٤٨ وببقاء الفلسطينيين خارج ديارهم .

وبعد حرب ١٩٦٧ كان التطرف الصهيوني هو التمسك بكل أو بعض الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ وبإقامة المستوطنات فيها . وبالتدريج تغيَّر مثل هذا الموقف الأخير، وأصبح الاعتدال هو قبول الأمر الواقع وتجميد المستوطنات مع الاستمرار في تسمينها (أي توسيعها) .

ينطبق الموقف نفسه على العرب بطبيعة الحال، فالمعتدل، من وجهة النظر الصهيونية، هو الذي يقبل الموقف الصهيوني المعتدل ويتغيَّر بتغيُّره. فالعربي الذي كان يقبل استيطان الصهاينة دون إنشاء دولة كان يُعدُّ (منذ عام ١٩١٧ وحتى الأربعينيات) معتدلاً، ولكنه أصبح متطرفاً بعد ذلك التاريخ.

ومن كان يقبل إنشاء الدولة اليهودية وقرار التقسيم عام ١٩٤٨ كان يُعدُّ عربياً معتدلاً، ولكن بعد إنشاء الدولة، أصبح مثل هذا الشخص متطرفاً. وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٦٧ حين أصبح الاعتدال العربي هو الرضوخ لحدود إسرائيل بعد عام

١٩٦٧ وأصبح تطبيق قرار ٢٤٢ أو حتى إنقاص المستوطنات في الضفة الغربية هو عين التطرف العربي .

المشروع الصهيوني والإجماع الصهيوني ينطلقان من الصيغة الصهيونية الشاملة المهوَّدة التي تفترض أن الجماعات اليهودية شعباً له علاقة عضوية بأرض فلسطين، وأن علاقة شعب فلسطين بأرض أجداده هي علاقة عرضية واهية هامشية تبرر عملية إبادتهم وطردهم (شعب يهودي بلا أرض لأرض بلا شعب فلسطيني). ومثل هذا المشروع لا يمكن تنفيذه إلا بحد السلاح وعن طريق الإرهاب . [1]

ومن الملاحظ أن الحفاظ على أمن إسرائيل هو دائماً الحجة التي تُساق لتحديد مفهومي الاعتدال والتطرف، وأن مواصفات هذا الأمن تحدده الدولة الصهيونية دائماً. ويُلاحَظ، في جميع الأحوال، غياب مفهوم العدل والتآكل التدريجي لمفهوم المقاومة إلى أن أصبح أي شكل من أشكال " المقاومة " شكلاً من أشكال التطرف والإرهاب !!

وقد تَسلّل مصطلحا التطرف والإرهاب بمرجعيتهما الصهيونية إلى الخطاب السياسي العربي وأصبح يُشار إلى " العمليات الفدائية " بأنها " عمليات انتحارية " .

وقبل أن نغادر هذه النقطة يجب أن نفرق بين المقاومة المشروعة وغير المشروعة حتى ننصف الحق وديننا الحنيف مما لحق بهما من أفكار هما بريئان منها.

حرمة النفس الإنسانية

لقد صان الله تعالى حرمة النفس الإنسانية فحرم قتلها وجعل الله تعالى من قتل نفسا واحدة – بغير حق – فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها – صان حرمتها وحافظ على حياتها – فكأنما أحيا الناس جميعًا .

---

(1) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ١ " التحدي الحضاري الإسرائيلي " . مرجع سابق .

{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } (المائدة:٣٢)

وعبر سبحانه بقوله (كتبنا) للإشارة إلى أن الأحكام التي كتبها ، قد سجلت بحيث لا تقبل المحو أو التبديل ، بل من الواجب على الناس أن يلتزموا بها ، ولا يفرطوا في شيء منها .

وخص بنو إسرائيل بالذكر مع أن الحكم عام لأنهم أكثر الناس سفكاً للدماء ، وقتلاً للمصلحين ، فقد قتلوا كثيرًا من الأنبياء ، كما قتلوا أكثر المرشدين والناصحين ، ولأن الأسباب التي أدت إلى قتل قابيل لهابيل من أهمها الحسد ، وهو رذيلة معروفة فيهم ، فقد حملهم حسدهم للنبي ﷺ على الكفر به مع أنهم يعرفون صدقة كما يعرفون أبناءهم ، كما حملهم على محاولة قتله ولكن الله - تعالى نجاه من شرورهم .

وما أشبههم في قتلهم للذين يأمرونهم بالخير بقابيل الذي قتل أخاه هابيل؛ لأنه أرشده إلى ما يصلحه . [1]

والكلام عن حرمة النفس الإنسانية عام لا يختص بالمسلم فقط عكس ما زعم وعاظ السوء من استحلال دم ومال غير المسلمين !! فراحوا يقتلون في خلق الله بغير حق وزعموا أن هذا جهاد في سبيل الله ، والله بريء مما يفعلون إنما هو جهاد في سبيل الشيطان ، فالآية الكريمة نصت على عموم النفس الإنسانية ولم تخصص نفس المسلمين .

ويجدر بنا في هذا المقام وقد كثر اللغط في هذا الموضوع ، وكثرت الجرائم التي راح ضحيتها الأبرياء بسبب الفهم الخاطئ لبعض المتفيقهين المتنطعين ، كنت أقول يجدر بنا في هذا المقام أن نوضح من الذي يجب قتاله من أعداء الله والإسلام، ومن يجب صيانة دمائهم ، وأعراضهم ، وأموالهم ؛ فقد أساء كثير من المسلمين فهم هذا

(1) د . محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ١٢٤١ .

الأمر وظنوا أن الإسلام حكم السيف في علاقته بغير المسلمين فإما أن تسلم وإما أن تقطع رقبتك .

أو أن الحرب تكون على كل جنس الأغيار غير مفرقين بين المحارب المقاتل ، والمدني المسالم ، وهذا الفهم المناقض للإسلام بل المناقض لكافة الأديان والقوانين مازال مسيطرا على فهم بعض قساة القلوب خفاف العقول جهَّال الدين والواقع ، وهذا القول لا يقبل من مسلم أيام المد الإسلامي والفتوح فكيف يقبل من مسلم يعيش أيام الانحسار الإسلامي والاحتلال الصليبي والهوان !!

والعجيب أنه في الوقت الذي يعتذر فيه أعداء المسلمين عن أية قتلى أو جرحى من المدنيين أثناء قتالهم للمجاهدين من العرب فإن بعض المسلمين يصرحون بأن الإسلام يبيح قتل المدنيين من غير المسلمين بل وينسبون لأسامة بن لادن – وهو شرف لم يدعيه – قتل المدنيين في برج التجارة العالمي في أحداث ١١ سبتمبر ، ويقومون بمظاهرات تأييد له ، وتعلو الفرحة وجوههم ، ويقولون هذا هو الجهاد الإسلامي .

ويَصِم الغرب الإسلام كله بالإرهاب من جراء أقوال وأفعال هؤلاء المتخلفين " في فلوريدا في اللافتة التي يكتب عليها مواعيد الصلاة في الكنيسة - كتبت العبارة الآتية: (عيسى ينهى عن الاغتيال ، سفر متى ٢٦ - ٥٢، محمد يأمر بالاغتيال، سورة ٨ -٦٥ " [١]

وتستغل أمريكا الموقف وتشن حربها ضد المسلمين الأبرياء المسالمين بدعوى أنهم إرهابيون ، ويساندها الغرب كله في غزو أفغانستان ، ثم تنفرد بقرار غزو العراق لنزع أسلحة التدمير الشامل من أيدي صدام الطاغية المسلم الإرهابي !

وهكذا فبدلا من نشر دعوة الإسلام الداعية إلى الحب والسلام والتسامح يلصق به بعض المسلمين تهما هو بريء منها تنفر الناس منه ، ويضطر علماء الدين ورجال

---

[١] الأستاذ سليمان البطحى : أمين عام اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء ﷺ " ندوة البيان " .

السياسة والمخلصون للدفاع عن الإسلام وبيان سماحته علهم يصححون صورة الإسلام فى أذهان غير المسلمين وخاصة الغربيين لكن هيهات فقد تلقفت القوى المعادية للمسلمين الطامحة فى احتلال أراضيه هذه الدعاوى المغرضة ونشرتها واتخذتها ذريعة لحرب المسلمين واحتلال أراضيهم واستغلال مواردهم وخيراتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل فى تنطع هؤلاء المسلمين وكيد أولئك الغربيين .

***

الفصل الثالث

أسطورة معاداة السامية

من الأساطير السياسية التي تُرَوِّج لها الصهيونية أسطورة عداء الصهيونية المستحكم لأعداء السامية – يقصدون أعداء اليهود - من الفاشيين والنازيين وغيرهم، ويبرهن الصهاينة على هذا العداء بالمذابح التي قام بها أعداء السامية ضد اليهود .

وما تزال الصهيونية تشهر سلاح اللاسامية في وجه كل دولة أو سياسي في العالم ينتقد إسرائيل أو يقف من العرب موقفاً مؤيدًا، بعدما استخدمت هذا السلاح بفاعلية لإقامة دولتها على أرض فلسطين .

ولكن الوقائع دلَّت على أن الصهيونية لم تكن عدوة لأعداء السامية بل على العكس فقد تحالفت الصهيونية مع كل أعداء السامية من الفاشيين والنازيين وغيرهم من أجل إقامة دولة يهودية في فلسطين ، وتوطين يهود العالم فيها ، كما أن الصهاينة قد تقمَّصوا شخصية اللاساميين في سياستهم ضد مخالفيهم من الفلسطينيين واليهود على السواء .

وهذه قصة الصهيونية مع اللاسامية .

علاقة الصهيونية باللاسامية

لاشك أن بروز اللاسامية خصوصًا في روسيا بعد اغتيال القيصر ألكسندر الثاني عام ١٨٨١ ، وتحميل اليهود مسئولية اغتياله ، وبروز اللاسامية في بعض دول أوروبا الشرقية وظهور قضية " درايفوس " [1] في فرنسا في المرحلة نفسها قد ساعدت الحركة الصهيونية على طرح فكرتها على اليهود .

---

(1) قضية الضابط الفرنسي من أصل يهودي " ألفرد درايفوس " الذي تم اعتقاله ومحاكمته عام ١٨٩٤ بتهمة تسريب معلومات عسكرية للألمان ثم ثبتت براءته ، وانقسمت فرنسا حوله . وقد ادَّعى تيودور هرتزل وكان موجودا في حينه كصحافي أجنبي في فرنسا بأن قضية درايفوس هي التي جعلته يتبنى الفكرة الصهيونية ودفعته لكتابة كتابه " الدولة اليهودية " .

لكن موجة اللاسامية التي ظهرت في بعض أنحاء القارة الأوربية في أواخر القرن التاسع عشر كانت موجة محدودة لا تقاس بما عرفته أوروبا من عداء لليهود في مراحل تاريخية سابقة لاسيما في القرون الوسطى ، وكانت موجه عابرة ليس لها جذور عميقة في الواقع الأوروبي في تلك المرحلة ولا فيما كان متجها إليه لأن ظاهرة اللاسامية كانت ذاهبة إلى زوالها التاريخي فقد خلق " عصر التنوير " أي القرن الثامن عشر الأوروبي خصوصًا عبر المفكرين والفلاسفة الفرنسيين لاسيما فولتير ، وروسو ، وديديرو ، ومونتيسكيو ، واقعاً فكريًا جديدًا في أوروبا كان استكمالاً وتتويجا لعصر النهضة الأوربية وكان تكريسًا نهائيًا لموت القرون الوسطى ولبدء العصر الحديث فقد برزت وتكرّست منذ ذلك الحين مفاهيم الحرية والمساواة ، وبرزت فكرة الجمهورية ، وفكرة الديمقراطية كأساس للسلطة وإعلاء شأن العقل كأساس للمعرفة ، وما نتج عن كل ذلك من تكريس للحقوق الفردية والاجتماعية ، وكانت الثورة الفرنسية ١٧٨٩م هي النتيجة السياسية الأولى لذلك التحول ، ولم تنس الثورة الفرنسية فيما أحدثته إقرار حقوق اليهود كاملة في مجتمعاتهم وذلك قبل قرن من ظهور الحركة الصهيونية في " مؤتمر بال " وانتشرت مبادئ الثورة الفرنسية في كل أوروبا خصوصا أوروبا الغربية التي اندمج فيها اليهود مثلهم مثل سائر مواطنيها، وكان التيار الاشتراكي الذي دخل إلى روسيا وانتصر فيها ، ثم امتد فيما بعد إلى كل أوروبا الشرقية كان ذاهبا في هذا المنحى نفسه وهو دمج اليهود في مجتمعاتهم الأوربية واعتبارهم مواطنين كغيرهم من أبناء الدولة الأصليين .

لذا كانت موجة اللاسامية التي ظهرت في بعض أنحاء أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر محدودة ومصطنعة وزائلة ، وما ظهر من أعمال عنف متفرقة في روسيا ضد اليهود بعد اغتيال ألكسندر الثاني عام ١٨٨١ ، وفي المرحلة التي تلت ذلك كان مفتعلاً افتعالاً من جانب النظام القيصري الذي بات عاجزًا عن ضبط أوضاعه الداخلية ، وخائفاً من انهياره ، وقد انهارت فعلاً بعد حين وانهارت

اللاسامية الروسية معه ، أما قضية درايفوس في فرنسا فلم تؤلب الأمة الفرنسية على اليهود بل أدت إلى انقسامها ، وأدّت على كل حال إلى انتصار ألفرد درايفوس وإعادة اعتباره وإعادته إلى منصبه العسكري عام ١٩٠٦ .

إننا نوضح ذلك لنصل إلى استنتاجين أساسيين هما :

١- إن الظاهرة اللاسامية – ظاهرة العداء لليهود – التي قامت في بعض بلدان أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر لم تكن على الإطلاق هي الأساس في قيام الدعوة الصهيونية ، ولم تكن هي الدافع الرئيسي للبحث عن الدولة اليهودية ، وإن سهّلت للصهاينة مهمتهم ، أما الأساس في نشأة الحركة الصهيونية فهو ظهور النزعتين الأوروبيتين الكبيرتين :

أ- **النزعة القومية** التي كانت تهدف إلى إقامة الدول على أساس وحدة اللغة والتراث ، إن لم يكن وحدة العِرق أو تفوقه أو تمجيده (القوميات الألمانية ، والبريطانية ، والفرنسية ، والإيطالية ، والروسية ...) .

ب- **نزعة الاستعمار** لدى الحضارة الأوربية المسلحة بتطورها العلمي والصناعي والعسكري التي اعتقدت أنها أصبحت هي الحضارة القدوة والحضارة المثالية ومن حقها السيطرة على سائر العالم القابع في نظرها في " بربريته " والغارق في ضعفه وتشتته ، واتجه نظر الاستعمار الأوربي إلى الشرق حيث كانت الإمبراطورية العثمانية التي دامت أربعة قرون تنحدر نحو نهايتها .

٢- رهان الاتجاه الصهيوني على اللاسامية ، واندفاعه للتنسيق معها ، ودوره الكبير في تطويرها حتى وصولها إلى النازية . فقد أدرك الصهاينة منذ البداية ومنذ تيودور هرتزل أن انتهاء العداء لليهود في أوربا يعني انتهاء دعوتهم ، وأنه بقدر ما تشتد اللاسامية ويشتد العداء لليهود بقدر ما يتعذر على اليهود الاندماج في مجتمعاتهم، ويتضح شعورهم بأنهم " شعب واحد " و " قومية واحدة " وتقوى رغبتهم في النزوح عن أوطانهم والتجمع في دولة جديدة تكون هي دولتهم .

هذا هو التحالف المكيافيلي البغيض الذي قامت عليه دولة إسرائيل بين الحركة الصهيونية والحركات اللاسامية . وهذا اللقاء السري بين النقيضين الذي وقع ضحيته اليهود قبل أن يتحولوا إلى أداة تنفيذه .

كانت الصهيونية تصرخ في العلن بأن العداء للسامية لدى شعوب أوروبا هو الخطر الثابت الدائم الذي لا خلاص منه إلا بتجميع اليهود في دولة تكون دولتهم . أما في الخفاء فكانت الصهيونية تذكي نار العداء للسامية كلما خمدت ، وتقدم الحجج اللازمة لاستمرارها وهي عالمة بأن العداء لليهود هو أفضل محرِّك لفصلهم عن أوطانهم وتهجيرهم وتجمعهم في الدولة المقرر قيامها .

وكان اللاساميون يلعبون اللعبة نفسها فيهاجمون الصهيونية في العلن ويجدون فيها البرهان الساطع على " عدم ولاء اليهود لأوطانهم " وعلى كونهم " أغراب يستحيل دمجهم في مجتمعاتهم " بينما كانوا ينسقون في الخفاء مع الحركة الصهيونية، ويجدون فيها أفضل معين لهم على " التخلص من اليهود الاندماجيين " وتوجيههم إلى بقعة خارجية بعيدة تصبح لهم وطنًا .

هذا هو سر العلاقة وسر اللقاءات والمراسلات بين تيودور هرتزل وأكبر المسئولين عن أعمال العنف ضد اليهود الروس في بدء القرن العشرين . (١)

قبل الحركة الصهيونية وقبل نهاية القرن التاسع عشر لم تظهر في التاريخ اليهودي الطويل أية دعوة لتجميع يهود العالم في دولة ما ، ولم ينشأ لدى اليهود أي اتجاه فعلي للهجرة إلى فلسطين حتى في العصور الوسطى التي اشتدت فيها نزعة العداء لليهود في بعض المجتمعات المسيحية الأوروبية وزاد اضطهادهم لهم (والاضطهاد لم يكن قاصرًا على اليهود بل إن الاضطهادات والحروب بين المذاهب المسيحية نفسها كانت أكثر اتساعًا وهولاً) فلم يفكر اليهود في النزوح إلى فلسطين

(1) فيضل أبو خضرا " تاريخ المسألة الفلسطينية " ص ٤٠ ، ٤١ .

ولا فكروا في تحويلها إلى ملجأ أو وطن لهم ، فقد كانت العلاقة مع الأماكن المقدسة الوارد ذكرها في التوراة هي علاقة طقوسية وروحية أيضاً ، ولم يكن لها مضمون سياسي يومًا ، ولا توجه سلطوي ، وبهذا المعنى يعترف ناحوم سوكولوف الذي لعب دورًا رئيسيًّا في تطور الحركة الصهيونية وخَلَفَ حاييم وايزمان في رئاسة "المنظمة الصهيونية العالمية" عام ١٩٣١ فهو يعترف بأن " الصهيونية ليست النتيجة المنطقية لتاريخ شعب إسرائيل " (١)

إن العودة اليهودية إلى فلسطين ، وبناء الوطن اليهودي فيها اللذين تصورهما الصهيونية وكأنهما ظاهرتان طبيعيتان وحركتان تاريخيتان ملازمتان للتاريخ اليهودي من البداية والنهاية هما في الحقيقة حركتان وهميتان ومصطنعتان من جملة ما اختلقته واصطنعته الصهيونية ، وليس لهما وجود تاريخي قبل القرن التاسع عشر.

ولقد هَالَ يهود أوروبا وأمريكا أن يتحملوا وزر الحركة الصهيونية الناشئة التي تلتقي في طرحها وهدفها – ولو من منطلقات مختلفة ومتعارضة – معَ أعدائهم اللاساميين فتحيي العداء لليهود ، وتسعى لمنع اندماجهم في أوطانهم وتعمل على تجميعهم ونقلهم إلى مكان بعيد لا معرفة لهم به ولا دافع لهم للذهاب إليه يكون أحيانًا الأرجنتين وأحيانا أوغندا وأحيانا فلسطين .

كانت الحركة الصهيونية تردد الحجج نفسها التي يسوقها اللاساميون ضد اليهود كانت تقول :

١- إن اليهود عِرق واحد وشعب واحد .

٢- لا وَلاء حقيقيًّا لليهود لأوطانهم التي يعيشون فيها .

٣- لا مجال نهائيًّا لاندماج اليهود في أوطانهم .

٤- أن العداء لليهود شعور أبدي ثابت لدى شعوب العالم .

---

(1) نفسه ص ٤٢ .

٥- أن الحلَّ هو فصل اليهود عن سواهم نهائيًا وإتاحة المجال لتكوين دولة مستقلة لهم تكون بمثابة جيتو كبير .

وكان هرتزل يردد في كل مكان قولاً وكتابة من الأفكار ما يلتقي تمامًا مع اللاسامية وتبريرها فيقول للإمبراطور الألماني : " دع شعبنا يرحل فنحن أجانب " ، وهو يجيب أحد محاوريه الألمان : " إني أتفهم اللاسامية فنحن اليهود بقينا أجسامًا أجنبية داخل مختلف الأمم ، وإن لم يكن الخطأ خطأنا " وبنتيجة حواره مع أحد رجال الدين اليهود الفرنسيين يصل إلى الاستنتاج التالي : " على المرء أن يختار بين صهيون وفرنسا " [1]

الصهيونية والفاشية

قلنا إنه تمَّ تحالف مكيافيلي بين الحركة الصهيونية والحركات اللاسامية ، وبناء على هذا التحالف أنشأت الصهيونية جسور صداقة مع النظام الفاشي في إيطاليا والنظام النازي في ألمانيا .

وقد أكد موسوليني منذ بداية حكمه أن الفاشية لا علاقة لها بالعداء لليهود. وفي ٣٠ أكتوبر ١٩٣٠ أصدر قراراً بدمج كل التجمعات اليهودية في إيطاليا في اتحاد فاشي يمثل كل يهود إيطاليا بغير استثناء، وأصبح هذا الاتحاد إحدى الوكالات الرسمية للحكومة الفاشية. حيث نصت المادة ٣٥ من قانون تأسيس هذا الاتحاد على أن اليهود هم سفراء الفاشية للعالم، وعلى ضرورة أن يشترك اتحاد التجمعات اليهودية في إيطاليا في النشاطات الدينية والاجتماعية ليهود العالم، وأن يحتفظ بعلاقاته الدينية والثقافية معهم .

وفي ٣ يناير ١٩٢٣ قام حاييم وايزمان بوصفه رئيس المنظمة الصهيونية بزيارة موسوليني، لمحاورته بشأن الصهيونية والدعم الفاشي الممكن تقديمه إلى الحركة.

(1) يوميات هرتزل ص ٩ ، ١٩ ، ٧٣ .

واكتشف الزعيم الصهيوني أن اعتراض موسوليني على الصهيونية مرده إحساسه بأن الصهيونية أداة لإضعاف الدول الإسلامية لصالح الإمبراطورية البريطانية . فرد وايزمان عليه رداً مقنعاً بيَّن له فيه أن إضعاف الدول الإسلامية سيعود أيضاً على إيطاليا بالنفع، وأضاف أن شروط حكومة الانتداب ذاتها تفتح المجال أمام إيطاليا أو أية دولة أخرى للمشاركة في تطوير هذا البلد (أي تصدير العمالة الفائضة والحصول على امتيازات تجارية، على حد قول وايزمان)، وأن في وسع إيطاليا أن تفعل ذلك إذ اعتمدت الميزانية اللازمة. وانتهى الاجتماع بتفاهم كامل بين الطرفين، سمح موسوليني على أثره بتعيين يهودي إيطالي في الوكالة اليهودية .

وحينما دُعي وايزمان مرة أخرى إلى إيطاليا في١٧ سبتمبر ١٩٢٦، عرض موسوليني أن يُقدم المساعدة للصهاينة كي يبنوا اقتصادهم، وقامت الصحافة الفاشية بنشر مقالات مؤيدة للصهاينة .

وتحدث ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية مع موسرليني في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٧ الذي قال له : " سأساعدكم في إنشاء هذه الدولة اليهودية " (١)

كما قام ناحوم سوكولوف، باعتباره رئيس اللجنة التنفيذية في المنظمة الصهيونية، بزيارة إيطاليا عام ١٩٢٧ وصرح بأنه أدرك الطبيعة الحقة للفاشية، وأكد أن اليهود الحقيقيين لم يحاربوا قط ضدها . ولا شك في أن كلماته هذه تحمل معنى التأييد الكامل للنظام الفاشي، وقد تبعته في ذلك المنظمة الصهيونية في إيطاليا .

وقد تعلم جابوتنسكي (زعيم الصهيونية التصحيحية) الكثير من الفاشية الغربية، وكان يُعبِّر عن إعجابه الشديد بالدوتشي وفكره، وبالتنظيمات الشبابية الفاشية التي حاولت المنظمات الشبابية التصحيحية التشبه بها في زيها الرسمي. وكال موسوليني المديح والتقريظ لجابوتنسكي حين قال مرة للحاخام ديفيد براتو الذي أصبح فيما بعد

---

(1) ناحوم جولدمان " السيرة الذاتية " ص ١٧٠ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

حاخام روما: «كي تنجح الصهيونية يجب أن تحصلوا على دولة يهودية لها علم يهودي ولغة يهودية، والشخص الذي يفهم ذلك حقاً هو الفاشي جابوتنسكي». كما نعت موسوليني نفسه ضمناً بأنه صهيوني يدافع عن فكرة الدولة اليهودية. (1)

الصهيونية والنازية : الفكر المشترك

يظهر التماثل بين النازية والصهيونية في خطابهما فكلاهما يستخدم مصطلحات القومية العضوية مثل «الشعب العضوي » و«الرابطة الأزلية بين الشعب وتراثه وأرضه» و«الشعب المختار». وقد سُئل هتلر عن سبب معاداته لليهود، فكانت إجابته قصيرة بقدر ما كانت قاسية : " لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران. ونحن وحدنا شعب الإله المختار . هل هذه إجابة شافية عن السؤال ؟ " .

ويتحدث مارتن بوبر (أحد الأصوات اليهودية الكبرى) عن أن الرابطة بين اليهود وأرضهم هي رابطة الدم والتربة، ومن ثم يطالب بضرورة العودة إلى فلسطين حيث توجد التربة التي يمكن للدم اليهودي أن يتفاعل معها ويبدع من خلالها .

وأثناء محاكمات نورمبرج، كان الزعماء النازيون يؤكدون، الواحد تلو الآخر، أن الموقف النازي من اليهود تمت صياغته من خلال الأدبيات الصهيونية، خصوصاً كتابات بوبر عن الدم والتربة.

ويستخدم النازيون والصهاينة على حد سواء الخطاب النيتشوي الدارويني نفسه المبني على تمجيد القوة وإسقاط القيمة الأخلاقية. إذ يستخدم الصهاينة - شأنهم في هذا شأن النازيين - مصطلحاً محايداً، فهم لا يتحدثون عن طرد الفلسطينيين وإنما عن "تهجيرهم" أو "دمجهم في المجتمعات العربية". وهم لا يتحدثون مطلقاً عن « تفتيت العالم العربي » وإنما عن "المنطقة"، ولا يتحدثون عن «الاستيلاء» على القدس

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " إشكالية التعاون بين بعض أعضاء الجماعات اليهودية والنازيين " .مرجع سابق .

وإنما عن "توحيدها" ولا عن الاستيلاء على فلسطين أو «احتلالها» وإنما عن "استقلال "إسرائيل أو عن "عودة الشعب اليهودي" إلى أرض أجداده .

ولنا أن نلاحظ الأصول الألمانية الراسخة للزعماء الصهاينة الذين صاغوا الأطروحات الصهيونية الأساسية. فتيودور هرتزل وماكس نوردو وألفريد نوسيج وأوتو ووربورج كانوا إما من ألمانيا أو النمسا يكتبون بالألمانية ويتحدثون بها، كما كانوا مُلِمِّين بالتقاليد الحضارية الألمانية ويكنون لها الإعجاب ولا يكنون احتراماً كبيراً للحضارات السلافية (وقد غيَّر هرتزل اسمه من «بنيامين» إلى «تيودور» حتى يُؤَلمِن اسمه، وسمَّى ماكس نوردو نفسه بهذا الاسم لإعجابه الشديد بالنورديين). ولا يختلف زعماء يهود اليديشية عن ذلك، فلغتهم اليديشية هي رطانة ألمانية أساساً. ومن جهة أخرى، كانت لغة المؤتمرات الصهيونية الأولى هي الألمانية، كما توجه الزعماء الصهاينة أول ما توجهوا لقيصر ألمانيا لكي يتبنى المشروع الصهيوني. وقد أكد جولدمان أن هرتزل قد وصل إلى فكرته القومية (العضوية) من خلال معرفته بالفكر والحضارة الألمانيين .

وكان كثير من المستوطنين الصهاينة يكنون الإعجاب للنازية، وأظهروا تفهماً عميقاً لها ولمُثُلها ولنجاحها في إنقاذ ألمانيا. بل عدوا النازية حركة تحرر وطني. وقد سجل حاييم كابلان، وهو صهيوني كان موجوداً في جيتو وارسو (حينما كان تحت حكم النازي)، أنه لا يوجد أي تناقض بين رؤية الصهاينة والنازيين للعالم فيما يخص المسألة اليهودية، فكلتاهما تهدف إلى الهجرة، وكلتاهما ترى أن اليهود لا مكان لهم في الحضارات الأجنبية .(1)

موقف المسيحية من الصهيونية والنازية

في عام ١٩٢٦، حدد فيلي ستارك ما تصوره موقف المسيحية من مسألة الشعب العضوي. فأشار إلى نقط التشابه بين الصهيونية والنازية، فكلتاهما تدور حول قيمة

(1) د. عبد الوهاب المسيري " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " إشكالية التعاون بين بعض أعضاء الجماعات اليهودية والنازيين " . مرجع سابق .

مطلقة تحيطها القداسة الدينية، الدم والتربة، وهي قيمة تضرب بجذورها في المشاعر الأسطورية الكونية، وفي ممالك الأرض بدلاً من مملكة السماء. ومن ثم، توصّل فيلي ستارك إلى أنه لا يوجد أي مجال للتفاهم بين المسيحية وعبادة الشعب العضوي : الصهيونية أو النازية. كما توصل إلى أن كلاً من الصهيونية (التي تحاول أن تؤسس الهيكل الثالث أي الدولة الصهيونية) والنازية (التي أسست الرايخ الثالث أي الدولة النازية) تجسيد لعدم فهم البُعد المجازي في العقيدة الألفية الاسترجاعية في المسيحية. وبالتالي، فإن كلتا الحركتين ضرب من ضروب المشيحانية السياسية (الأخروية العلمانية) التي تحوّل الدنيوي المدنّس إلى مقدّس، وبذلك يُمثل كل منهما تهديداً لليهودية والمسيحية، بل للجنس البشري بأسره . [1]

ولقد أحجمت الفاتيكان عن الاعتراف بدولة إسرائيل عند قيامها ، كما أن الكنيسة الشرقية تناهض تمامًا الصهيونية وتعادي دولة إسرائيل ، فهل يوجد تهديد للمسيحية أخطر من سيطرة اليهود الصهاينة على القدس والأراضي المقدسة ؟

واليهود هم أعدى أعداء المسيحية ابتداءً من تكذيبهم للمسيح وإعلان العداء له ولدعوته وحمل دمه – حسب عقيدتهم - وانتهاءً بعدوانهم على مسيحيي فلسطين وهدم كنائسهم تماما كما يفعلون مع مسلمي فلسطين . [2]

وهذه طائفة من أقوال أكبر الرموز المسيحية العربية التي تؤكد موقفها العقائدي من اليهود الصهاينة والمسيحية البروتستانتية المشايعة لها .

يقول د. ميلاد حنا المفكر المسيحي البارز : " اليهود ركبوا موجة كبيرة جداً في تفسير بعض نصوص دينية في أن يجعل المؤمن المسيحي – البروتستانتي - علشان يبقى مسيحي كويس لازم يؤمن بحق إسرائيل في الوجود وإنها تستنى، وإن دا يخلي المسيح ييحيى يقوم دا يحقق القيامة !! " [3]

---

(1) نفسه .

(2) انظر " حقيقة اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية " دار الإبداع للمؤلف فصل " علاقة اليهود بالمسيح كما جاءت في الأناجيل " .

(3) د. ميلاد حنا في حوار أجرته معه قناة الجزيرة في برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢ .

ويضيف الأستاذ جمال أسعد عبد الملاك (المفكر المسيحي المعروف) قائلاً :

" الأخطر هو الاختراق الصهيوني للمسيحية من خلال إعمال بعض نصوص العهد القديم اللي هو كتاب اليهود لتبرير صفقات سياسية، يعني هو لما ما يقول حكاية الألفية دي، هو المقصود باختصار شديد، الألفية إنه لابد تنتهي ببناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، ومن هنا يبقى تبرير للوجود الإسرائيلي وإنهاء للقضية الفلسطينية من أساسها، وللأسف الشديد أن هناك بعض المسيحيين يغرر بهم باعتبار إن دي تحت مقولات ونصوص دينية، ومن هنا لا.. لا ينظرون إلى مجمل العقيدة وموقف المسيحية بشكل عام من اليهود، ومعروف إن إحنا كنائسنا التقليدية اللي هي الأرثوذكسية والكاثوليكية ضد الحكم الألفي باعتبار إن إحنا الآن يحكمنا المسيح حكما روحياً، ولا وجود لما يسمى بشعب الله المختار، ولا أرض الميعاد، ولا حكم (ألفي) ولا كل الكلام دا كله الهراء الكذب . " (١)

ويقول بطريرك السريان الكاثوليك الإنطاكي أغناطيوس بطرس الثامن عبد الأحد: " إن موقف الكنيسة القبطية المصرية وعلى رأسها قداسة البابا شنودة الذي أصدر أوامره إلى أتباعه بعدم زيارة مدينة القدس ما دامت تخضع للاحتلال الإسرائيلي هذا بالرغم من وجود اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل . " (٢)

تناقض الصهيونية مع المصالح اليهودية

وقد اكتشف النازيون أيضاً عمق تناقض مصالح الصهاينة مع اليهود واتفاق الموقف النازي مع الموقف الصهيوني. فاليهودي الصهيوني الذي يخدم هويته العضوية هو شخص يستحق الاحترام (لأنه يشبه النازي)، على عكس اليهودي

---

(1) قناة الجزيرة برنامج " بلا حدود " ١٢/ ٨ /٢٠٠٢ .

(2) لمزيد من التفاصيل حول موقف الكنيسة الشرقية من الصهاينة : يهودا ، ومسيحيين انظر " اليهود والصليبيون الجدد " للمؤلف الطبعة الثانية الفصل الرابع عشر " موقف مسيحيي العرب من مخطط الصليبيين الجدد " مرجع سابق .

المتألمن المندمج الذي يتمسح في الهويات العضوية للآخرين ولا ينجح بطبيعة الحال في اكتسابها، لأنه حبيس هويته اليهودية، شاء أم أبى. ولعل هذا يُفسِّر السبب في أن **النازيين اعتبروا أن** عدوهم الحقيقي هو اليهود الأرثوذكس والجماعة المركزية للمواطنين اليهود من أتباع العقيدة اليهودية. ولعله يفسر أيضاً لم كانت علاقة الدولة النازية بالمنظمات الصهيونية تتسم بشيء من الود والتفاهم. فبينما كان الأرثوذكس والإصلاحيون يطالبون بمنح اليهود حقوقهم كمواطنين، وباندماجهم في مجتمعاتهم، كان الصهاينة يعارضون الاندماج ويعارضون منح اليهود أي حق، إلا حق الهجرة إلى الوطن القومي اليهودي .

لكل هذا قام النظام النازي بتشجيع النشاط الصهيوني ودعم المؤسسات الصهيونية والسماح للمنظمات الصهيونية بممارسة جميع أنشطتها من تعليم وتدريب على الاستيطان ونشر مجلاته، بينما مُنع الاندماجيون والأرثوذكس من إلقاء الخطب، أو الإدلاء بتصريحات، أو جمع التبرعات أو مزاولة أي نشاط آخر .

فالصهيونية عقيدة سياسية ، وقومية عنصرية ، وأيديولوجيا استعمارية تلك هي الخصائص التي تشرح السياسة الصهيونية التي انتصرت في مؤتمر بازل في أغسطس ١٨٩٧ م .

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية لم تكن بأي حال تمثل روحانية الديانة اليهودية ، ولا المصلحة الحقيقية لليهود ففي نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل انعقد مؤتمر في مونتريال في أمريكا جاء في بيانه الختامي :

" إننا نشجب تماما أي مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية ، وإن أي محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطئ لرسالة إسرائيل .. التي كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها .. ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسي ولا قومي ، ولكن روحي .. [1]

---

(1) المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين الكتاب السابع ١٨٩٧ ص ١٢ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢١

في هذا المؤتمر تمسك اليهود بروحانية اليهودية ، واعترضوا على المنحى الذي سلكه هرتزل في مؤتمر بازل الذي انتقى من الديانتين اليهودية والمسيحية ما يبرر أهدافه السياسية الاستعمارية " فهو يشير إلى عصر مسيحي حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض " [1]

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من " رابطة حاخامات ألمانيا " وحتى " الاتحاد الإسرائيلي العالمي لفرنسا " و " الاتحاد الإسرائيلي في النمسا " وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية المستوحاة من التمسك بروحانيات الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى المخاصمات والمشاحنات التي دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولا سيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة لكي تفرض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبي من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية على العكس ما كان متوقعا ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين .

الصهيونية والنازية : العلاقة الفعلية

قام الصهاينة الألمان بتطوير الأيديولوجيا الصهيونية والوصول بأطروحاتها إلى نتائجها المنطقية، أي تصفية الجماعات اليهودية في المنفى (أي العالم) تماماً وإنشاء الدولة الصهيونية. وابتداءً من العشرينيات، بدأ الزعماء الصهاينة في ألمانيا يطلقون التصريحات الصهيونية التي تؤكد الهوية اليهودية العضوية الخالصة وتنكر على اليهود انتماءهم إلى الأمة الألمانية. ففي عام ١٩٢٠ (قبل ظهور كتاب هتلر كفاحي بثلاثة عشر عاماً)، ألقى جولدمان خطاباً في جامعة هايدلبرج بيَّن فيه أن اليهود

[1] نفسه ص ٢١

شاركوا بشكل ملحوظ للغاية في الحركات التخريبية، وفي إسقاط الحكومة في نوفمبر ١٩١٨، وأصر على أن يهود ألمانيا والشعب الألماني ليست بينهما عناصر مشتركة، وعلى أن الألمان يحق لهم أن يمنعوا اليهود من الاشتراك في شئون الفولك الألماني .

أما وايزمان، فقد شبه علاقة الألمان باليهود بصورة مجازية استقاها من عملية الهضم، فقال: إن أي بلد يود تحاشي الاضطرابات المعوية عليه أن يستوعب عدداً محدوداً فقط من اليهود. وكان يرى أن عدد اليهود في ألمانيا أكبر من اللازم، أو بعبارة أخرى يوجد فائض بشري يهودي. وفي الفترة نفسها، وصف كلاتزكين اليهود بأنهم جسم مغروس وسط الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها، ولذا فإن من حقهم أن يحاربوا ضد اليهود من أجل تماسُكهم القومي.

وهذه كلها موضوعات قديمة مطروحة في كتابات هرتزل ونوردو، الأبوين الروحيين للصهيونية على وجه العموم والصهيونية الألمانية على وجه الخصوص، ولكنها اكتسبت أهمية خاصة من سياقها الزماني والمكاني في ضوء ما حدث بعد ذلك. وهي لا تختلف في جوهرها عن قول إرنست يونجر (المفكر القومي العضوي الذي ألهم النازيين) أن اليهود يتوهمون أن بوسعهم أن يصبحوا ألمانيين في ألمانيا، ولكن هذا أمر غير قابل للتحقق. فاليهود يواجهون خياراً نهائياً: إما أن يكونوا يهوداً في ألمانيا، أو لا يكونوا .

ومن المدهش حقاً أن نكتشف أن قادة اليهود الصهاينة الذين أثاروا موضوع الهولوكوست وحصلوا على تعويضات ضخمة من ألمانيا بسببها هم من تعاون مع هتلر المتهم الأول بإبادة اليهود في الهولوكوست !!

فعندما بدأت الحرب ضد هتلر وقفت الغالبية العظمى من المنظمات إلى جانب الحلفاء إلا أن الجماعة الصهيونية رغم قلتها في ألمانيا آنذاك اتخذت سياسة مخالفة منذ ١٩٣٣ وحتى ١٩٤١ ، وتواطأت بل وتعاونت مع هتلر ، وكانت السلطات

النازية ، في الوقت الذي كانت تضطهد فيه اليهود بطردهم من الوظائف العامة -على سبيل المثال في مرحلة أولى - تتحاور مع القادة الصهاينة الألمان وتمنحهم معاملة تفضيلية بتمييزهم عن اليهود من ذوي النزعة المتطرفة الذين كانت تطاردهم .

والاتهام بتحالف اليهود مع هتلر لا ينطبق على غالبية اليهود لكن ينطبق على الأقلية التي كانت منظمة تنظيما جيدا والمكونة من القادة الصهاينة الذين كان همهم الوحيد إنشاء دولة يهودية قوية .

وكان اهتمامهم الوحيد هو إنشاء دولة يهودية قوية وكانت رؤيتهم العنصرية للعالم تجعل عداوتهم للإنجليز أشد من عداوتهم للنازية .

والمدهش حقا أن المتعاونين مع هتلر من اليهود الصهاينة يصبحون بعد الحرب العالمية هم قادة دولة إسرائيل مثل : مناحم بيجين أو إسحق شامير .

ولقد برهن الزعماء الصهاينة في عصر نازية هتلر على سلوك غامض ومشبوه بدءا من عرقلة الكفاح ضد النازية وحتى التعاون معها .

فالهدف الأساسي لليهود الصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود ولكن إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، ولقد أعلن أول رئيس لدولة إسرائيل بن جوريون ودون مواربة في ٧ ديسمبر ١٩٣٨ أمام القادة الصهاينة من " العمال " : " لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا ، وإنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى إسرائيل الكبرى لاخترت الحل الثاني ؛ لأننا يجب أن نحرص ليس فقط على حياة هؤلاء الأطفال بل وعلى تاريخ شعب إسرائيل أيضا " [1]

وفي ضوء هذا التوجه الصهيوني، لم يكن من الغريب أن يرى هتلر حين وصل إلى الحكم أن كثيراً من الصهاينة على استعداد لتَفهُّم وجهة نظره . فقد صرح الحاخام

---

(1) إيفون جلبنير " السياسة الصهيونية ومصير اليهودية الأوربية " م١٢ ص ١٩٩ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٣

الصهيوني يواكيم برنز في يناير ١٩٣٣ أنه لا مكان يمكن لليهود أن يختبئوا فيه. وقال: بدلاً من الاندماج، نرى نحن الصهاينة أنه يجب الاعتراف بالأمة اليهودية وبالعرْق اليهودي .

وحينما قام النازيون في ٣١ يناير ١٩٣٣ بحرق الكتب التي كانوا يرونها هدامة، كتبت يوديش روندشاو (المجلة الناطقة باسم الاتحاد الصهيوني) تقول إن كثيراً من المؤلفين اليهود خونة تنكروا لجذورهم لأنهم شتتوا جهودهم بإسهامهم في الثقافة الألمانية غير اليهودية. وفي نبرة ترحيب واضحة، صرح إميل لودفيج (الكاتب اليهودي الألماني) بأن ظهور النازيين دفع بالآلاف من اليهود إلى حظيرة اليهودية مرة أخرى بعد أن كانوا قد ابتعدوا عنها. وقال: "ولذا، فأنا شخصيًّا ممتن لهم". وترد نفس الفكرة النازية الصهيونية على لسان الشاعر الصهيوني حاييم بياليك إذ يرى أن الهتلرية أنقذت يهود ألمانيا ، ويضيف : " أنا أيضاً مثل هتلر أومن بفكرة الدم ". [1]

الصهيونية ومقاومة النازية

قد بيَّن كثير من الكُتَّاب أنه لم تنشأ أية مقاومة يهودية للنازية في أرجاء أوربا، مع أن مثل هذه المقاومة كان بوسعها أن تصيب آلة الإبادة النازية بالشلل أو تَحِد من سرعتها أو تعطلها،خصوصاً أنها كانت مُرهَقة.ولم تبدأ المقاومة اليهودية جدياً في وارسو - التي كان ٤٥ % من سكانها من اليهود - إلا في أوائل عام ١٩٤٣، عندما بدأت موازين القوى تميل لصالح الحلفاء وحين قررت برلين تدمير حارة اليهود، وكان الوقت قد فات على إنقاذ نزلاء المعسكرات .

ويبدو أن يهود الولايات المتحدة (الذين يُشكِّلون أكبر جماعة يهودية في العالم) لم يلعبوا دوراً فعالاً بما فيه الكفاية في محاولة حماية يهود ألمانيا. وقد حاولت إحدى

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " إشكالية التعاون بين بعض أعضاء الجماعات اليهودية والنازيين " .مرجع سابق .

المنظمات اليهودية الأمريكية، عام ١٩٨١، فتح ملف تقصير الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة، ولكنها أغلقته بسرعة بدعوى أن الموضوع محرج ومؤلم، وهو كذلك بالفعل. لكن هذا لا يبرر إغلاق التحقيق، وخصوصاً أن الاتهامات الصهيونية للحكومة الأمريكية والفاتيكان والكنيسة بالتقصير لم تتوقف.[1]

هدف الصهيونية ، إنقاذ اليهود أم إنشاء دولة يهودية ؟

إن الصهاينة اكتشفوا، أثناء الإرهاب النازي ضد اليهود، ذلك التناقض العميق بين فكرة الدولة اليهودية ومحاولة إنقاذ اليهود . وقد حدد بن جوريون القضية بشكل قاطع (في ٧ ديسمبر ١٩٣٧) حين أكد أن المسألة اليهودية لم تَعُد مشكلة آلاف اليهود المهدَّدين بالإبادة وإنما هي مشكلة الوطن القومي أو المستوطن الصهيوني.

وقد أدرك بن جوريون خطورة فصل مشكلة اللاجئين اليهود عن المشروع الصهيوني والتفكير في توطين اللاجئين في أي مكان إن لم تستوعبهم فلسطين. وأكد بن جوريون أنه إن استولت "الرحمة على شعبنا ووجه طاقاته إلى إنقاذ اليهود في مختلف البلاد" فإن ذلك سيؤدي إلى "شطب الصهيونية من التاريخ".

وفي العام التالي صرح بن جوريون أمام زعماء الصهيونية العمالية: « لو عرفت أن من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بتوصيلهم إلى إنجلترا، في مقابل أن أنقذ نصفهم وأنقلهم إلى فلسطين - فإني أختار الحل الثاني، إذ يتعين علينا أن نأخذ في اعتبارنا ، لا حياة هؤلاء الأطفال وحسب ، بل كذلك تاريخ شعب إسرائيل ».

وإذا كان بن جوريون على استعداد بالتضحية بنصف الأطفال اليهود من أجل الوطن القومي الصهيوني فإن إسحق جرونباوم (رئيس لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية) قد تجاوز الحدود تماماً، ففي حديث له أمام اللجنة التنفيذية الصهيونية في ١٨ فبراير ١٩٤٣، صرح قائلاً إنه لو سُئل إن كان من الممكن التبرع ببعض أموال النداء

---

(1) نفسه .

اليهودي الموحد لإنقاذ اليهود فإن إجابته ستكون « كلاً ثم كلاً » بشكل قاطع . وأضاف: "يجب أن نقاوم هذا الاتجاه نحو وضع النشاط الصهيوني في المرتبة الثانية ...إن بقرة واحدة في فلسطين أثمن من كل اليهود في بولندا ". وكان وايزمان قد عبَّر عن نفس الفكرة النفعية عام ١٩٣٧ حينما قال: " إن العجائز سيموتون، فهم تراب وسيتحملون مصيرهم، وينبغي عليهم أن يفعلوا ذلك".

وانطلاقاً من هذه الرؤية المتمركزة حول المشروع الصهيوني وليس الإنسان اليهودي، لعبت الحركة الصهيونية دوراً حاسماً في تدمير جميع المحاولات الرامية إلى توطين اليهود في أماكن مختلفة من العالم، مثل جمهورية الدومينيكان، حتى يضمن الصهاينة تدفق المادة البشرية اليهودية على فلسطين .ولهذا، التزمت جولدا مائير، مندوبة الحركة الصهيونية في فلسطين، الصمت الكامل حيال مداولات مؤتمر إفيان باعتبارها أمراً لا يخصها .

لم يكن إذن إنقاذ يهود أوروبا على رأس أولويات الطبقة الحاكمة بل كان تأسيس دولة يهودية في فلسطين هو الأمر المهيمن على تفكيرهم ، وهذا التعصب يوحي بموقف الوفد الصهيوني في " مؤتمر إيفيان " في يوليو ١٩٣٨ حيث اجتمعت ٣١ دولة لمناقشة استيعاب لاجئي ألمانيا النازية فقد طلب الوفد الصهيوني وكحل وحيد ممكن بقبول مائتي ألف يهودي في فلسطين .

لقد كانت الدولة اليهودية بالنسبة لهم أهم من حياة اليهود .

إن العدو الرئيسي بالنسبة لزعماء اليهود الصهاينة هو ذوبان اليهود في مجتمعاتهم، وهم يلتقون في ذلك مع الفكر الأساسي لأي عنصرية بما في ذلك العنصرية الهتلرية ، وهو نقاء الدم ، ولهذا السبب وطبقا لمعاداة السامية المنظمة التي دفعت زعماء النازية إلى محاولة طرد كل اليهود من ألمانيا ثم من أوروبا عندما سيطروا عليها ، فإن النازيين قد اعتبروا الصهاينة بمثابة السند الرئيسي لهم لأنهم يخدمون المخطط هذا . [1]

---

[1] رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٤

تعاون اليهود الصهاينة مع النازيين

وهناك قرائن تدل على تواطؤ قادة اليهود الصهاينة مع النازيين فقد وجه الاتحاد الصهيوني الألماني إلى حزب النازي مذكرة في يونيو ١٩٣٣ أعلن فيها ما يلي :

" بتأسيس دولة جديدة - أعلنت مبدأ الجنس – نأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة ، وأن اعترافنا بالجنسية اليهودية يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة مع الشعب الألماني وحقائقه القومية والعنصرية . وذلك لأننا لا نود أن نقلل من قدر المبادئ الأساسية ، ولأننا أيضا ضد الزيجات المختلطة ، فاليهود الواعون بهويتهم والذين نتحدث باسمهم يستطيعون أن يجدوا مكانا لهم داخل هياكل الدولة الألمانية لأنهم قد تحرروا من الشعور بالحقد والضغينة الذي يعاني منه اليهود الذين تمثلهم المجتمعات الموجودين به ؟ وإننا نعتقد في إمكانية العلاقات المخلصة بين اليهود الواعين بطائفتهم وبالدولة الألمانية .

ولبلوغ هذه الأهداف العملية تأمل الصهيونية في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تماما لليهود ، فإن تحقيق الصهيونية لا يضيره حقد اليهود في الخارج، وعداؤهم للتوجه الألماني الحالي ، والدعاية للمقاطعة الموجهة ضد ألمانيا هي في جوهرها ليست صهيونية . [1]

وأضافت المذكرة : " وإنه في حالة موافقة الألمان على هذا التعاون ، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود في الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا[2]

ورحب الزعماء الهتلريون بتوجيهات قادة الصهاينة الذين يتفقون معهم في التخلص من اليهود من أجل همهم الوحيد وهو إنشاء دولتهم في فلسطين ، وكتب

---

(1) لوسي داووفيش " قارئ للهلوكوست " ص ١٥٥ نقلا عن نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٥

(2) نفسه ص ٧٥

المُنَظّر النازي الرئيسي " ألفريد روزنبرج " ينبغي مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجموعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين .

وكتب مولار شوانت إلى وزارة الداخلية : " ليس هناك من الأسباب ما يدعو إلى عرقلة النشاط الصهيوني في ألمانيا بواسطة أي إجراءات إدارية لأن الصهيونية لا تتعارض مع برنامج الاشتراكية القومية (النازية) التي هدفها هو إبعاد يهود ألمانيا تدريجيا " .

وقد طبقت هذه الأوامر بحذافيرها لتأكيد الإجراءات السابقة ، لقد كان وجود المنظمة الصهيونية ليهود ألمانيا وجودا قانونيا وشرعيا حتى عام ١٩٣٨ أي بعد مضي خمس سنوات على اعتلاء هتلر الحكم ، واستمرت صحيفة الصهاينة الألمان تصدر حتى ١٩٣٨ . (1)

أهم أشكال التعاون بين الصهاينة والنازيين

إن التعاون بين الصهيونية والنازية لم يقتصر على العمل على إنشاء دولة يهودية في فلسطين ، والتخلص من اليهود الألمان بتهجيرهم إليها ، وكسر الحصار والمقاطعة المفروضتان ضد ألمانيا النازية والذي تم من خلال اتفاقية الهعفراه بل امتد التعاون بينهما لحد مشاركة بعض قادة الصهيونية في مساعدة النازيين في إبادة اليهود وتوجد حالات محددة تعاون فيها الصهاينة مع النازيين في عمليات نقل اليهود وإبادتهم (كاستنر ونوسيج). كما تُوجَد منظمة صهيونية ذات طابع نازي واضح، وهي عصبة الأشداء . وبالمثل حاولت منظمة شتيرن تقنين عملية التعاون. وسنحاول الآن تناول أهم أشكال التعاون بين القادة الصهاينة والنازيين .

اليهود الصهاينة يكسرون الحصار ضد ألمانيا النازية

كان اليهود - غير صهاينة - مشغولين بعمليات إنقاذ يهود ألمانيا، وتنظيم مقاطعة اقتصادية ضد النظام النازي. وقد نجحوا في تكوين منظمة دولية أطلق عليها

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٥ – ٧٧ بتصرف .

«الاتحاد اليهودي الاقتصادي العالمي» في أمستردام للتنسيق بين جميع المنظمات الداعية إلى المقاطعة .

وشكلت المقاطعة، وخصوصاً في الشهور الأولى، تهديداً خطيراً للنظام النازي. ولو اتحدت المنظمات اليهودية والصهيونية خلف حركة المقاطعة، لما نجح النازيون، وخصوصاً في الأشهر الأولى من تسلمهم السلطة، في الإمساك بزمام الأمور .

وفي حين كان اليهود - غير الصهاينة - يحكمون الخناق حول النظام النازي عن طريق المقاطعة الاقتصادية نجد أن هناك صفقة تتم بين اليهود الصهاينة والنازيين لإفشال هذه المقاطعة . ففي مقابل الاعتراف الرسمي بالزعماء الصهاينة بوصفهم الممثلين الوحيدين للطائفة اليهودية فقد عرضوا على النازيين القيام بكسر الحصار والمقاطعة .

وابتداءً من ١٩٣٣ بدأ التعاون الاقتصادي ، وأنشئت شركتان هما : شركة هعفرا في تل أبيب ، وشركة پالترو في برلين . وكانت آلية العملية على النحو التالي : يودع أي يهودي يرغب في الهجرة في بنك فاسرمان في برلين ، أو في بنك فاربورج في هامبورج مبلغا لا يقل عن ١٠٠ استرليني وبهذا المبلغ يشتري المُصَدِّرون اليهود بضاعة ألمانية وجهتها فلسطين ، ومع دفع القيمة المقابلة بالجنيهات الفلسطينية ، ولحساب شركة هعفرا في البنك الإنجلو فلسطيني في تل أبيب . وعندما يصل المهاجر إلى فلسطين يتسلم ما يعادل المبلغ الذي أودعه في ألمانيا .

وقد شارك عدد كبير من رؤساء وزراء إسرائيل في هذه العملية لا سيما بن جوريون ، وموشى شاريت (الذي كان يسمى حينذاك موشى شرتوك) وجولدا مائير التي ساندتها من نيويورك ، وليفي أشكول الذي كان الممثل لها في برلين . [1]

---

(1) بن جوريون وشرتوك ص ٢٩٤ عن نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص ٧٨

ولقد كانت العملية مربحة بالنسبة للطرفين : فقد نجح النازي في تحطيم الحصار (ونجح الصهاينة في بيع بضائع ألمانية حتى في إنجلترا) وحقق الصهاينة هجرة انتقائية كما أرادوها : فالمليونيرات وحدهم كان بوسعهم الهجرة (والتي كانت رءوس أموالهم تسمح بتنمية الاستيطان الصهيوني في فلسطين) .

وطبقا لأهداف الصهيونية فقد كان الأهم هو إنقاذ رءوس الأموال اليهودية من ألمانيا النازية لكي تتاح لها توسيع عملياتها وإن حياة اليهود المُعْدَمين ، أو غير القادرين على العمل أو على الحرب ، ما هي إلا عالة وعبء ثقيل . [1]

إن فترة الهعفراه [2] تُعَدُّ أهم فترة في تاريخ المُستوطن اليهودي في فلسطين إذ تم تزويده بعدد كبير من أعضاء المادة البشرية المطلوبة وبرأس المال اللازم للبنية التحتية. وقد بلغ عدد اليهود الألمان الذي هاجروا إلى فلسطين في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٣ و١٩٤١(بموجب الاتفاقية) نحو ٥٢,٣٠٠ ويُشكّلون ٢٥% من مجموع المهاجرين اليهود إلى فلسطين خلال الفترة نفسها. وكان بينهم ٦,٥٢٩ رأسمالياً يمثلون إضافة اقتصادية ضخمة للمستوطن و٦,٧٠٠ مهاجر من أبناء الطبقة الوسطى المثقفة غالبيتهم من الأطباء والمحامين والمهندسين والصناعيين . [3]

ويحكي ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ثم رئيس المجلس اليهودي العالمي في سيرته الذاتية مقابلته المأساوية مع وزير الخارجية التشيكي "إدوار بينيس" في ١٩٣٥ التي عاب فيها على الصهاينة كسرهم لحصار هتلر بواسطة شركة هعفراه واتفاقات النقل ، ورفض المنظمة الصهيونية العالمية تنظيم المقاومة ضد النازية .

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٨

(2) الهعفراه هو اسم المعاهدة التي وقعها قادة الصهاينة مع النازيين لكسر الحصار والمقاطعة التي كان اليهود – غير الصهاينة – أعداء النازية في العالم يحاولون فرضهما على ألمانيا النازية .

(3) د. عبد الوهاب المسيري " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " إشكالية التعاون بين بعض أعضاء الجماعات اليهودية والنازيين " . مرجع سابق .

يقول جولدمان : " لم أشعر في حياتي بالأسى والخزي في أي مقابلة من المقابلات العديدة التي أجريتها إلا خلال هاتين الساعتين . لقد أحسست بكل شعرة في جسمي أن " بينيس " كان على حقٍ " (1)

ودامت سياسة التعاون بين قادة اليهود الصهيونية وبين النازيين حتى عام ١٩٤١(أي طوال ٨ سنوات بعد وصول هتلر إلى السلطة) . وقد توقفت هذه المفاوضات عندما ألقت قوات الحلفاء القبض في يونيو ١٩٤١ على مندوب شتيرن وإسحق شامير وهو نفتالي لوبنتشيك داخل مكتب الجهاز السري النازي في دمشق وهناك أعضاء في المجموعة واصلوا الاتصالات حتى إلقاء القبض على إسحق شامير من طرف السلطات البريطانية في ديسمبر ١٩٤١ بتهمة " الإرهاب والتعاون مع العدو النازي " .

وهذا الماضي القذر لم يمنع إسحق شامير من أن يصبح رئيس وزراء وأن يكون رئيساً لمعارضة قوية وأشدها تمسكاً باحتلال الضفة الغربية !!

المجالس اليهودية

ومن بين أشكال التعاون بين الصهيونية والنازية " المجالس اليهودية " وهي مجالس كان يقيمها النازيون بين الجماعات اليهودية التي تقع تحت سلطتهم. وكان سلوك أعضاء المجالس يندرج تحت واحد من أربعة أنماط :

١- تعاون من نوع ما في المجالات الاقتصادية والمادية .

٢- استعداد للاستجابة للمطالب لنازية حين يتعلق الأمر بمصادرة الممتلكات الأشياء المادية الأخرى، مع رفض كامل لتسليم اليهود .

٣- قبول اضطراري لإبادة جزء من الجماعة اليهودية على أمل إنقاذ الجزء الآخر .

(1) ناجوم جولدمان " السيرة الذاتية " ص ١٥٧، ١٥٨ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

٤- خضوع كامل للمطالب النازية نظير حماية مصالح القيادة اليهودية .

ويبدو أن القيادات اليهودية القديمة كانت تسلك وفق النمطين الأولين . ولكن النمطين الثالث والرابع سادا في المراحل الأخيرة حينما ترأست المجالس اليهودية شخصيات يهودية جديدة لم تضطلع بدور القيادة من قبل .

وكان النازيون يحاولون، قدر المستطاع، أن يضموا إلى هذه المجالس العناصر الصهيونية أو اليهودية القومية باعتبارها عناصر حديثة تشاركهم الرؤية في أن أوربا ليست وطن اليهود، وأنه يجب إخلاؤها منهم، وأن كفاح اليهود (باعتبارهم شعباً عضوياً) يجب أن ينصرف إلى الهجرة لا إلى المقاومة والثورة. وقد نجحت هذه المجالس في إدارة أمور الجماعات وضمان سكوتها. وكان كثير من الصهاينة أعضاء في هذه المجالس .

رابطة الثقافة اليهودية

وهي منظمة ألمانية يهودية تأسست في ألمانيا النازية عام ١٩٣٣، بمبادرة من النظام النازي وبعض المثقفين الألمان اليهود ونظراً لنجاح الرابطة، فقد تم في عام ١٩٣٨ تأسيس شبكة قومية من فروع الرابطة في كل أنحاء ألمانيا بلغ عددها ١٦٨ فرعاً، وبلغ عدد الفنانين اليهود التابعين للرابطة حوالي ألفين . وقامت الرابطة بتنظيم ما يقرب من ٨٤٥٧ برنامجاً تشمل محاضرات وحفلات ومسرحيات وعروضاً فنية . وحققت إيراداً بلغ مليوناً وربع مليون مارك. كما كان لها جريدتها الخاصة. وقد شاركت الرابطة بنشاط ملحوظ في الدعاية النازية، سواء في الداخل أم في الخارج. ففي الداخل، قامت الرابطة بزيادة التماسك العضوي والوعي اليهودي بين أعضاء الجماعة اليهودية، الأمر الذي يعني زيادة عزلتهم وإعطاء مصداقية للرؤية النازية لليهود .

أما بالنسبة للخارج، فكانت تعطي صورة مشرقة للحكم النازي في علاقته باليهود وفي سماحه لهم بالإفصاح عن هويتهم العضوية.

ولم يكن سلوك النازيين هذا ينم عن أي تسامح أو اضطهاد، وإنما هو تعبير عن إيمان بأن القومية العضوية تشكل أرضية تفاهم مشتركة بينهم وبين الصهاينة، وهي أرضية لا توجد بينهم وبين أي فريق يهودي آخر .

تيريس آينشتات

" تيريس آينشتات " مدينة في تشيكوسلوفاكيا حوَّلها النازيون إلى مستوطنة نموذجية بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٥. رُحِّل إليها حوالي ١٥٠,٠٠٠ هودي وقد أدار المستوطنة مجلس من الكبراء يضم القادة اليهود ويترأسه أحد كبراء اليهود كانت تعينه السلطات الألمانية. وتمتعت المستوطنة بحريات كثيرة، حيث كان لها نظامها التعليمي ونظامها البريدي المستقل ومكتباتها وهويتها الثقافية ، كما كان يتبع المستوطنة نظام قضائي مستقل .

وقد رُحِّل حوالي ١٤٠,٩٣٧ يهودياً إلى مستوطنة تيريس آينشتات من بينهم ٣٣,٥٢٩ ماتوا فيها، أي حوالي ٢٥%، ورُحِّل حوالي ٨٨,١٩٦ إلى معسكرات الاعتقال. وحينما تم تحرير المستوطنة كان يوجد فيها ١٧,٢٤٧ شخصاً .

وتثير هذه المستوطنة الكثير من القضايا :

١- يُلاحَظ اشتراك المجالس اليهودية مع السلطات النازية في كل الأنشطة سواء الإعداد والتخطيط للمستوطنة أو إدارتها ، وهذا التعاون يثير واحدة من أهم القضايا الأساسية في ظاهرة الإبادة النازية لليهود ، أي مدى اشتراك قيادات الجماعات اليهودية في عملية الإبادة .

٢- وتثير المستوطنة قضية ترشيد الإبادة، فلم يكن النازيون مجرد جزارين على الطريقة التقليدية، وإنما كانوا يلجئون إلى التخطيط العلمي الدقيق وإلى التفرقة بين اليهود المتميِّزين واليهود العاديين .

٣- ويمكن التساؤل أيضاً عما إذا كان هدف النازيين هو توظيف اليهود أم إبادتهم .

٤- ومن القضايا الأخرى التي تثيرها المستوطنة، عدد اليهود الذين تمت إبادتهم عن طريق أفران الغاز. فالموسوعة اليهودية (جودايكا) تتحدث عن أن ربع سكان هذه المستوطنة المثالية التي تتمتع بظروف خاصة ماتوا بسبب ظروف الحرب ، وأنه في أبريل ١٩٤٥ وصل إلى تيريس آينشتات ١٤,٠٠٠ سجين من معسكرات الاعتقال الأخرى، فاجتاحت الأوبئة سكان المستوطنة وهلك منهم ومن المرحلين الجدد الآلاف، واستمرت الأوبئة في حصدهم حتى بعد سقوط النظام النازي. فإذا كانت الأوبئة قد حصدت حياة الألوف قبل و بعد انتهاء الحرب، ألا يثير هذا قضية عدد اليهود الذين أبيدوا عن طريق أفران الغاز ؟

جماعة شتيرن والنازية

جماعة صهيونية حاولت التعاون مع النظم الشمولية فعقدوا اتفاقاً مع حكومة موسوليني تعترف بمقتضاه الحكومة الفاشية بالدولة الصهيونية على أن يقوم أعضاء شتيرن بالتنسيق مع القوات الإيطالية حين تقوم بغزو فلسطين . ولكن التعاون مع النازيين كان هو الهدف الحقيقي. وبعد الحرب العالمية الثانية اكتُشفت وثيقة أرسلتها جماعة شتيرن للحكومة الألمانية تنص على أن إجلاء الجماهير اليهودية من أوربا هو شرط مسبق لحل المسألة اليهودية. كما تذكر الوثيقة وجود مصالح مشتركة بين النازيين والصهيونية، وتُعبِّر عن تقدير جماعة شتيرن للرايخ الثالث لتشجيعه النشاط الصهيوني داخل ألمانيا وللهجرة الصهيونية إلى فلسطين. وتؤكد الوثيقة ضرورة التعاون بين ألمانيا الجديدة والفولك العبري في المجال السياسي والعسكري . وكان إسحق شامير، رئيس وزراء إسرائيل السابق، عضواً في جماعة شتيرن. وحينما عُيِّن شامير وزيراً للخارجية ثار الرأي العالمي بسبب تعيين إرهابي مثله (قام بتدبير عملية اغتيال اللورد موين في القاهرة عام ١٩٤٢ والكونت فولك برنادوت عام ١٩٤٨) ولكن أحداً لم يتطرق إلى ماضيه النازي !!

عصبة الأشداء

جماعة صهيونية كان معظم مؤسسيها أعضاء في منظمات صهيونية عمالية ثم استقالوا منها . وقد تبنت الجماعة صياغة صهيونية لا تُخْفِي إعجابها بالفكر النازي. وكانت مجلة عصبة الأشداء في فلسطين تزخر بالمقالات التي تمجد هتلر والهتلرية. وكان من بين هتافات أعضاء العصبة « ألمانيا لهتلر، وإيطاليا لموسوليني، وفلسطين لجابوتنسكي (زعيم الصهيونية التصحيحية) ». كما مجَّد أعضاء الجمعية الجوانب العسكرية في تاريخ العبرانيين، وكان أتباع الجمعية يرون أن الاغتيال السياسي ليس جريمة وإنما هو فعل ذو هدف ومعنى، وأن الدم والحديد هما الطريق الوحيد للتحرر. وكما قال آبا أحيمئير (١٨٩٨ - ١٩٦٢) مؤسس الجماعة : " إن "الماشيِّح لن يأتي راكباً على حمار"، وهو ما يعني أن الماشيِّح الصهيوني سيأتي راكباً دبابة، حاملاً القنابل العنقودية! ورغم أن جابوتنسكي كان يحاول أحياناً أن يحتفظ بمسافة بينه وبين أعضاء الجمعية، إلا أنه كان يُعبِّر في خطاباته عن إعجابه بهم وتعاطفه معهم. ولم يتخذ أي إجراء تنظيمي ضدهم وتذكر موسوعة الصهيونية وإسرائيل أن مناحيم بيجين انضم إلى الجناح الراديكالي لحركة التصحيحيين الذي كان مرتبطاً بعصبة الأشداء وقد استمرت العلاقة بين بيجين وأحميئير حتى بعد إعلان الدولة، فسمح بيجين، باعتباره رئيس حزب حيروت، بأن يكتب أحميئير في الجريدة اليومية للحزب، إلى أن مات عام ١٩٦٢. "

جرائم اليهود الصهاينة في حق اليهود

لقد ارتكب اليهود الصهيونية أبشع الجرائم في حق اليهود أنفسهم فقد كان حرصهم على إقامة دولة إسرائيل أهم عندهم من إنقاذ يهود أوربا من الإبادة كما أشرنا ، لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد بل وصل باليهود الصهاينة إلى قتل أعداد كبيرة من اليهود من أجل مشروعهم القومي ففي عام ١٩٤١ ومن أجل إثارة السخط على الإنجليز الذين كانوا قد قرروا إنقاذ اليهود المهددين من هتلر وذلك باستضافتهم في

جزيرة موريشيس فإن الباخرة التي كانت تنقلهم وهي ناقلة البضائع الفرنسية " باتريا " وعند توقفها في ميناء حيفا يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠ لم يتردد الزعماء الصهاينة من جماعة الهاجاناه (وكان رئيسهم بن جوريون) في تفجيرها مما أدى إلى وفاة ٢٥٢ يهوديا وأفراد طاقم الباخرة الإنجليز .

ومثال آخر وقع في العراق ، فقد كانت الطائفة اليهودية (١١٠,٠٠٠ شخص في ١٩٤٨) متأصلة في العراق ، وأعلن حاخام العراق الأكبر خدوري ساسون : " لقد تمتع اليهود والعرب بنفس الحقوق الامتيازات منذ ألف سنة ولم يعتبروا أنفسهم عناصر غريبة أو منفصلة عن هذا البلد " .

ثم بدأت التصرفات الإرهابية الإسرائيلية ، في عام ١٩٥٠ في بغداد وأمام إحجام اليهود العراقيين وترددهم في تسجيل أنفسهم على قوائم الهجرة إلى إسرائيل ، ولم تتردد الأجهزة السرية الإسرائيلية ومن أجل إقناعهم بأنهم في خطر بإلقاء القنابل عليهم ، وقتل الهجوم على معبد " شيم توف " ثلاثة أشخاص وجرح العشرات وهكذا بدأ الخروج المسمى " عملية علي بابا " [1]

وكان الهدف المنشود هو تجميع اليهود في جيتو علمي ، لكن العودة لم تتم إلا بتخويف اليهود من التعرض لخطر أعداء السامية في البلدان الأجنبية .

الصهيونية والحروب العربية

لقد استغل زعماء الصهيونية جرائم القتل التي حدثت لليهود – والتي شاركوا في بعضها بالتعاون مع النازيين أو قاموا هم أنفسهم بها – من أجل تخويف اليهود وخاصة الأغنياء والعلماء والشباب إلى الهجرة إلى فلسطين عندما لاحظوا إحجامهم عن ذلك ، كما استغلوها في ابتزاز من قاموا بهذه الجرائم ماديا وسياسيا .

---

(1) جريدة أديعوت أحرونوت الإسرائيلية في ٨ ١٩٧٧ . نقلا عن " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " مرجع سابق .

ولكي يعمل زعماء دولة إسرائيل على التأليف بين هؤلاء المهاجرين أو المهجرين الذين ينتمون إلى حوالي ١٠٠ جنسية مختلفة فإنهم عمدوا إلى إثارة الحروب مع العرب من أجل هدفين :

١- توحيد هذه الجماعات المتباينة دينيًا وثقافيًا وجنسيًا تحت شعار إما أن تتحدوا وإما أن يبيدكم العرب بقيادة عبد الناصر أو صدام حسين أو أحمدي نجاد أو أسامة بن لادن أو حسن نصر الله أو قادة حماس ...

٢- التوسع على حساب البلاد العربية وتحقيق أسطورة أرض إسرائيل من النيل للفرات .

وكما أن العرب يدفعون ثمن هذه السياسة النازية التي نهجها زعماء إسرائيل فإن اليهود يدفعون الثمن كذلك ، فكثيرة هي دماء اليهود الإسرائيليين التي تراق دون سبب إلا طموحات زعماء إسرائيل العدوانية التوسعية .

فخمسة حروب من الحروب الستة التي جرت بين دولة إسرائيل والدول العربية كانت حروبًا عدوانية شنها زعماء إسرائيل النازيين ضد العرب المسالمين ، فقادة العرب بعد حرب ٤٨ لم يفكر أحد منهم في الاعتداء على إسرائيل ، وعبد الناصر (الذي كان يدعوه الصهاينة النازي الجديد) لم يكن عدوا حقيقيا لإسرائيل فلقد اعترف في وقت مبكر جدا (في مؤتمر باندونج ١٩٥٥) بقرارات الأمم المتحدة عامي : ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ بشأن تقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية ، و لم يقم بأي إجراء عسكري ضد إسرائيل رغم الاستفزازات الإسرائيلية المتكررة ، التي وصلت لاحتلال منطقة " العوجا " و" الكونتيلا " المصريتين ووصل عدد القتلى من جراء هذه الغارات إلى نحو ١٥٠ قتيلا غير مئات الجرحى .

كما أنه لم يسعَ ليشن حربا هجومية وقائية واحدة ضد إسرائيل رغم علمه – يقينا – بعزم إسرائيل على شن حرب وشيكة على مصر (حدث هذا في ٥٦ ، ٦٧) ،

وبعد جلاء العدوان الثلاثي وتوقيع اتفاقيته تأكد اعتراف عبد الناصر – الرسمي - بإسرائيل وبحقها في الوجود ، وبحرية الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة ، وأصبح مسألة مرور السفن رافعة العلم الإسرائيلي في خليج العقبة أمرا واقعا ، كما سمح بقوة الطوارئ الدولية أن ترابط في شرم الشيخ وقطاع غزة ، وعليه فإن عبد الناصر لم يطلق رصاصة واحدة نحو إسرائيل لمدة إحدى عشرة سنة (من ٥٦ – ٦٧)

وبعد هزيمة ٦٧ أعلن قبوله لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ولمشروع روجرز وزير الخارجية الأمريكية ، اللذين يعدان أساساً لمعاهدة السلام التي وقعها السادات مع الإسرائيليين عام ١٩٧٩، وتاريخ عبد الناصر يؤكد مهادنته لإسرائيل .[1]

الصهيونية العالمية ودعم المتطرفين

تلجأ الصهيونية العالمية الآن إلى حيلة ذكية ، وهي دعم – خفي - للنُظُم والجماعات المعروفة بتطرفها تجاه أمريكا وإسرائيل والتي تتبنى الخيار العسكري كحل وحيد – رغم قلة عددها وضعف قوتها - للصراع العربي الصهيوني ومحاولة إظهار أصوات القادة العرب المعتدلة بمظهر الجبن والخيانة للقضايا العربية وهذا الدعم الخفي للجماعات والنُظُم المتطرفة تجاه أمريكا وإسرائيل له هدفان :

١- تمزيق الوحدة الوطنية ، وإشعال الحروب الأهلية بضرب المتطرفين بالمعتدلين كما حدث مع حماس وفتح ، وحزب الله وكتلة ١٤ آزار ، والشيعة والسنة في العراق ،والإخوان والدولة المصرية ...

٢- اتخاذ مواقف المتطرفين ذريعة للعدوان العسكري ، أو الحصار الاقتصادي ، أو العزل السياسي ، أو الدعم اللا محدود للسياسة الصهيونية في المنطقة كما حدث هذا في الحرب الأمريكية / العراقية ؛ الإسرائيلية / اللبنانية ، والحصار الاقتصادي المضروب على الفلسطينيين ، والعزلة الدولية المضروبة على سوريا وإيران .

---

(1) لمزيد من التفصيل حول علاقة عبد الناصر بإسرائيل انظر كتابنا " دروس سياسية من التجربة الناصرية " .

والمدهش حقاً أن تقوم بهذا الدعم نيابة عن أمريكا وإسرائيل قناة الجزيرة الفضائية القطرية ، ومن المعروف أن دويلة قطر بها أكبر قاعدة أمريكية توجه منها أمريكا ضرباتها ضد أعدائها من العرب !!

ففي أعقاب العمليات العسكرية المشتركة خلال حرب الخليج الثانية والمُسماة عملية "عاصفة الصحراء" في عام ١٩٩١، خلصت قطر والولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية للتعاون الدفاعي، والتي تم توسيعها في وقت لاحق في أبريل ٢٠٠٣، حيث انتقل بموجبها مركز العمليات الجوية القتالية الأمريكية لمنطقة الشرق الأوسط من قاعدة الأمير سلطان الجوية في المملكة العربية السعودية إلى قاعدة " العديد الجوية " في قطر جنوب الدوحة.

تُعتبر قاعدة " العديد " وغيرها من المرافق في قطر بمثابة مكان الدعم اللوجستي، ومكان إصدار الأوامر للقيادة المركزية للعمليات (قيادة المنطقة الوسطى) للولايات المتحدة الأمريكية ، بما في ذلك العراق وأفغانستان .

وعلى الرغم من كون قطر المضيف للوجود العسكري الأمريكي الكبير الداعم للمبادرات الإقليمية للولايات المتحدة الأمريكية، بقيت قطر في مأمن من الهجمات الإرهابية، إلا أن التصريحات الإرهابية تشير إلى أن البنية التحتية للطاقة والمرافق العسكرية الأميركية في قطر لا تزال أهدافا محتملة .

عرفنا لماذا تدعم قطر المنظمات الإرهابية ، والجماعات المتطرفة ماديًّا وسياسيًّا وإعلاميًّا .

***

الفصل الرابع

أسطورة الملايين الستة (الهولوكوست)

من الأساطير السياسية التي تروِّج لها الصهيونية أسطورة «الستة ملايين» يهودي الذين يُفترض أن النازيين قاموا بإبادتهم، ولقد تحوَّل هذا الرقم – بسبب الدعاية الصهيونية الجبارة - إلى رقم سحري، وإلى عقيدة لا تقبل الشك . وإذا ناقش أحد مصداقية هذا الرقم ، فإنه يُتهم فوراً بانتهاك الحرمات وإنكار الهولوكوست ! رغم أن اليهود الصهاينة كانوا حلفاء النازيين ، ويتحملون جانبًا كبيرًا من مسئولية هذه الجريمة كما بينا في الفصل السابق .

إن إنكار الإبادة مصطلح يتواتر الآن في الصحف الغربية وفي بعض الأدبيات الخاصة بالإبادة النازية لليهود، وهو يشير إلى أي كتاب أو مؤلف تجرأً صاحبه وكتب دراسة (علميَّة أو غير علميَّة) تطعن فيما ذهبت إليه الدعاية الصهيونية من أن عدد ضحايا النازية من اليهود يبلغ ستة ملايين، أو تثير الشكوك بخصوص أفران الغاز .

قصة الهولوكوست حسب رؤية الكيان الصهيوني

دونك نص ما ذكره موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية عن الهولوكوست : " لقد كانت المحرقة (كارثة يهود أوروبا في الحرب العالمية الثانية) محاولة متعمدة ومنتظمة لإبادة الشعب اليهودي كله. وتدنس محاولات عصرية لإنكار حقيقة وقوع هذه الكارثة أو حتى للتقليل منها، بالرغم من حجمها الهائل، ذكرى ملايين الضحايا.

في عام ١٩٣٣، تولى أدولف هتلر السلطة في ألمانيا وأسس نظام حكم عنصريًّا كان اليهود يُعتبرون فيه أشخاصًا من أدنى درجة ليسوا جزءًا من الجنس البشري .

وبعد أن بادرت ألمانيا إلى نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، بدأ هتلر يطبق خطة " الحل النهائي" لإبادة الشعب اليهودي . وقد جمعت قواته **اليهود في**

جيتوهات وأنشأت مخيمات العمل، والتجميع، والإبادة حيث أرسل اليهود إليها . وتمت إبادة الملايين من اليهود، بينما مات معظم اليهود الذين نجوا من الإبادة من التجويع المتعمد والأمراض . وكان هتلر ينوي مسح وجود أي يهودي عن خريطة العالم .

وأباد النازيون، خلال السنوات الست من الحرب ٦،٠٠٠،٠٠٠ يهودي، ومن ضمنهم ١,٥٠٠,٠٠٠ طفل . مما أسفر عن إبادة ثلث من أبناء الشعب اليهودي في العالم . إن هذه العملية لإبادة شعب لم يكن لها مثيل من ناحية حجمها، وإدارتها وتنفيذها . وكانت تقصد إبادة أبناء شعب بكامله، أينما تواجدوا، وذلك فقط لأنهم ولدوا يهود. ولهذه الأسباب سميت هذه الأحداث بالكارثة.

والآن، بعد ستين عامًا تقريبًا ، ينكر لا ساميون كثيرون حقيقة حدوث هذه المحرقة ، أو يحاولون تقزيم هذه الكارثة مدعين بأن حجمها كان أقل بقليل . ويريد بعض العنصريين تبرئة النازيين من هذه الجريمة الفظيعة. ويعتقد الآخرون بأن إقامة دولة إسرائيل كان بمثابة تعويض لليهود على المحرقة. وعند إنكارهم لحدوث المحرقة، يريد المنكرون حرمان إسرائيل من حق وجودها. لهذا السبب يجد منكرو المحرقة الكثير من التأييد في الدول العربية. وقد أيد بعض الزعماء العرب أثناء الحرب العالمية الثانية الخطط النازية لإبادة اليهود، وقد سُمعت بعض الأصوات العربية التي شكت من أن هتلر "لم يكمل عمله".

وفي السنوات الأخيرة ظهر بُعد جديد لهذه الظاهرة. فإن أشخاصًا أشرارًا معادين لإسرائيل من يمين ويسار الخريطة السياسية، كثيرًا ما يقارنون الإسرائيليين بالنازيين والفلسطينيين باليهود . وذلك ليس افتراء دم ممقوتًا فحسب يهدف إلى سحب الشرعية من وجود إسرائيل، بل إنه محاولة للتقليل من المحرقة. وبمقارنة هاتين الحالتين، اللتين لا قاسم مشترك لهما على الإطلاق، يتم شجب إسرائيل وفي نفس الوقت التقليل من معاناة ضحايا المحرقة .

ويعتبر إنكار المحرقة ، على جميع أشكاله ، أمرًا مستنكرًا لن يمكن التسامح معه. ولن يمكننا ضمان عدم حدوث كارثة أخرى مثلها في المستقبل، لليهود أو لأي شعب آخر على الأرض، إلا إذا تذكرنا ووثقنا وخلدنا المحرقة . [1]

وإليكم رد فعل اليهود إزاء الهولوكوست كما ذكره علماؤهم " لقد ردَّ اليهود آنذاك وفي الوقت الحالي بطرق مختلفة . فقد تخلى بعضهم عن أي التزام ديني مؤكدين أن تدمير يهود أوروبا يثبت أن الله قد تخلى عن الشعب اليهودي . وفي المقابل فإن الآخرين أكثر تديناً والتزامًا نتيجة فظائع الهولوكوست. وبالعبارات العَلمانية، فإن تذكر الفظاعة عمل على تعزيز معنى الشعب بين اليهود، ويؤكد دعمهم العام تقريبا لدولة إسرائيل آمنة .

ولقد اختلفت ردود الفعل اليهودية أيضًا على الهولوكوست فيما يتعلق بعلاقاتهم مع العالم غير اليهودي . صمم بعضهم على المثابرة في العمل لمنع إلى الأبد توجيه الكراهية والعنف مرة أخرى إلى أي جماعة إنسانية . ويرون أنه بما أن اليهود كانوا ضحايا لأفظع جريمة لا سابق لها في التاريخ فإن عليهم المسؤولية الرهيبة للمساعدة على ضمان أن لا يقع مثل ذلك الفعل أبدا مرة أخرى .

وكانت ردة فعل أخرى على الهولوكوست هي الانكماش والابتعاد عن العالم، والتركيز فقط على البقاء اليهودي. يحتج رواد هذه النظرة بأن اليهود ليسوا مدينين للعالم بأي شيء كضحايا أبرياء لأفظع جريمة في التاريخ البشري، وكضحايا لما يتعذر وصفه من المآسي المروعة والبشعة التي أنزلتها بهم بعض أمم العالم في حين وقف آخرون غير مبالين .

وفي ردة فعل ثالثة لا ترى أي صراع بين الإنعاش القومي اليهودي بعد الكارثة وبين الواجب الإنساني العام، يرى كثير من اليهود زعماء عرب فلسطين في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي مذنبين بالتواطؤ في الهولوكوست . لقد

(1) نقلا عن موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية .

تعاون ، مثلا، المفتي الحاج أمين الحسيني زعيم القومية العربية في فلسطين مدة طويلة، مع ألمانيا النازية كأحد دعاتها الرئيسين للعرب. فقد جند ونظم المتطوعين المسلمين للقضية النازية بدعم ومساعدة البرنامج النازي لإبادة الشعب اليهودي. فلهذا، فإن الفلسطينيين والمسلمين لا يستطيعون الادعاء أن لا دخل لهم بالهولوكوست بحسب هذا الموقف .

لقد أسدلت الهولوكوست نوعاً من الظلام على العلاقات بين اليهود والعرب، لأن اليهود يميلون إلى رؤية العرب كمجموعة أخرى مثل غيرها التي وقفت تتفرج، وسمحت بتدمير اليهودية الأوروبية . وبالعكس فإن العرب يميلون إلى اعتبار أنفسهم أبرياء من الهولوكوست ويعتقدون أنها ظاهرة أوروبية محضة، واليوم يميل بعض العرب إلى القول بأن الهولوكوست لم تحدث أصلاً وأنها مجرد دعاية يهودية لتبرير احتلال فلسطين . يشكك اليهود أحيانًا في موقف الإسلام نظرًا لموقف الحسيني مفتي الإسلام بجانب زعماء الإسلام الآخرين الذين وافقوا أو تعاونوا أحيانًا مع ألمانيا النازية وخططها في الشرق الأوسط. ومن جهة أخرى ، فإن المسلمين ينظرون إلى الهولوكوست كظاهرة أوروبية ومسيحية، وليس لهم أي ارتباط بها على الإطلاق. ومن وجهة نظرهم ، فإن الفلسطينيين الذين يعيشون في إسرائيل وفلسطين، وفوقهم أولئك الذين استبعدوا من المنطقة، قد أرغموا على تحمل عقاب الجرائم التي اقترفها الأوروبيون والمسيحيون ضد اليهود. إن ألم الوقوع كضحية، وألم الاتهام واللؤم عميق، ومن الصعوبة بمكان نسيانه. إن بالإمكان تجاوز هذا الموقف جزئيا عن طريق حوار صادق ومناقشة صريحة، لكن الناس يستطيعون ومن الواجب عليهم، أن يتعلموا أن يعيشوا مع بعضهم حتى إذا تعذر وجود تفاهم كامل بينهم .

لقد تم تفسير بشاعة الهولوكوست من قبل بعض مناهضي الصهيونية من اليهود الأرثوذكس كعقاب شديد على محاولة ليِّ الذراع مع الله (استباق الأحداث) .

لكــن بالنــسبة لمعظــم الآخــرين، ســواء مــن الأرثــوذكس أو المحــافظين ، أو الإصلاحيين أو العلمانيين فإن الهولوكوست أثبتت إيمانهم أن دولة يهودية فقط هي التي تستطيع أن تحمي يهود العالم من أي كارثة مستقبلية " [1]

ونحن ووفقاً لاقتراح المفكرين اليهود سنحاول مناقشة موضوع الهولوكوست عن طريق الحوار الهادئ والمناقشة الصريحة . ونبدأ المناقشة بتحرير المصطلحات الخاصة بالموضوع والتي ورد ذكرها في الادعاءات الصهيونية وهي ثلاثة مصطلحات : " الهولوكوست " و " الإبادة الجماعية " و " الحل النهائي " .

تحرير مصطلح " الهولوكوست "

يُشار إلى ما فعله هتلر باليهود عن طريق تصفيتهم جسديًا (من خلال أفران الغاز) في معظم الأحيان بكلمة " هولوكوست " وهي كلمة يونانية تعني " حرق القربان بالكامل " (وتُترجم إلى العبرية بكلمة " شواه " ، وتُترجم إلى العربية أحياناً بكلمة "المحرقة") .

وكانت كلمة " هولوكوست " في الأصل مصطلحاً دينيًا يهوديًا يشير إلى القربان الذي يُضحَّى به للرب ، فلا يُشوى فقط بل يُحرق حرقاً كاملاً غير منقوص على المذبح ، ولا يُترك أي جزء منه لمن قدَّم القربان أو للكهنة الذين كانوا يتعيشـون على القرابين المقدمة للرب . ولذلك كان الهولوكوست يُعَدُّ من أكثر الطقوس قداسة، وكان يُقدَّم تكفيراً عن جريمة الكبرياء . ومن ناحية أخرى ، كان الهولوكوست هو القربان الوحيد الذي يمكن للأغيار أن يُقدِّموه .

ومن العسير معرفة سر اختيار هذا المصطلح، ولكن يمكننا أن نقول إن المقصود عموماً هو تشبيه " الشعب اليهودي " بالقربان المحروق أو المشوي وأنه حُرق لأنه أكثر الشعوب قداسة !!

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٦٩- ٧١ بتصرف .

ويتم في الوقت الحاضر الاتجار بالهولوكوست وتوظيفها بشكل ممجوج لخدمة الأهداف الصهيونية والتجارية . وقد ظهرت مجموعة من المصطلحات المشتقة من كلمة « هولوكوست » والتي تُعبِّر عن الاستياء العميق من عملية التوظيف هذه . بمعنى توظيف الهولوكوست تجارياً لتحقيق الأرباح العالية . ومن العبارات الأخرى المتواترة عبارة " هولوكوست مانيا " أي " الإنشغال الجنوني أو المرضي بالإبادة (1)

تحرير مصطلح " الإبادة الجماعية "

يُطلق مصطلح «إبادة اليهود» في الخطاب السياسي الغربي على محاولة النازيين التخلص من أعضاء الجماعات اليهودية في ألمانيا وفي البلاد الأوربية (التي وقعت في دائرة نفوذ الألمان) ولعبارة " الإبادة الجماعية " معنى محدد من واقع أصل الكلمة نفسها وهو إبادة جنس ما ، وذلك بافتراض جود جنس يهودي كما تدعي العنصرية الهتلرية ، وكما يؤكد اليهود الصهاينة .

ولكن هل كانت هناك أثناء الحرب العالمية الثانية " إبادة جماعية لليهود " ؟

إن لعبارة الإبادة الجماعية معنى محددًا في جميع القواميس فقاموس "لاروس" على سبيل المثال يعطي هذا التعريف : " الإبادة الجماعية هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها " . (٢)

ولا ينطبق هذا التعريف حرفيًا إلا على غزو يشوع لأرض كنعان حيث جاء في سفر العدد أنه بالنسبة لكل مدينة دخلها شعب إسرائيل " ٣١فَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ الأَمُورِيِّينَ. ٣٢وَأَرْسَلَ مُوسَى لِيَتَجَسَّسَ يَعْزِيرَ، فَأَخَذُوا قُرَاهَا وَطَرَدُوا الأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ هُنَاكَ. ٣٣ثُمَّ تَحَوَّلُوا وَصَعِدُوا فِي طَرِيقِ بَاشَانَ. فَخَرَجَ عُوجُ مَلِكُ بَاشَانَ لِلِقَائِهِمْ

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م٢ / ج ٤ " الإبادة النازية والحضارة الغربية الحديثة " .مرجع سابق .

(2) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٣٩

هُوَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ إِلَى الحَرْبِ فِي إِذْرَعِي. ٣٤فقالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لاَ تَخَفْ مِنْهُ لأَنِّي قَدْ دَفَعْتُهُ إِلَى يَدِكَ مَعَ جَمِيعِ قَوْمِهِ وَأَرْضِهِ، فَتَفْعَلُ بِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِسِيحُونَ مَلِكِ الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِ فِي حَشْبُونَ». ٣٥فضَرَبُوهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ، وَمَلَكُوا أَرْضَهُ. (العدد ٢١)

وعلى ذلك فقد استخدمت العبارة أثناء محاكمات نورمبرج بطريقة خاطئة تمامًا لأن الأمر لا يتعلق بإفناء شعب بأكمله والقضاء عليه كما هو الحال بالنسبة للإبادة المقدسة للعمالقة والكنعانيين وغيرهم من الشعوب الأخرى التي تحدث عنها سفر يشوع " [٢٨]وَأَخَذَ يَشُوعُ مَقِّيدَةَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ مَلِكَهَا هُوَ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِ مَقِّيدَةَ كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا.

[٢٩]ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ مِنْ مَقِّيدَةَ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى لِبْنَةَ، وَحَارَبَ لِبْنَةَ. [٣٠]فَدَفَعَهَا الرَّبُّ هِيَ أَيْضًا بِيَدِ إِسْرَائِيلَ مَعَ مَلِكِهَا، فَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ بِهَا شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِهَا كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا. [٣١]ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لِبْنَةَ إِلَى لَخِيشَ وَنَزَلَ عَلَيْهَا وَحَارَبَهَا. [٣٢]فَدَفَعَ الرَّبُّ لَخِيشَ بِيَدِ إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ. [٣٣]حِينَئِذٍ صَعِدَ هُورَامُ مَلِكُ جَازَرَ لإِعَانَةِ لَخِيشَ، وَضَرَبَهُ يَشُوعُ مَعَ شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يُبْقِ لَهُ شَارِدًا.

٣٤ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لَخِيشَ إِلَى عَجْلُونَ فَنَزَلُوا عَلَيْهَا وَحَارَبُوهَا، ٣٥وَأَخَذُوهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ كُلَّ نَفْسٍ بِهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلَخِيشَ. ٣٦ثُمَّ صَعِدَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ عَجْلُونَ إِلَى حَبْرُونَ وَحَارَبُوهَا، ٣٧وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا وَكُلِّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِعَجْلُونَ، فَحَرَّمَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. " (يشوع ١٠)

" [١٠]ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، لأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلاً رَأْسَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. [١١]وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ.

حَرَّمُوهُمْ، ولَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ، وَأَحْرَقَ حَاصُورَ بِالنَّارِ. [12]فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مُدُنِ أُولئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ. [13]غَيْرَ أَنَّ الْمُدُنَ الْقَائِمَةَ عَلَى تِلاَلِهَا لَمْ يُحْرِقْهَا إِسْرَائِيلُ، مَا عَدَا حَاصُورَ وَحْدَهَا أَحْرَقَهَا يَشُوعُ. [14]وَكُلُّ غَنِيمَةِ تِلْكَ الْمُدُنِ وَالْبَهَائِمَ نَهَبَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا الرِّجَالُ فَضَرَبُوهُمْ جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى أَبَادُوهُمْ. لَمْ يُبْقُوا نَسَمَةً. " (يشوع : ١١)

هل أباد يشوع كل الكنعانيين ؟

وبالقطع فإنه لم يحدث إبادة شاملة لكل الكنعانيين كما تحاول توراة اليهود أن توهمنا ، فيشوع لم يَغْزُ كل أرض كنعان ، ولكنه غزا بعضها فقط ، وعلى فرض أن يشوع أباد كل الكنعانيين في البلاد التي غزاها ، فإن ذلك لم يحدث إلا في مدينتين أو ثلاثة على الأكثر من مدن الكنعانيين ، والتاريخ يقول أن وسائل القتال على عهد يشوع لا تُمَكّنه من إبادة سكان كل مدينة يدخلها .

لكن السؤال هنا لماذا توراة اليهود تؤكد على إبادة يشوع للكنعانيين رغم ما في هذا من مجافاة للأخلاق الإنسانية الكريمة ، وللتاريخ الإنساني الصحيح ؟

تهدف الصهيونية من وراء ذلك إلى :

١- التأكيد على فناء الكنعانيين أصحاب فلسطين الأصليين عن آخرهم وبالتالي لا يكون هناك حق لأي عربي في فلسطين .

ويؤكد علماء اليهود ذلك فيقولون : " مارس الرومان نوعًا من "التطهير العرقي" من أجل إبعاد اليهود عن القدس عاصمتهم المركزية، وكانوا مصممين على منع وقوع مزيد من الثورات اليهودية إلى درجة أنهم تخلوا عن تسمية المنطقة يهودا، وذلك من أجل فصلها عن اليهود تماما. غيّر الرومان اسم يهودا إلى اسم "فلسطين" المأخوذ من اسم الشعب القديم البائد المعروف بالفلسطينيين. " [1]

([1]) الحاخام روبن فايرستون و د. ستيفن ستاينلايت و الحاخام جيمز أ. رودين . وآخرون " ذرية إبراهيم " مرجع سابق ص ٥١

٢- اتخاذ الصهيونية من إبادة يشوع للكنعانيين ذريعة دينية لممارسة كافة أشكال المذابح العنصرية ضد العرب . معتبرة أن المجازر التي ترتكبها في حق العرب جهاد مقدس مارسه سلفهم الصالح !!

تحرير مصطلح " الحل النهائي "

تُستخدَم عبارة «الحل النهائي» للإشارة إلى «المخطط الذي وضعه النازيون لحل المسألة اليهودية بشكل جذري ونهائي ومنهجي وشامل عن طريق إبادتهم ، أي تصفيتهم جسديًا . وتزعم الأدبيات الصهيونية ترادف عبارة «الحل النهائي» مع عبارة «الإبادة كتصفية جسدية» ، وهو ترادف ينكره رجاء جارودي، وغيره من الدارسين، للأسباب التالية :

١ ـ كان النازيون يتحركون في إطار الحل الإمبريالي للمسألة اليهودية وهو تصديرها للخارج. وقد بيَّن هتلر أنه يميِّز بين معاداة اليهود العاطفية ومعاداة اليهود المنهجية، فالأولى تنتهي بالمجازر، أما الثانية فتنتهي بتهجير (ترانسفير) اليهود . وقد حدد هتلر مشروعه بالنسبة لليهود باعتباره عملية تهجير. وفي رده على سؤال وُجه إليه في اجتماع عام بشأن حقوق اليهود الإنسانية، قال : " ليبحث اليهودي عن حقوقه الإنسانية في دولته فلسطين " .

فالحل النهائي إذن يكمن في تفريغ أوربا من اليهود والإمعان في إقصائهم بعيدا حتى تسمح الحرب بوضعهم داخل جيتو خارج أوروبا (كمشروع مدغشقر) [1]

٢ـ طبق النازيون هذه الرؤية الإمبريالية (الصهيونية) على اليهود، ولذا بدأ الحل النهائي بتهجير اليهود من أصل بولندي إلى بولندا، ولكن الحدود أوصدت دونهم. ثم طرح النازيون مشاريع صهيونية عديدة تهدف إلى توطين اليهود وتأسيس وطن قومي لهم في أي مكان خارج أوربا (إكوادور ـ سوريا ـ مدغشقر) .

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١١٢

وقد تعاون النازيون مع الصهاينة انطلاقاً من قبول هذا الحل الصهيوني النازي للمسألة اليهودية فتم توقيع معاهدة الهعفراة للمساعدة في تهجير اليهود إلى فلسطين . وحقق النازيون بعض النجاح في هذا المضمار إذ بلغ عدد اليهود الذين هاجروا من ألمانيا وحدها حوالي ١٥٠ ألف (بين ١٩٣٣ ـ ١٩٣٨) وهي نسبة مئوية عالية. وظل النازيون يدافعون عن فكرة تهجير اليهود، وكانوا لا يكفون عن الشكوى من أن سيل الهجرة لم يكن سريعاً بما فيه الكفاية، ومن أن الدول الغربية توصد أبوابها في وجه المهاجرين اليهود .

وفي السنين الأخيرة للحرب، بعد مؤتمر فانسي (يناير١٩٤٢) وبعد وقوع مساحات شاسعة من الأرض السوفيتية البولندية في أيدي النازيين، بدأت فكرة توطين اليهود فيها تراود النازيين («ترحيل اليهود إلى الشرق «في المصطلح النازي). وقد جاء في مذكرة رسمية بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٤٢ صادرة من وزارة الخارجية الألمانية ما يلي: « إن الحرب ضد الاتحاد السوفيتي وفرت لنا أراضيَ جديدة لتنفيذ الحل النهائي. وقد قرر الفوهرر (لقب هتلر) أنه بدلاً من إرسال اليهود إلى مدغشقر فسيقوم بإرسالهم إلى الشرق. ولذا ليس هناك ما يدعو إلى التفكير في مدغشقر باعتبارها الحل النهائي " .

وكل هذا يعني في واقع الأمر أن الحل النهائي هو حل صهيوني إقليمي، يعني التخلص من اليهود عن طريق ترحيلهم من مكان لآخر، تماماً كما فعلت الحضارة الغربية مع اليهود حيث نقلتهم إلى فلسطين، وكما فعل الصهاينة مع الفلسطينيين بنقلهم منها .

٣ـ كان النازيون في حاجة ماسة للأيدي العاملة، فلماذا تُضيِّع آلة الحرب النازية وقتها في إبادة الملايين بدلاً من توظيفهم في أعمال السخرة ؟ ومن الواضح أن النازيين كانوا أكثر رشداً ونفعية مما يتصوره الدارسون الصهاينة. فكانوا يزيدون من عدد العمال الذين يعملون نظير دولار واحد في اليوم للاستفادة من العمالة الرخيصة.

وقد أرسل هتلر مذكرة إلى أحد رؤساء معسكرات الإبادة (بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٤٢) يخبره فيها أن يستعد لاستقبال ٢٠٠ ألف يهودي حيث ستسند للمعسكر مهام اقتصادية مهمة. وفي مايو ١٩٤٤ أصدر هتلر أمراً باستخدام ٢٠٠ ألف يهودي كعمال في أحد المشاريع الإنسانية. وقد أصدرت قيادة الإس. إس .S. S أمراً بمنح مكافأة لكل السجناء (ومنهم اليهود) الذين أبلوا بلاءً حسناً في العمل. كما وفرت المؤسسات النازية لهؤلاء العاملين كل الأنشطة الترفيهية، وضمنها بيت دعارة، لزيادة الإنتاجية !!

٤- حينما يَرِد لفظ «الإبادة» في نصوص نازية فإنه لم يكن يعني دائماً «التصفية الجسدية»، ففي ٢٦ مارس ١٩٤١ في حفل افتتاح معهد فرانكفورت لدراسة المسألة اليهودية أشار أحد المتحدثين إلى الإبادة باعتبارها الحل الشامل للمسألة اليهودية وعُرِّف هذا الحل بأنه " أن يترك اليهود أوربا " . وقد أفاض المتحدث وقال إنه يمكن أن يترك اليهود أوربا عن طريق وضعهم في معسكرات عمل في بولندا (حيث يتم إفقارهم) أو في مستعمرة. ولعل تجربتي : جيتو وارسو ، وتيرس آينشتات (وغيرهما من التجارب) قد تمتا في هذا الإطار .

٥- لوحظ أثناء محاكمات نورمبرج أن المدَّعين الذين مثّلوا الحلفاء كانوا يحاولون قصارى جهدهم أن يلووا عنق بعض الكلمات الألمانية ليترجموها بكلمة «إبادة». فكلمة "أوسروتونج " Ausrottung على سبيل المثال، والتي تعني «استئصال شأفة» شيء ما بأية طريقة فعلية أو مجازية تُرجمت إلى «إبادة» بمعنى «تصفية جسدية متعمدة»، مع أن النازيين استخدموا في إحدى وثائقهم عبارة «استئصال شأفة المسيحية»، ولم يُفسِّر أحد هذه العبارة باعتبارها مخططاً نازياً لإبادة المسيحيين .

٦ ـ ما تهمله كثير من الدراسات الغربية هو ما يمكن تسميته «الاختفاء»، أي اختفاء أعداد كبيرة من اليهود من خلال عوامل طبيعية مثل الزواج المختلط والموت بسبب الغازات والأوبئة أثناء الحرب .

لكل هذا فعبارة «الحل النهائي» تعني ما تقول دون زيادة أو نقصان، ومن ثم فهي لا تعني بالضرورة «تصفية جسدية متعمدة»، وقد تعني «تصفية من خلال التهجير وأعمال السخرة " (١)

وبعد تحرير المصطلحات الثلاثة (الهولوكوست ، والإبادة الجماعية ، والحل النهائي المرادف للتصفية الجسدية المتعمدة) يتبين لنا أنها جميعًا لا تصلح وصفاً لما فعله هتلر مع اليهود ، إنما هي من قبيل الدعاية التي يستخدمها الإعلام الصهيونية للتهويل والإثارة .

نأتي إلى زعم آخر ادعته الأدبيات الصهيونية وهو " أن اليهود كانوا ضحايا لأفظع جريمة لا سابق لها في التاريخ " أي أن ما فعله هتلر باليهود لم تتعرض له جماعة قط طوال التاريخ .

وهذا ادعاء تكذبه توراة اليهود التي نصت على إبادة يوشع لمدن كاملة – كما سبق ذكره – ولن نذهب بعيدا فقط سنكتفي بذكر أشهر الجرائم التي وقعت في العصر الحديث لنبين إلى أي مدى تزيف الدعاية الصهيونية الحقائق .

ضحايا الحرب العالمية الثانية

في البداية لا بد من الاعتراف بأن جريمة النازيين في حق اليهود وغيرهم ثابتة لا ينكرها إلا معاند ، ولكن السؤال ، ماذا عن الحساب الختامي لمجازر هتلر في حق اليهود ؟

لقد خلفَّت الحرب العالمية الثانية ٦٠ مليوناً من الموتى منهم ١٧ مليوناً من السوفييت ، و٩ ملايين من الألمان . وكذلك ملايين الجنود من أفريقيا وآسيا دفعوا ثمناً باهظاً بموت عدد كبير منهم .

---

(١) لمزيد من التفصيل حول إبادة اليهود الرجوع إلى . رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية الفصل الخاص بأسطورة عدالة نورمبرج . د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج٤: " بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوربا " .

وعلى ذلك فإن الهيمنة الهتلرية لم تكن كما شاعت بعض ألوان الدعاية حكرًا على اليهود وحدهم ، أو أنهم كانوا الضحايا الرئيسيين ، فقد كانت الحرب العالمية الثانية كارثة بشرية لا مثيل لها للأسف الشديد . لأن هتلر طَبَّق على البيض (سكان أوروبا) ما طبقه الاستعماريون الأوربيون منذ خمسة قرون على المُلوَنين .

نَسَى اليهود - أو تناسوا - أن حرب هتلر قد كلفت العالم ستين مليونًا من الموتى، وحفظوا الرقم على أنه ستة ملايين من اليهود ، ثم أعلنوا أن هذه " أعظم أحْدَاث الإبادة فِي التاريخ " ! إن هذا يُثِير قضية العالم كله : قضية الأمريكان الذين ارتكبوا مذابح أكبر من هذه وأبشع، لأكثر من عشرين مليونًا من الهنود، وقضية الروس الذين كلّفتهم حملات التطهير الستالينية أكثر من عشرة ملايين من القتلى، وقضية الاستعماريين الأوربيين: " فرنسيين وإنجليز وغيرهمْ "، وقد أسْفرت عمليات "نخاسة السود" على أيديهم عن عدد يتراوح "بين ١٠ ملايين و٢٠ مليونًا من العبيد"، نُقلوا إلى أمريكا، وكانت الضحايا بنسبة ١٠ قتلى إلى أسِير واحِد، أي: إنه قُتِلَ فِي هذِهِ العمليات ما بين مائة ومائتي مليون من السود .

إن "أكبر مذبحة فِي التاريخ" سَمَحَتْ بأن يُلْقَى بسوابقها في طوايا النّسيان، فأما الصهاينة فقد كان هذا عندهم حُجَّة إضَافِيَّة تُضفي الشرعية، لا على وجود دولة إسرائيل فحسب، ولكن كذلك على أية جريمة اغتصاب ترتكبها في المستقبل مهما تكن . " (١)

هدف الغرب من التركيز على الهولوكوست

إن تركيز الغرب على أسطورة الهولوكوست وحدها دون سائر الجرائم التي ارتكبت في حق شعوب أخرى كانت تمويها على حقيقة جرائمهم : فالحديث عن "أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ " كانت بالنسبة للاستعماريين الغربيين إنزالاً

---

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثالث ، الفصل الثاني : كيف ولدت دولة إسرائيل .مرجع سابق .

للستار على جرائمهم قتل الهنود في أمريكا ، والرقيق السود وبالنسبة لستالين محوًا لآثار عمليات القمع الوحشية التي قام بها .

وكانت الغايات من ذلك غايات سياسية وليست غايات حربية فقد كتب تشرشل ابتداء ١٩٤٨ في كتابه : الحرب العالمية الثانية (المجلد الرابع) : من الخطأ الافتراضي بأن مصير اليابان قد تقرر بواسطة القنبلة الذرية . [1]

وعبارة " هولوكوست " المطبقة على نفس المأساة منذ السبعينيات انطلاقاً من كتاب إيلي فينزل " الليل " (١٩٥٨) والتي انتشرت بعد عرض فيلم " الهولوكوست " تشي بالرغبة في استغلال الجريمة التي ارتكبت ضد اليهود وجعلها حدثا استثنائيًّا لا مثيل له ولا يمكن مقارنته بقتل الضحايا الآخرين للنازيين ، ولا بأي جريمة أخرى من جرائم التاريخ ، لأن معاناتهم وأمواتهم قد اتخذت طابعا مقدسا ، ومن ثم فإن قاموس " لاروس " يعرف الهولوكوست كالآتي : " قربان لدى اليهود ، تحرق فيه الضحية بالنار تمامًا " .

وبذلك أصبح استشهاد اليهود لا يعادله استشهاد آخر نظرا لطابعه القرباني الذي أدمجهم ضمن المشروع الإلهي على طريقة صلب المسيح في اللاهوت المسيحي ، مفتتحا بذلك عصرا جديدا الأمر الذي أتاح لأحد الحاخامات أن يقول : " إن إنشاء إسرائيل هو رد فعل الرب على الهولوكوست " .

ولتبرير الطابع المقدس للهولوكوست كان لابد من الإبادة التامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق .

ولم يتسن تقديم أي نص يثبت أن " الحل النهائي " للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازيين هو الإبادة . [2]

---

(١) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤١، ١٤٢
(٢) نفسه ص ١٤٤

نأتي بعد ذلك إلى الأسطورة العظيمة وهي إبادة هتلر لستة ملايين يهودي ، فإذا كان هرتزل عندما صاغ الشعارات: "نحن شعب"، "وفلسطين وطننا التاريخي الذي لا يُنْسَى" لم يفعل سوى أن تناول ما أطلق عليه هو نفسه: "الأسطورة العظيمة" (١) فإن الدولة الصهيونية فعلت الشيء نفسه بإصرارها على رقم الستة ملايين .

هل أباد هتلر ستة ملايين يهودي حقا ؟

ليس الغرض مسك دفاتر حسابية مؤلمة ومفجعة فقتل إنسان بريء واحد سواء أكان يهوديًا أم غير يهوديٍّ هو جريمة ضد الإنسانية ولكن إذا ما كان عدد الضحايا لا أهمية له من هذه الناحية ، فلماذا إذن يتمسك الصهاينة منذ ما يزيد على نصف قرن مضى بالرقم الذهبي الستة ملايين الذي أحاطوه بهالة من التقديس رغم ما طرأ عليه من تخفيض بصورة دائمة .

تضارب عدد قتلى اليهود على يد النازيين

لقد تضاربت أرقام ضحايا اليهود على يد النازيين فقد وصل بعضهم بالعدد إلى تسعة ملايين ، وقد نزل البعض بالرقم إلى مليون وربع فقط وإليك أهم هذه الأرقام واسم من قال بها .

(٩) ملايين وفقاً لفيلم المخرج الفرنسي آلان رينيه " الليل والضباب " الذي أخرجه عام ١٩٥٥، ومع إنه فيلم رائع ومؤثر .

(٨) ملايين وفقاً " لوثائق خدمة تاريخ الحرب " معسكرات الاعتقال الذي أصدره المكتب الفرنسي للنشر عام ١٩٤٥. ص ٧

(٤) ملايين طبقا للتقرير السوفيتي الذي جعلت منه محكمة نورمبرج دليل إثبات شرعيًا وفقا للمادة ٢١ من النظام الأساسي التي تنص على ما يأتي : " تكون للوثائق

---

(1) رجاء جارودي " فلسطين أرض الرسالات الإلهية " الباب الثاني ، الفصل الثاني : من اليهودية إلى القومية الصهيونية . مرجع سابق .

والتقارير الرسمية للجان التحقيق التابعة لحكومات الحلفاء قوة دليل الإثبات الشرعي " ومع أن هذه المادة نفسها تنص على أن " هذه المحكمة لن تطالب بتقديم الأدلة على الوقائع المعروفة للجميع ، وستعتبرها أدلة مسلم بصحتها " .

(٢) مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودي ليون بولياكوف " ترانيم الحقد " ١٩٧٤ . ص ٤٩٨

(مليون وربع) مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودي راءول هيلبرج "تدمير يهود أوروبا" الصادر عام ١٩٨٥ . ص ٨٩٥

والآن وبعد أبحاث تاريخية مطولة قام بها علماء من جنسيات مختلفة أوجز مدير معهد التاريخ المعاصر في باريس السيد فرانسو بيداريدا هذه الأعمال في مقال له صدر بجريدة لموند وعنوانه " تقييم ضحايا أوشفيتز " خلص فيه إلى أن عدد ضحايا معسكر أوشفيتز يتراوح بين ٩٥٠،٠٠٠ على أقل تقدير و ١،٢ مليون على أكثر تقدير . [1]

ويمكن كذلك عمل تقييم لعدد الموتى في المعسكرات الأخرى فعلى سبيل المثال ، كم كان عدد الموتى في معسكر مجدانيك ؟

- (مليون ونصف) طبقا للوسى داودوفيتش في كتاب " الحرب ضد اليهود " الصادر في عام ١٩٨٧ .
- (٣٠٠,٠٠٠) حسب لياروش وإبرهارد ١٩٩١.
- (٥٠,٠٠٠) حسب راءول هيلبرج .

وهنا يطرح السؤال التالي ألا يخدم الدعاية النازية الحديثة تقديم مثل هذه الحجة : إذا كنتم قد كذبتم بشأن مسألة عدد الضحايا اليهود ، فماذا يمنع أن تكونوا قد بالغتم في جرائم هتلر ؟ [2]

---

(1) جريدة لموند الفرنسية بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٩٠ نقلا عن رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤٨

(2) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤٩

تضارب الآراء حول طريقة قتل النازيين اليهود

وكما تضاربت أرقام القتلى من اليهود تضاربت كذلك أساليب قتل اليهود فقد ذكرت بعض المصادر أن وسيلة القتل كانت الرمي بالرصاص ، في حين ذكرت مصادر أخرى أن الوسيلة كانت الصعق بالكهرباء ، ومصادر ثالثة غرف بخار الماء، ورابعة بالغاز ... وهكذا تضاربت المصادر في تحديد سلاح الجريمة ، وبعض وسائل القتل التي ذكرت ثبت بالدليل كذبها مما يثير سحبا من الشك في الوسيلة التي دأبت الدعاية الصهيونية على تأكيدها وهي الإعدام بغاز الزيكلون .

وإليك بعض المصادر التي ذكرت وسيلة قتل اليهود على يد النازيين :

- فالنيويورك تايمز الصادرة في ٣ يونيو ١٩٤٢ تتحدث عن " مبنى للإعدام " كان يُعدم فيها بالرصاص ١٠٠٠ يهودي يوميا .
- وفي ديسمبر ١٩٤٥ أدْخَل ستيفان زيند اليهود في حوض سباحة ضخم يمر فيه تيار كهربائي ذو ضغط عالٍ لصعقهم ويضيف : " وبهذا فإن مشكلة إعدام ملايين الرجال قد حُلت " .
- وثيقة نورمبرج رقم ٣٣١١ المؤرخة في ١٤ ديسمبر ١٩٤٥ تشير إلى ضحايا ماتوا بالأبخرة داخل " غرف بخار الغاز " .
- وبعد شهرين ونصف استبدلت نفس هذه المحكمة بغرف بخار الغاز غرف الغاز !

لكن الصيغتين الشائعتين في التليفزيون والصحافة والكتب المدرسية هما الإعدام بالزيكلون ب من جهة ، والشاحنات المجهزة بمخارج غاز محرك الديزل .

والأمر الذي يؤسف له أن محكمة نورمبرج أو أي محكمة أخرى لم تأمر بإجراء أي معاينة من أجل التحديد النهائي لسلاح الجريمة . حتى لا يثبت خطأ الدعاية الصهيونية في هذا الشأن ، وربما يكون لأول مرة في تاريخ المحاكم أن تتجاهل المحكمة البحث في وسيلة القتل ، وهي أقوى دليل إثبات أو نفي .

الشك في قتل اليهود في غرف الغاز

الفيلم الذي عُرض في نورمبرج أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازي ، أوضح وجود " غرفة غاز " واحدة فقط هي غرفة معسكر داخاو ، وعد ذلك دليل إثبات لوقوع جرائم قتل في غرف الغاز .

وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة إلى هذه الغرفة الواحدة التي استندت عليها محكمة نورمبرج كدليل إثبات قتل اليهود عن طرق غرف الغاز ، وتبين أن هذه الغرفة لم تستعمل أبداً ، حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدا لم يلق فيها حتفه لأنها لم تستعمل أبدا !!

وصدر في ١٩ أغسطس ١٩٦٠ بيان عن مارتي بروزات عضو معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ اعترف فيه بأنه لم يحدث أن قتل اليهود أو المعتقلون الآخرون بالغاز في داخاو ، أو بريجن – بيلس أو بوشنفالد .. ولم يبدأ القضاء الجماعي على اليهود بالغاز إلا في ١٩٤١- ١٩٤٢ وقبل كل شيء في الأراضي البولندية المحتلة ".

وبالإضافة إلى عمليات القصف الجوي التي ضربت سكان البلدان المشتركة في الحرب العالمية الثانية والأشغال الشاقة والنقل الدائم في ظروف لا إنسانية خلفت آلاف الجثث في الطريق . وسوء التغذية ، والأوبئة فهل تحتاج هذه المأساة إلى تضخيم للدلالة على قتل اليهود على أيدي النازي ؟

وهل الحاجة تدعو والحالة هذه إلى الإبقاء بأي ثمن على هالة القداسة للهلولوكست، والتلويح بشبح " غرف الغاز " ؟

قصة محارق الموتى في المدن الأوربية الكبرى

تحاول الدعاية الصهيونية إثبات أن غرف حرق الموتى الموجودة في معظم المدن الأوربية الكبرى لحرق جثث الموتى المصابين بالأوبئة كالتيفوس لمنع انتشار الوباء،

استغلت الصهيونية وجود هذه المحارق في مستعمرات النازيين لإثبات استخدام النازيين لها في حرق اليهود .

ورغم وجود خلط لدى الناس من ذوي النيات الطيبة بين محارق الموتى وغرف الغاز ووجود عدد مهم من هذه المحارق في المعسكرات الهتلرية لوقف انتشار وباء التيفوس ، فإن هذه المحارق ليست بالحجة الكافية ، فهذه المحارق موجودة في المدن الكبرى كباريس (بيرلاشيز) ولندن وفي كل العواصم الهامة وحرق الموتى لا يعني بالطبع الرغبة في إبادة السكان .

ولذلك فقد اقتضى الأمر إضافة غرف الغاز إلى المحارق لإقامة الذرائع والتدليل على الإبادة بالنار . ومع ذلك فلم تتوفر المقتضيات المبدئية لإثبات وجودها ولم تسمح معاينة " سلاح الجريمة " بالعثور عليها . [1]

وقد خدع الإخراج الذي أحاط بمعسكر داخاو آلاف الأطفال الذين كانوا يقتادون إلى هناك لتلقينهم عقيدة الهولوكوست ، ناهيك عن الكبار وقدماء المعتقلين !

وكانت غرف الغاز في داخاو هي الوحيدة التي عرضت بالصور على المتهمين في نورمبرج بوصفها من أماكن الإبادة الجماعية ، ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك باستثناء جورنج وستريشر . [2]

أشهر الدراسات العلمية حول الهولوكوست

وقد صدرت في السنوات الأخيرة عدة كتب ودراسات تدور حول هذا المحور :

١- كتب بول راسينيه في الخمسينيات دراسة ضخمة بعنوان أسطورة غرف الغاز. وكان المؤلف قد رُحِّل إلى أحد معسكرات الاعتقال. وفند في كتابه وجود مثل هذه الغرف أساساً وبيَّن أنها أكذوبة تاريخية وأورد إحصاءات ديموجرافية (رسمية)

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٥١
(2) نفسه ص ١٥١

عن عدد اليهود في كل أوربا بل الحرب وبعدها، وعقب صدور الكتاب حُوكم راسينيه وناشره وعُوقب بالسجن (مع إيقاف التنفيذ) كما فُرضت عليه غرامة مالية فادحة .

٢- من أهم الكتب التي صدرت في هذا المجال كتاب البروفسور آرثر باتس الأستاذ بجامعة نورث ويسترن أكذوبة القرن العشرين الذي يثير الشكوك حول عملية الإبادة نفسها. ولا يزال البروفسير باتس يُدرِّس في الجامعة في الولايات المتحدة .

٣- أصدر روبير فوريسون أستاذ الأدب في جامعة ليون سلسلة مقالات ثم مؤلفاً كبيراً كتب مقدمته اللغوي الأمريكي الشهير نعوم تشومسكي يثبت أنه لم تكن هناك أصلاً أفران غاز .

٤- تقدَّم هنري روكيه برسالة للدكتوراه إلى جامعة نانت يُشكك فيها في وجود غُرف الإعدام بالغاز «زيكلون بي». وقد أجازت الجامعة الرسالة ومنحته الدرجة العلمية بامتياز. ولكن الحكومة الفرنسية ألغت قرار اللجنة وسحبت منه الدرجة. ويُعَدُّ هذا التدخل سابقة ليس لها مثيل في تاريخ الجامعات الفرنسية الذي يمتد ألف عام .

٥- أصدر ستاجليش أحد قضاة مدينة هامبورج، كتاباً بعنوان أسطورة أوشفيتس. والكتاب هو رسالة للدكتوراه كان القاضي قد قدمها إلى جامعة جوتينجن، وتوصَّل فيها إلى أن كثيراً من النصوص وشهادات الشهود بخصوص معسكر أوشفيتس أو عما كان يجري فيه غير صحيح بالمرة ومليئة بالتناقضات. وقد أُجيزت الدكتوراه بالفعل. وما إن صدر الكتاب حتى قررت الجامعة سحب الدكتوراه من الرجل. كما أصدرت السلطات القضائية قراراً بخصم ١٠% من راتبه .

٦- يتعرض المؤرخ البريطاني ديفيد إيرفينج للمطاردة منذ نهاية الثمانينيات لأنه ينكر الإبادة رغم أن مجلة The New York Review of Books وصفته بأنه "يعرف عن الاشتراكية الوطنية (أي النازية) أكثر من أي عالم آخر متخصص في

هذا الحقل، وأشارت إلى كتابه عن حرب هتلر بأنه أحسن دراسة عن الجانب الألماني في الحرب". ورغم كل هذا طُرد من كندا وبعد ذلك من أستراليا، ومُنع من إلقاء محاضراته فيهما. وأصدرت إحدى المحاكم الألمانية حكماً بتغريمه عشرة آلاف مارك لمجرد أنه نفى أن اليهود كانوا يموتون في غرف الغاز في معسكر أوشفيتس .

وقد وصل هذا الاتجاه إلى ذروته (أو هوته) مع صدور قانون فابيوس (رقم ٤٣) في مايو ١٩٩٠ المسمى " قانون جيسو " (وهو اسم النائب الشيوعي الذي تبنّى هذا القانون). ويُحرِّم هذا القانون أي تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة عام ١٨٨١، جاء فيها: "يُعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤، كل من ينكر وجود أي من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة ٦ من النظام الأساسي للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في ٨ أغسطس ١٩٤٥ " .

وقد يظن المرء لأول وهلة أن كل القضايا المرتبطة بالإبادة النازية مثل: هل هي حقيقة أم مجرد اختلاق ؟ وعدد الضحايا اليهود، وهل يبلغ عددهم ستة ملايين بالفعل أم أنه أقل من ذلك بكثير؟ هي قضايا تم حسمها تماماً في الأوساط العلمية. وقد يظن المرء كذلك أن الدراسات السابقة هي دراسات عنصرية تآمرية كتبها مهيجون يحاولون إثبات أن اليهود وراء كل الشرور والجرائم. ولكن الأمر أبعد ما يكون عن ذلك، فهي دراسات علمية، ذات مقدرة تفسيرية معقولة تتناول قضايا خلافية. وهي دراسات تطرح وجهة نظر قد تكون متطرفة أو خاطئة (والوصول إلى قدر من الحقيقة في مثل هذه الأمور الخلافية أمر جد عسير)، إلا أنها تدلل على وجهة نظرها من خلال الأرقام والحقائق والمعلومات. ومما لا شك فيه أن هناك المئات من الكتب الأخرى التي كتبها بعض المؤلفين العنصريين، ومثل هذه الكتب لا تستحق

القراءة لأنها كتابات عصبية متشنجة لا تبرهن على وجهة نظرها بطريقة علمية تفسيرية هادئة . [1]

الإعلام الصهيوني والدفاع عن الهولوكوست

يهاجم الإعلام الغربي والصهيوني بشدة الكتب التي تثير الشكوك حول موضوع الملايين الستة ، العلمي منها وغير العلمي، ويشجبها بعصبية واضحة، ويهيج ضدها بطريقة غوغائية، ويوجه الاتهام لكل من تسول له نفسه أن يُنكر الإبادة أو يشكك في أسطورة الملايين الستة حتى لو كان من العلماء المتخصصين، مع العلم بأن هناك دراسات كتبها علماء إسرائيليون يُعبِّرون فيها عن شكوكهم بخصوص رقم ستة ملايين. ولعله كان من الأجدى أن يميِّز الإعلام الغربي بين الدراسات العلمية والدراسات غير العلمية، وأن يُخضع الدراسات العلمية للنقد العلمي الهادئ، وأن يُطالب بفتح كل الملفات السرية والأرشيفات الغربية والشرقية لنتبيَّن مدى صحة هذه الأطروحات. وقد أصبح هذا متيسراً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي إذ أصبحت وثائقه متاحة للدراسة. ولعل حالة ديمانجوك الذي اتُهم بأنه « إيفان الرهيب »، الذي اشترك في إبادة اليهود وغيرهم في معسكر تربلينكا، تكون مثلاً على الخطوات المطلوب اتخاذها. فقد كانت كل الدلائل التي جمعها الأمريكيون والإسرائيليون تبيِّن أن ديمانجوك هو إيفان الرهيب، وأصدرت المحاكم الإسرائيلية حكماً ضده بالفعل. ولكن، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ظهرت وثائق تبيِّن بما لا يقبل الشك أن هناك شخصاً آخر هو الذي قام بعمليات الإبادة فأُفرج عن ديمانجوك .

ومن الصعب فهم تلك الاستجابة الهستيرية لدى الإعلام الغربي والصهيوني إزاء عمليات إثارة الشكوك حول الإبادة وعدد الستة ملايين، ومع هذا فلنحاول تناول هذه

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوربا " . مرجع سابق .

الظاهرة غير العقلانية. ونحن نذهب إلى أن الخطاب الحضاري الغربي له حدوده التي يفرضها على عملية الإدراك. فقد قام الغرب بتحديد معنى الإبادة النازية لليهود ومستواها التعميمي والتخصيصي، فقام باختزالها وفرض منطق غربي ضيق عليها من خلال التلاعب بالمستويات التعميمية والتخصيصية، ومن خلال نزعها من سياقها الغربي، الحضاري والسياسي الحديث .

١ - **بالنسبة للمسئول عن الجريمة**: تُخضَع الإبادة النازية لعمليتين متناقضتين :

أ - يتم تضييق نطاق المسئولية إلى أقصى حد بحيث تصبح الإبادة النازية جريمة ارتكبها الألمان وحدهم ضد اليهود .

ب- يتم توسيع نطاق المسئولية إلى أقصى حد بحيث تختفي كل الحدود وتصبح الإبادة النازية ليهود أوربا جريمة كل الأغيار بشكل مطلق، أو جريمة كلٍّ من الألمان والأغيار، أو الألمان باعتبارهم أغياراً، أو الألمان بموافقة وممالأة الأغيار

٢- **بالنسبة للضحية** : تُخضَع الإبادة كذلك لعمليتين متناقضتين :

أ- يتم تضييق نطاق الجريمة إلى أقصى حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد اليهود وحدهم ، لا ضد الملايين من اليهود وغير اليهود (من الغجر والسلاف وغيرهما) .

ب- يتم تعميم الجريمة إلى أقصى حد بحيث تصبح جريمة موجهة ضد اليهود، كل اليهود، لا يهود العالم الغربي وحسب .

وبعد أن تم تعريف الإبادة بهذه الطريقة، وبعد أن تم التلاعب بالمستويات التعميمية والتخصيصية وضبطها بما يتفق مع مصلحة الغرب، قام الغرب بأيقنة الإبادة، أي جعلها مثل الأيقونة تشير إلى ذاتها حتى لا يمكن التساؤل بشأنها، فهي مصدر المعنى النهائي .

فالإبادة بهذا المعنى أصبحت من المسلمات، ومن ثم أصبح التساؤل بشأن الإبادة هو تساؤل بشأن إحدى المقدسات وهو ما لا يمكن لأية حضارة، مهما بلغت من سعة صدر وليبرالية وتعددية قبوله . [1]

الأسباب الحقيقية لاختفاء ملايين اليهود الستة

قد يكون عدد اليهود الذين اختفوا هو ستة ملايين، ولكن ما يثير الشك حقيقة هو ادعاء الصهيونية أن هذه الملايين الستة تم حرقها جميعًا في أفران الغاز النازية وهو مالا يمكن التسليم به .

فأعداد كبيرة من الملايين الستة قد اختفت من خلال التناقص الطبيعي ، ويمكن أن نشير إلى أن ثمة عناصر أخرى ساعدت على تصعيد هذا التناقص في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر يمكن أن نذكر منها ما يلي :

أولاً : أسباب تؤدي إلى العزوف عن الإنجاب وإلى تناقص الخصوبة ومعدلات التكاثر .

١- أدت الهجرة اليهودية الكبرى في نهاية القرن التاسع عشر إلى انتقال أعداد كبيرة من اليهود إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويقال إن هجرة اليهود قضت تقريباً على اليهود في المرحلة العمرية من عشرين إلى أربعين عاماً، وهي مرحلة الخصوبة التي تجعل بإمكان الجماعة أن تعيد إنتاج نفسها. والإنسان المهاجر أقل خصوبة من الإنسان المستقر .

٢- كان أعضاء الجماعات اليهودية في الغرب يضطلعون بدور الجماعة الوظيفية الوسيطة، أي بأعمال التجارة والمال. وكانوا، لهذا، مركزين إما في المدن أو المناطق شبه الحضرية . ومع منتصف القرن التاسع عشر ، تصاعد هذا الاتجاه و

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوربا " .مرجع سابق .

تزايد تركزهم في المدن بحيث أصبحت أغلبيتهم الساحقة تسكن في المدن عشية الحرب العالمية الثانية .

٣- كانت هناك عناصر أخرى أدت إلى عزوف اليهود عن الإنجاب، من بينها تحسن مستواهم المعيشي، والقلق الذي كان يعيشه أعضاء الجماعات اليهودية في الفترة بين الحربين وإبان الحرب العالمية الثانية، وكذلك تزايد معدلات العلمنة وبالتالي زيادة التوجه نحو اللذة وتحقيق الذات، الأمر الذي يقوض من الرغبة في إنجاب الأطفال .

ثانيا : عوامل تؤدي إلى الاختفاء :

١- ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر كان يتم تجنيد أعضاء الجماعات اليهودية، وهو أمر جديد كل الجدة، إذ كانوا يتمتعون بالإعفاء من الخدمة العسكرية قبل ذلك، كما سقط منهم ضحايا بأعداد كبيرة في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية. لكن هذا العنصر لا يؤدي إلى إنقاص عدد اليهود مباشرة عن طريق سقوطهم قتلى وحسب وإنما بشكل غير مباشر أيضاً عن طريق معدل العزوف عن الإنجاب. كما أن العناصر القادرة على القتال هي عادة من الذكور في سن الخصوبة.

٢- تَنَصُّر أعداد كبيرة من اليهود، وهو شكل من الأشكال الحادة للاندماج. وقد تزايد المعدل عشية الحرب العالمية الثانية لأسباب عملية منها الهرب من بطش النازي. كما حصل كثير من اليهود على شهادات تعميد من الكنيسة الكاثوليكية حتى يتيسر لهم دخول أمريكا اللاتينية. وآثرت أعداد كبيرة منهم عدم الإفصاح عن هويتهم اليهودية حتى بعد زوال الخطر.

٣- ينطبق الشيء نفسه على مئات الألوف من الذين هاجروا إلى روسيا السوفيتية هرباً من النازي. فكثير منهم لم يفصح عن انتمائه اليهودي، خصوصاً وأن الاتحاد السوفيتي (سابقاً) كان يترك لكل شخص أن يحدد انتماءه، فلو كان الشخص يهودياً

وعرف نفسه بأنه (روسي) أو (أوكراني) فإن الأمر كان متروكاً له. ومع تآكل الهوية اليهودية، لم يعد هناك دافع قوى لدى كثير من اليهود للإفصاح عن هويتهم .

ثالثا : ظروف الحرب العالمية الثانية :

١- لابد أن نضيف إلى كل ذلك ظروف الحرب العالمية الثانية التي صعدت من كل العناصر السابقة وزادتها حدة، ولابد أن نأخذ في الاعتبار انتشار الأوبئة وسوء التغذية في نفس الفترة. كما ينبغي الإشارة إلى بعض طرق الإبادة البطيئة غير أفران الغاز، مثل أعمال السخرة وعزل اليهود في الجيتو بمناطق مستقلة مزدحمة يعملون ويعيشون فيها تحت حد الكفاف، وهو ما كان يعني المزيد من الجوع والمرض. ويقال: إن نحو ثلث سكان جيتو وارسو قضوا نحبهم بهذه الطريقة، وإنه كان من المتوقع لهم جميعاً أن يبادوا تماماً خلال عدة أعوام. (وهذا العنصر هو ولا شك عملية إبادة، إذ لا يهم أن يموت الضحية بأفران الغاز أو عن طريق التجويع. ولكننا نذكر هذا العنصر أيضاً حتى تكتمل الصورة لدينا). كما هلك الآلاف بسبب حالة الحرب ابتداءً من عدم توفر الرعاية الصحية، وانتهاءً بالغارات على المدن، مروراً بأحكام الإعدام التي كان النازيون يصدرونها على اليهود وغيرهم .

٢- وإذا أخذنا في الاعتبار كل هذه العناصر يصبح من الصعب أن نعزو اختفاء ستة الملايين يهودي (أو حتى أربعة الملايين حسب بعض الإحصاءات) إلى أفران الغاز وحدها أو عمليات الإبادة كتصفية جسدية متعمدة فحسب.

نعم! قد يكون عدد اليهود الذين (اختفوا) هو ستة ملايين، ولكن هل (حرق) جميعهم في أفران الغاز النازية؟ هل الأرقام حقائق صلبة فعلاً ؟! [1]

دوافع عداء هتلر لليهود

قبل إعلان الصهاينة المفوضين عن اليهود تحالفهم مع الحلفاء ضد هتلر في الحرب العالمية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ لم يكن هتلر راغبا في قتل اليهود إنما أراد

(1) د. عبد الوهاب المسيري " الأكاذيب الصهيونية " الفصل السادس " معاداة اليهود " الهيئة المصرية العامة للكتاب .

التخلص منهم كما تخلصت بقية أوربا منهم عن طريق التهجير - لابد أن ندرك أن حركة أعضاء الجماعات اليهودية الضخمة كانت مصدر قلق الدول الغربية، لخوفها على أمنها الداخلي، ومكانتهم الاجتماعية - فمثلا استطاعت إنجلترا أن تتخلص من اليهود عن طريق وعد بلفور الشهير الذي مَكَّن لإنجلترا من تهجير اليهود إلى فلسطين ، وإذا كان بلفور قد حل المسألة اليهودية في إنجلترا بالتخلص من اليهود عن طريق إرسالهم إلى فلسطين، فإن هذا الحل لم يكن متاحاً لهتلر لعدم وجود مستعمرات لدى ألمانيا، ولقد جمع هتلر بالفعل عشرة آلاف من اليهود في عدة سفن وأرسلهم عبر الحدود إلى بولندا في ٢٨ أكتوبر ١٩٣٨، ولكن الحدود البولندية كانت موصدة دونهم واستمرت المحاولات النازية التي تستهدف تهجير اليهود حتى نهاية الحكم النازي . فبُذلت المحاولة تلو الأخرى لتوطينهم في سوريا وإكوادور وتم تشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين. وكان هناك مشروع صهيوني نازي يُسمَّى «مشروع مدغشقر» يهدف إلى تأسيس دولة يهودية في تلك الجزيرة الأفريقية. ولكن معظم هذه المشروعات فشلت.ولم تُطرح بدائل أخرى فالمجال الاستعماري الحيوي لألمانيا،بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، كان محدوداً . والدول الغربية (التي تتباكى حتى الآن على ضحايا الإبادة) لم تكن ترحب هي الأخرى بالمهاجرين اليهود أو غيرهم (بسبب حالة الكساد الاقتصادي) .

وكان هتلر يسمي خطة التهجير هذه « الحل الشامل » و« الحل النهائي » . (1)

ومع قيام الحرب العالمية الثانية وتحالف غالبية اليهود مع الحلفاء ضد هتلر بل إن بعضهم قبل اندلاع الحرب العالمية كافح الفاشية بالسلاح في إسبانيا من عام ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ في صفوف الفرق الدولية ، وأنشأ بعضهم في جيتو وارسو "لجنة الكفاح اليهودية" وماتوا وهم يحاربون .

---

(1) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ : " إشكالية العزلة والخصوصية اليهودية " . مرجع سابق .

وعندما بدأت الحرب ضد هتلر وقفت الغالبية العظمى من المنظمات إلى جانب الحلفاء ، بل إن غالبية زعماء اليهود ومنهم حاييم وايزمان اتخذوا موقفا مساندا للحلفاء ، ففي ٥ سبتمبر ١٩٣٩ – أي بعد يومين من إعلان إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا - كتب حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية إلى تشمبرلين رئيس وزراء صاحب الجلالة ملك فرنسا خطابا يبلغه فيه : " إننا نحن اليهود في جانب بريطانيا العظمى وسنحارب من أجل الديمقراطية " .

مشيرا إلى أن : " المفوضين عن اليهود على استعداد فوري لإبرام اتفاق للسماح باستخدام كل قواهم وعدتهم من الرجال ومهارتهم التقنية ومساعداتهم المادية وكل قدراتهم " . وقد نشر هذا الخطاب في " الجويش كرونيكل " يوم ٨ سبتمبر ١٩٣٩، وهو بمثابة إعلان حرب صريح من العالم اليهودي ضد ألمانيا وقد طرح هذا الخطاب مشكلة احتجاز كل اليهود الألمان في معسكرات الاعتقال بوصفهم " رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا " كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل ياباني عشية دخولهم الحرب مع اليابان . (١)

ماذا كان ينتظر من هتلر أن يفعل – وهو في حالة حرب - بيهود ألمانيا بعد إعلان المفوضين عن اليهود الحرب ضده متحالفين مع أعدائه ؟!

ومن المدهش حقا أن نكتشف أن قادة اليهود الصهاينة الذين ملئوا الدنيا ضجيجًا في محاولة إثبات الهولوكوست ، وعويلاً على من راح ضحيتها من اليهود الألمان هم من تعاون مع هتلر المتهم الأول بإبادة اليهود في الهولوكوست (٢)

لكن ماذا عن الجرائم التي ارتكبها زعماء اليهود في حق العرب الأبرياء في فلسطين ؟ وعن موقف الغرب من هذه الجرائم ؟

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٧٢ ، ٧٣

(2) راجع الفصل الخامس " أسطورة عداء الصهيونية للنازية " في هذا الكتاب .

الغرب والمذابح العربية والإسلامية

إن اهتمام الغرب المحموم بالإبادة النازية لليهود (التي مضى عليها نحو سبعين عاماً) والإصرار على الاستمرار في تعويض الضحايا وتقديم الاعتذار لهم والتعبير عن الندم عما بدر من الألمان وغيرهم قد يكون أمراً محموداً في حد ذاته (فهو في نهاية الأمر تعويض لفئة من ضحايا الحضارة الغربية) إلا أن هذه الظاهرة المحمودة تثير الشك حين يلاحظ المواطن العربي والمسلم أن سلسلة كاملة من المذابح قد ارتكبت منذ الأربعينيات حتى الآن في (فلسطين - الجزائر - فيتنام - البوسنة – الشيشان – لبنان – أفغانستان - العراق ...) معظمها في العالم الإسلامي وتم التزام الصمت تجاهها ولم يتحدث أحد عن تعويض أو اعتذار أو توبة أو ندم ! هذا في الوقت الذي تستمر الآلة الإعلامية الغربية في التركيز على الهولوكوست دون غيرها كما أن الزعم الغربي بأن فلسطين في الشرق العربي قُدِّمت لليهود تعويضاً عما حدث لهم في ألمانيا في العالم الغربي ، وهو أمر صعب يصعب فهمه .

ونحن ندين كل اعتداء على أية روح إنسانية إلا بالحق مهما كان جنسها أو ديانتها لذا فإنّا ندين بشدة ما فعله هتلر النازي في بعض اليهود ونعد ذلك من الأعمال الإجرامية التي ترفضها كل الديانات السماوية والقوانين الدولية والأخلاق الإنسانية ، ونحن إذا كنا ندين هتلر النازي فيما فعله باليهود فنحن بنفس المنطق ندين كل الاعتداءات الصهيونية والأمريكية ضد الأبرياء من الشعوب العربية والإسلامية تلك الممارسات التي تعد وصمة عار على جبين كل من قام بها أو سمح بها أو كان قادرًا على منعها وتقاعس عن ذلك ، وكان على المصابين بعقدة الذنب مما فعله هتلر باليهود كان عليهم أن تحرك ضمائرهم تلك الجرائم التي تقوم بها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ضد الشعب الفلسطيني الأعزل .

ونظرًا لأن تجربة النازي في حياة اليهود كانت متلازمة مع مشاعر العداء للسامية، ونظرًا لأنها كما أوضحنا ولدّت ميْلا لدى الإنسان اليهودي الإسرائيلي

«للتوحد في المعتدي» من حيث الرغبة في القتل الجماعي ، فإن الإسرائيليين قد اتخذوا مما أسموه « الشعارات اللاسامية » في الدعاية العربية ذريعة ، على أساس « النكبة النازية » . رأوا فيها أن الخصم متمثل في العرب هو ممثل « للشر المجرد» ، وقد أسقط هذا الأمر فكرة أساسية للصهيونية تنص على أن إسرائيل هي أحد الحواجز بل الحاجز الوحيد في الواقع لمناهضة اللاسامية . (١)

العرب والمسلمون والإبادة النازية ليهود أوربا

ويحاول الغرب إقحام الجريمة النازية داخل التاريخ العربي حتى يُبرِّر غرس الدولة الصهيونية الاستيطانية في وسط الوطن العربي، تعويضاً لليهود عما لحق بهم من أذى داخل التشكيل الحضاري الغربي وداخل حدود أوربا الجغرافية. وتحاول الدعاية الصهيونية، بممالأة الغرب، أن تنجز ذلك من خلال آليتين أساسيتين :

١- محاولة الدعاية الصهيونية تصوير المقاومة العربية للغزو الصهيوني لفلسطين وكأنها دعم مباشر أو غير مباشر للإبادة النازية، لأنها حالت في بعض الأحيان دون دخول المهاجرين اليهود لفلسطين . ومثل هذه الحجة لا أساس لها من الصحة. فالمقاومة العربية لم تكن ضد مهاجرين يبحثون عن المأوى وإنما كانت ضد مستوطنين جاءوا لاغتصاب الأرض وطرد أصحابها، تحت رعاية العالم الغربي، وبدعم من حكومة الانتداب البريطانية (ومن النازيين أنفسهم)، وفي الوقت الذي كانت الدول الغربية توصد أبوابها دون المهاجرين اليهود. ومهما فعل الصهاينة (يؤيدهم في هذا العالم الغربي دون تحفُّظ) يظل حق المقاومة حقاً إنسانياً مشروعاً بل واجباً على كل إنسان يحترم إنسانيته، ويظل رفض الإنسان للظلم تعبيراً عن نبله وعظمته، بل إنسانيته .

---

(١) د. رشاد الشامي " الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية " مرجع سابق ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

٢- محاولة الدعاية الصهيونية التأكيد على أن بعض الساسة العرب أظهروا تعاطفاً مع النظام النازي . وهذه أكذوبة أخرى ؛ فمعظم الحكومات العربية وقفت مع الحلفاء (فالعالم العربي على أية حال كان يقع في دائرة الاستعمار الغربي).

كما أن النظرية النازية العرْقية كانت تضع العرب والمسلمين في مصاف اليهود، ولذا فأي تحالف مزعوم كان تحالفاً مؤقتاً لا يختلف عن حلف ستالين/هتلر. وهؤلاء الساسة (وبعض القطاعات الشعبية) ممن أظهروا التعاطف مع النازيين فعلوا ذلك لا كُرهاً في اليهود أو حباً في النازيين، وإنما تعبيراً عن عدائهم للاستعمار الإنجليزي والاستيطان الصهيوني .

ولكن كل هذه المحاولات الدعائية الإعلامية الغربية الصهيونية لا تغيِّر شيئاً من الحقائق التاريخية أو الجغرافية أو الأخلاقية، الدينية والإنسانية. فالإبادة النازية لا تُشكِّل جزءاً من التاريخ العربي أو تواريخ المسلمين، ولم يلوث العرب والمسلمون أيديهم بدماء ضحايا النازية من يهود أو سلاف أو غجر. وهذه المحاولات تُبيِّن في نهاية الأمر اتساق الغرب مع نفسه، الذي يُكفر عن جريمة إبادية ارتكبها في ألمانيا بأخرى لا تقل عنها بشاعة في وطننا العربي .

ومن المعروف أنه حينما حدث احتكاك مباشر بين المسلمين والعرب من جهة والإبادة النازية من جهة أخرى فإن موقف المسلمين والعرب كان يتسم بالإنسانية . فعلى سبيل المثال قامت الأقلية المسلمة في بلغاريا بدور كبير في حماية أعضاء الجماعات اليهودية من الإبادة، كما أن الملك محمد الخامس عاهل المغرب رفض تسليم رعاياه اليهود إلى حكومة فيشي الفرنسية الممالئة للنازي .

إن الضحايا الذين كانوا يُقادون لأفران الغاز كانوا يسمونهم "ميزلمان" Muselmann أي « مسلم » بالألمانية، وقد ورد ما يلي في مدخل مستقل في الموسوعة اليهودية (Enyclopedia Judaica جزء ١٢ ص ٥٣٧ ـ ٥٣٨) عنوانه "مسلم" :

"ميزلمان" أي مسلم بالألمانية، هي إحدى المفردات الدارجة في معسكرات (الاعتقال) والتي كانت تُستخدَم للإشارة للمساجين الذين كانوا على حافة الموت، أي الذين بدأت تظهر عليهم الأعراض النهائية للجوع والمرض وعدم الاكتراث العقلي والوهن الجسدي. وكان هذا المصطلح يُستخدَم أساساً في أوشفيتس ولكنه كان يُستخدَم في المعسكرات الأخرى» .

هذه هي المعلومة، فكأن العقل الغربي حينما كان يدمر ضحاياه كان يرى فيهم الآخر، والآخر منذ حروب الفرنجة هو المسلم. ومن المعروف في تاريخ العصور الوسطى أن العقل الغربي كان يربط بين المسلمين واليهود، وهناك لوحات لتعذيب المسيح تصور الرسول ﷺ وهو يقوم بضرب المسيح بالسياط .

إن التجربة النازية هي الوريث الحقيقي لهذا الإدراك الغربي، والنازيون هم حملة عبء هذه الرؤية، وهم مُمثّلو الحضارة الغربية في مجابهتها مع أقرب الحضارات الشرقية، أي الحضارة الإسلامية. وهم لم ينسوا قط هذا العبء حتى وهم يبيدون بعضاً من سكان أوربا. [1]

وفي النهاية لابد من ذكر عدة حقائق نختم بها الرد على أسطورة الملايين الستة

١- تحريم الأديان السماوية قتل النفس الإنسانية بغير حق .

٢- الإبادة التامة لم تتم في التاريخ إلا مرتين :

أ- إبادة سكان بعض المدن الكنعانية على يد العبرانيين .

ب- إبادة الهنود الحمر على يد الرجل الأبيض (الأمريكي) .

٣- الاعتراف بجرائم قتل قام بها النازيون في حق اليهود .

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢/ ج٤ " العرب والمسلمون والإبادة النازية ليهود أوربا " .مرجع سابق .

٤- من ذاق الظلم أولى الناس بـأن يحكم بالعدل .

٥- لا تزر وازرة وزر أخرى فلا يؤخذ إنسان بذنب غيره .

أولا : تحريم الأديان السماوية قتل النفس إلا بالحق

لقد حرمت كل الأديان السماوية قتل النفس الإنسانية بغير حق .

فتحريم قتل النفس كانت الوصية السادسة من الوصايا العشر التي أوحى بها إله إسرائيل لموسى ليبلغها لبني إسرائيل .

" ... أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يهبك إياها الرب إلهك ، **لا تقتل.** لا تزن . لا تسرق .... " (الخروج : ١٩)

ولما كان يسوع جاء ليكمل ما جاء به الأنبياء قبله لا لينسخه فقد حرم القتل الذي كان محرما في شريعة موسى .

" لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء ما جئت لألغي بل لأكمل "(متى:٥)

وَقد سَأَلَ وَاحِدٌ مِنَ رُؤَسَاءِ اليهود يسوع قَائِلاً :

«أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» ١٩ولَكِنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي الصَّالِحَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللهُ ! ٢٠أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ؛ **لاَ تَقْتُلْ؛** لاَ تَسْرِقْ؛ لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ!» ٢١فَقَالَ: «هَذِهِ كُلُّهَا عَمِلْتُ بِهَا مُنْذُ صِغَرِي!» ٢٢فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ هَذَا، قَالَ لَهُ: «يَنْقُصُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ: بِعْ كُلَّ مَا عِنْدَكَ، وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاوَاتِ. ثُمَّ تَعَالَ اتْبَعْنِي!» (لوقا : ١٨)

بل يذهب يسوع إلى أبعد من هذا فهو يطلب من أتباعه أن يحبوا أعداءهم ويباركوا لاعنيهم ، وأن يُدِر خده الأيسر لمن ضربه على خده الأيمن .

" وَأَمَّا لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ، فَأَقُولُ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ؛ ٢٨بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ؛ صَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. ٢٩وَمَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ، فَاعْرِضْ لَهُ الْخَدَّ الآخَرَ أَيْضاً. وَمَنِ انْتَزَعَ رِدَاءَكَ، فَلاَ تَمْنَعْ عَنْهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً. ٣٠ أَيُّ مَنْ طَلَبَ مِنْكَ شَيْئاً فَأَعْطِهِ؛ وَمَنِ اغْتَصَبَ مَالَكَ، فَلاَ تُطَالِبْهُ. ٣١وَبِمِثْلِ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلَكُمُ النَّاسُ عَامِلُوهُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً. " (متى : ٦)

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى فرض على بني إسرائيل أن قتل النفس الإنسانية بغير نفس أو فساد في الأرض كقتل الناس جميعا يقول تعالى :

{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } (البقرة :٣٢)

{ مِنْ أَجْلِ } قتل ابن آدم أخاه ظلما وعدوانًا .

{ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ } أي : شرعنا لهم وأعلمناهم ، وخص الله تعالى بني إسرائيل بالذكر وقد تقدمتهم أمم قبلهم كان قتل النفس فيهم محرما بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء . (1)

ومن أجل وجود هذه النماذج في البشرية ، من أجل الاعتداء على المسالمين الوادعين الخيرين الطيبين ، الذين لا يريدون شراً ولا عدواناً ، ومن أجل أن الموعظة والتحذير لا يجديان في بعض الجبلات المطبوعة على الشر؛ وأن المسالمة والموادعة لا تكفان الاعتداء حين يكون الشر عميق الجذور في النفس .

من أجل ذلك جعلنا جريمة قتل النفس الواحدة كبيرة كبيرة ، تعدل جريمة قتل الناس جميعاً ؛ وجعلنا العمل على دفع القتل واستحياء نفس واحدة عملاً عظيماً يعدل إنقاذ الناس جميعاً .

(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ١٤٦

إن قتل نفس واحدة - في غير قصاص لقتل ، وفي غير دفع فساد في الأرض - يعدل قتل الناس جميعاً . لأن كل نفس ككل نفس؛ وحق الحياة واحد ثابت لكل نفس . فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته؛ الحق الذي تشترك فيه كل النفوس . كذلك دفع القتل عن نفس ، واستحياؤها بهذا الدفع - سواء كان بالدفاع عنها في حالة حياتها أو بالقصاص لها في حالة الاعتداء عليها لمنع وقوع القتل على نفس أخرى هو استحياء للنفوس جميعاً ، لأنه صيانة لحق الحياة الذي تشترك فيه النفوس جميعاً . (١)

والمقصود من تشبيه قتل النفس الواحدة بقتل النفوس المبالغة في تعظيم أمر القتل العمد العدوان وتفخيم شأنه ، يعني كما أن قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد ، فكذلك يجب أن يكون قتل الإنسان الواحد مستعظماً مهيباً فالمقصود مشاركتهما في الاستعظام ، لا بيان مشاركتهما في مقدار الاستعظام .(٢)

وهب الله تعالى نعمة الحياة للإنسان ، وجعل حياطتها كلا وجزءا وصيانته مادة ومعنى في طليعة الأهداف التي أبرزها الدين ،وتحدث فيها الرسل مبشرين ومنذرين.

ولا عجب فإن إشقاء حيوان وإزهاق روحه ظلمًا يعده الله العدل الرحيم جريمة يدخل فيها الإنسان النار .

فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ " (متفق عليه)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى

(1) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج ٢ ص ٣٥٢

(2) فخر الدين الرازي " مفاتيح الغيب " ج٦ ص ٤١ .

الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ " (متفق عليه)

أرأيت كيف أن راحة حيوان وحفظ حياته باب من رضوان الله تعالى ، وكيف أن إتعاب حيوان وإهدار حياته باب إلى سخطه .

فإذا كانت هذه نظرة الإسلام إلى قيمة الحياة في المخلوقات الدنيا ، فما تكون عنايته وجائزته لمن يدعم حق الحياة بين الناس ؟

وما تكون نقمته وعقوبته لمن يستهين بهذا الحق ؟

عن ابن عباس أن قتيلا قتل على عهد رسول الله ﷺ لا يدرى من قتله فقال النبي ﷺ يقتل قتيل وأنا فيكم لا يدرى من قتله لو أن أهل السماء أهل الأرض اشتركوا في قتل مؤمن لعذبهم الله إلا أن لا يشاء ذلك (رواه البيهقي و الطبراني)

والمسلم وغير المسلم سواء في حرمة الدم واستحقاق الحياة ، والاعتداء على المسالمين من أهل الكتاب هو في نُكْره وفحشه كالاعتداء على المسلمين وله سوء الجزاء في الدنيا والآخرة .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا(رواه البخاري)

" عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" (رواه النسائي وأبو داود وأحمد والبيهقي)

إن الحياة الكاملة مصونة ، والاعتداء عليها بالقتل جريمة ، وكذلك الاعتداء على جزء منها ، وتعريضه للتلف أو التشويه .

فذلك كله في نظر الإسلام عدوان أساس العقوبة فيه القصاص وإنما شرع القصاص تأمينا للسلامة بين الناس .

وهذا معنى قوله تعالى { ولكم في القصاص حياة } (1)

إن الناس في حق الحياة سواء ، فليس هناك دماء أعز من دماء ، ولا شعب أكرم من شعب . إنما التفاضل يكون بالتقوى والتقوى لا يعلمها إلا أحد من البشر فهي مما استأثر الله تعالى بعلمه .

جاء في ميثاق الأمم المتحدة ،الفصل الثاني عشر،المادة ٧٦ فقرة ج ما يلي : التشجيع على احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء، والتشجيع على إدراك مابين شعوب العالم من تقيد بعضهم بالبعض .

الإبادة التامة لشعب تاريخيًا

لم نعرف شعبا أبيد عن آخره إلا مرتين : ذكرت توراة اليهود أولاهما ، وهو إبادة العبرانيين بقيادة يشوع لسكان مدينة أريحا من الكنعانيين العرب .

فقد اندفع شعب إسرائيل نحو مدينة أريحا " وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. [21]وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَة، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ ... [24]وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ ... [26]وَحَلَفَ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ قَائِلاً: «مَلْعُونٌ قُدَّامَ الرَّبِّ الرَّجُلُ الَّذِي يَقُومُ وَيَبْنِي هذِهِ الْمَدِينَةَ أَرِيحَا. بِبِكْرِهِ يُؤَسِّسُهَا وَبِصَغِيرِهِ يَنْصِبُ أَبْوَابَهَا» " (يشوع : ٦)

فإن صحَّت هذه الرواية يكون سكان مدينة أريحا الكنعانيين العرب هم أول الشعوب في التاريخ – فيما نعلم – ينطبق عليه لفظ الإبادة التامة تلك الإبادة التي ارتكبها أجداد اليهود – بحسب زعمهم – في حق بعض أجداد العرب .

---

(1) محمد الغزالي " حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة " دار الكتب الإسلامية ص ٥٠-٥٢ .

وثاني الإبادات التامة فكان للهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا على يد الرجل الأبيض (المحتل لأمريكا) .

وقد قام الرجل الأبيض (المحتل لأمريكا) بإنهاء حضارة الهنود الحمر وإنسانها ، باعتبارها حضارة بدائية متخلفة ، وباعتبار إنسانها بدائيًّا متخلفاً ، وهى نظريات اقتربت من فكرة " القتل الرحيم " للمرضى الميئوس من شفائهم ،كان هذا المفهوم هو الأساس الذي اعتمد لإبادة أكثر من ١٨,٥ مليون من الهنود – أصحاب البلاد الأصليين – الذين تم قتلهم أو تعذيبهم ، باعتبار أن هؤلاء بشر بدائيون لا قيمة لقتلهم وأبادتهم وإبادة حضارتهم ،في سبيل بناء الحضارة الأرقى ،كما جرى التركيز بالمقابل على جهود الرجل الأبيض بالقول بأن الولايات المتحدة دولة قامت على جهود المستوطنين البيض وكان القتل والإبادة عملا من أعمال التنمية.

" وقد نطق تيودور روزفلت في فترة لاحقة بالجملة الفظيعة التالية : " لو تركنا للهنود أراضي الصيد الخاصة بهم لوضعنا قارتنا تحت تصرف همج قذرين متوحشين؛ لذلك لم يبق أمامنا خيار غير إبادتهم "

وروزفلت للتذكير حاز على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٠٦ ! " (١)

أما غير هاتين الواقعتين فلم يشهد التاريخ – فيما نعلم – أية إبادة تامة لشعب من الشعوب ، إنما شهد التاريخ مجازر بشرية كثيرة لبعض الشعوب لم تصل لاستئصال شأفتهم .

والعجيب أن تتم الإبادة التامة في المرتين بأمر من " يهوه " إله اليهود القديم في المرة الأولى ، وعلى يد الرجل الأبيض (المحتل لأمريكا) راعي اليهود الحديث في المرة الثانية !!

---

(1) حمادة منتصر " صفحات مجهولة من تاريخ أمريكا " إسلام أون لاين " 2005/05/24

كتب المؤرخ الأمريكي أولبريت الذي كان مديرا للمعهد الأمريكي للبحوث الشرقية في كتابه الأساسي " من العصر الحجري إلى المسيحية والوحدانية وتطورها " وبعد أن برر الإبادات الجماعية المقدسة ليشوع في غزوه لكنعان يقول :

" إننا نحن الأمريكان ليس لنا الحق في الحكم على الإسرائيليين لأننا قد أبدنا آلاف الهنود الحمر داخل الأركان الأربعة لبلدنا الكبير وجمعنا من تبقى في معسكرات ضخمة للاعتقال" (١)

ويعقد منير العكش في كتابه " أمريكا والإبادة الجماعية " مقارنة بين الوقعتين فيقول : " إن تطابق الفكر الأمريكي المستعمر مع الفكر اليهودي الصهيوني الحالي " فكرة استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة " هي التطبيق العملي للفهم الانجليزي لفكرة إسرائيل التاريخية وكل ما نجده من تفاصيل الاستعمار الانجليزي لشمال أمريكا نجد جذوره في أدبيات إسرائيل وتقمص وقائعها وأبطالها وأبعادها الدينية والاجتماعية والسياسية فكانوا يسمون أنفسهم يهودا عبرانيين ويطلقون على العالم الجديد اسم إسرائيل وأرض كنعان وكانوا يقتلون الهنود الحمر وهم على قناعة بأنهم عبرانيون أعطاهم الرب تفويضا بقتل الكنعانيين إن يهودية هؤلاء المستعمرين الانجليز هي التي أرست الثوابت الخمسة التي رافقت التاريخ الأمريكي :

١- عقيدة الاختيار الإلهي .
٢- التفوق العرقي والثقافي .
٣- الدور الخلاصي للعالم .
٤- قدرية التوسع اللانهائي .
٥- حق التضحية بالآخر .

ولذلك أباد البيض في مستعمرتهم الجديدة نحو ١٨،٥ مليون هندي أحمر دون أن تطرف لهم عين أو يعانوا من أي وخز للضمير ولم تتوقف فلسفة الإبادة الجماعية

---

(١) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤٣

الأمريكية هذه التي أنهت منذ أكثر من ٤٠٠ سنة مضت وجود الهنود الحمر كشعب قائم متمتع بالسيادة على أرضه " [١].

الاعتراف بجرائم قتل قام بها النازيون ضد اليهود

لقد شهد التاريخ جرائم قتل جماعية لا تحصى وقعت في حق الشعوب الضعيفة ، ومن تلك المجازر التي يحفل بها التاريخ مجازر النازيين في حق اليهود في النصف الأول من القرن العشرين ، وبغض الطرف عن دوافع النازيين لقتل كثير من اليهود في ألمانيا ، فإنه من الثابت تاريخيا أن النازيين قد أقدموا على جرائم قتل جماعية في حق بعض اليهود الألمان ، لا مجال لإنكارها بل من الظلم عدم الاعتراف بها .

ولا شك أن اليهود كانوا أحد الأهداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصرية التي تقوم على تفوق الجنس الآري ، وخلطه المتعمد والمنهجي بين اليهود والشيوعية التي كانت عدوه الرئيسي (وهو ما تشهد عليه عمليات إعدام آلاف الشيوعيين الألمان ، ثم عناده وتصلبه ضد السجناء السلاف أثناء الحرب) وأطلق على هذا الخلط عبارة " اليهودية البلشفية " .

وتوخى منذ إنشاء حزبه " القومي – الاشتراكي " (النازي) ليس فحسب استئصال الشيوعية ، بل وطرد جميع اليهود من ألمانيا أولا ومن كل أوربا بعد أن يسيطر عليها ، وحدث هذا بطريقة بعيدة كل البعد عن الإنسانية : أولا بالتهجير ، ثم بالنفي ، وأثناء الحرب بالحبس في معسكرات الاعتقال في ألمانيا ، ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادئ الأمر ثم نحو الشرق في الأراضي المحتلة وخاصة في بولندا حيث هلك

([1]) منير العكش " أمريكا والإبادات الجماعية " الناشر :رياض الريس للكتب والنشر .

السلاف واليهود والغجر بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربي ، ثم بالأوبئة الفظيعة للتيفوس التي تدل كثرة المحارق على ضخامتها . [1]

فنحن نُقِرُّ بأن معسكرات الاعتقال والسخرة والإبادة حقيقة مادية لا شك فيها، وأن أفران الغاز هي الأخرى حقيقة . ولكن حجم هذه الأفران ومدى كفاءتها وعدد ضحاياها ودلالة هذه الحقائق المادية وتفسيرها تظل كلها موضوعات قابلة للاجتهاد والفحص العلمي والوثائقي بل تتطلبها، فهي موضوعات خلافية. وهناك فيما يبدو مصلحة للبعض في أن يُضخمها أو يُقلل من أهميتها. فإذا كان الحياد الكامل مستحيلاً في مثل هذه الأمور (كما في غيرها)، فلابد، على الأقل، أن ننفصل إلى حدٍّ ما عن الظاهرة موضع الدراسة ونُعيد قراءة الوثائق المتاحة ونطالب بإتاحة كل الوثائق السرية، وخصوصاً أن الموضوع أصبح موضوعاً تاريخياً مر عليه أكثر من خمسين عاما . [2]

ونحن إذ ندين ما فعله النازيون في حق بعض اليهود الألمان ندين في الوقت نفسه كل الجرائم التي ارتكبت وترتكب في حق الشعوب العربية والإسلامية مثل : البوسنة والهرسك ، والشيشان ، وأفغانستان والعراق ، وفلسطين ولبنان .

من تعرض للظلم أولى الناس بالحكم بالعدل

إذا كان اليهود قد عاينوا الظلم على يد النازيين والصهاينة فإنه من المحتم عليهم أن يقيموا العدل ، ويعطوا الحق لأصحابه لا أن يؤيدوا الصهاينة في عدوانهم الوحشي والمستمر على الأبرياء من الشعوب العربية .

---

(1) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٤٠

(2) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٤ " بعض إشكاليات الإبادة النازية ليهود أوربا .مرجع سابق .

وكما أن اليهود الصهاينة يحرصون أشد الحرص على إثبات جريمة النازيين في حق بعض اليهود ، ويقفون بالمرصاد في وجه من يشكك في هذه الجريمة ، ويروجون لها حتى أصابوا الأوربيين – وخاصة الألمان – بعقدة الذنب ، وحصلوا من ورائها على تعويضات طائلة ، كنت أقول إذا كان الصهاينة قد فعلوا هذا من أجل بعض الضحايا اليهود فإنه كان من الواجب عليهم أن يتذكروا أنهم كانوا شركاء اللاساميين في جرائمهم ضد اليهود ، وأنه لولا هذه المذابح ما كانت هناك دولة يهودية ، وأن عليهم أن يكفوا أيديهم عن الأبرياء من الشعب الفلسطيني وأن يتعظوا بالفاشيين والنازيين حلفائهم الذين دالت دولتهم وذهبوا غير مأسوف عليهم مصحوبين باللعنات فدولة الظلم ساعة .

وإذا كانوا قد كسبوا الجولة الأولى بالعنف والإرهاب والتحالف مع الشيطان فإن أرواح الذين قُتلُوا دون ذنب مازالت تشتكي إلى الله بأي ذنب قُتلَت ؟ وأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب كما قال من لا ينطق عن الهوى .

" اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ؛ فإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ " (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ)

وأن الملايين من العرب والمسلمين الذين ظلمهم الصهاينة حتما سينتصرون فإن الله تعالى قد أقسم بعزته لينصرن دعوة المظلوم ولو بعد حين .

" وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِى لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ " (رواه أحمد والترمذي وابنُ ماجه) .

فالناس جميعا متساوون في الحقوق والواجبات ، كلهم ينتمون إلى أسرة إنسانية واحدة ، " كلكم لآدم ، وآدم من تراب " ولكن مع الأسف أن الصهيونية لا تعترف بهذا ، ولا تزن الناس إلا بميزان المصلحة دون اعتبار لدين أو خلق كريم ، فإذا كانت مصلحتها أن توطّن اليهود في فلسطين وتشتت أهل فلسطين فإنها تعد المذابح

الإسرائيلية في حق العرب دفاع عن النفس ، وتعد المقاومة العربية للعدوان الصهيوني التي كفلها لها ميثاق الأمم المتحدة تطرفاً و إرهاباً !!

وإن كانت مصلحتها التحالف مع النازيين فإنها تسارع بتنفيذ المخطط النازي الرامي لتهجير اليهود النافعين لدولة إسرائيل وإبادة سواهم من الاندماجيين والفقراء والعجزة ، وإن كانت مصلحتها معاداة النازية ومقاضاتها - بعد أن ذهبت دولتهم - فإنهم لا يتورعون عن ابتزاز ألمانيا والنمسا وغيرهما بسبب جرائم النازيين ضد اليهود تلك الجرائم التي كانوا هم شركاء فيها !!

ولابد أن نقرر أن الصهيونية عندما لم تقم بعملية إبادة شاملة للفلسطينيين، فإن هذا يرجع إلى اعتبارات عملية عديدة لا علاقة لها بأية أخلاق إنسانية حميدة ، ومن بين هذه الاعتبارات :

١- تأخر التجربة الصهيونية إلى أواخر القرن التاسع عشر، وعدم إعلان الدولة الصهيونية إلا في منتصف القرن العشرين، وهو ما جعل الإبادة مسألة عسيرة بسبب وجود المنظمات الدولية والإعلام .

٢- الكثافة السكانية العربية .

٣- تماسك العرب ومقدرتهم على التنظيم والمقاومة والانتفاضة .

٤- الخصوبة العالية التي يتسم بها الفلسطينيون فمعدلات المواليد فيهم عالية جدًا .

كل هذا جعل إبادة الفلسطيني حلاً مستحيلاً ، ومع هذا لابد من الإشارة إلى عمليات الإبادة الجسدية والتي تمت في صفد ، ودير ياسين ، وكفر قاسم، وغيرها من مدن وقرى في فلسطين، حيث لم تكن الممارسة الصهيونية تهدف إلى تهجير الفلسطينيين، بقدر ما كانت تهدف إلى قتلهم وإبادتهم. وبالمثل كانت عملية صابرا

وشاتيلا ذات طابع إبادي واضح . كما أن الإبادة بمعنى التهجير والتسخير والقمع والاستغلال هي حدث يومي داخل الإطار الصهيوني .

لا تزر وازرة وزر أخرى فلا يؤخذ إنسان بذنب غيره

إن شريعة الحق والعدل تقضي بأن كل إنسان مسئول عن عمله { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } ، ولا يؤخذ إنسان بجريرة غيره .

يقول تعالى : { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (الأنعام : ١٦٤)

أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها .

وقيل: إن هذه الآية نزلت ردًا على العرب في الجاهلية من مؤاخذة الرجل بأبيه وبابنه وبجريرة حليفه. وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب. [1]

إذا كان الحق والعدل وشرائع السماء تقضي بألا يؤخذ إنسان بجريمة غيره ، فكيف يأخذ اليهودُ الصهاينةُ الفلسطينيين بذنب النازيين ، ماذا جنى الفلسطينيون حتى يتعرضوا لهذه المذابح التي لا تنقطع ؟!!

لقد عاش اليهود دهورا متطاولة بين ظهراني المسلمين فما وجدوا لديهم إلا العدل والإنصاف فهل هذا جزاؤهم على حسن معاملتهم لليهود !!

---

(1) تفسير القرطبي ج٧ ص ١٥٧

قال تعالى: { وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَاب } (إبراهيم : ٤٢ -٤٤)

***

الفصل الخامس

أسطورة المعجزة الإسرائيلية

مزاعم الصهيونية حول هذه الأسطورة

تحاول ماكينة الدعاية الصهيونية الترويج لأسطورة أن نجاح اليهود في إقامة دولة إسرائيل على جزء من أرض الميعاد رغم العداء الغربي (المتمثل في ألمانيا النازية) والعربي والإسلامي لليهود ، ونجاحهم في هزيمة كل الجيوش العربية قاطبة ذات العدد والعتاد (٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٨٢) تعد الدعاية الصهيونية كل هذا أسطورة خارقة ما كان لها أن تتحقق إلا لشعب الله المختار الذي حافظ على نقائه الجنسي لأكثر من ثلاثة آلاف عام ، والذي يستحق وعد إلهه " يهوه " بأن ينصره على أعدائه من الأغيار ويعيده إلى أرضه التي وُعِد بها أجداده ، وتَحقُق الوعد على أيديهم هم لذا لا يستحقون العودة إلى الأرض الموعودة فحسب بل الخلاص على يد الماشيخ المخلص في آخر الزمان أيضا .

وهذه الأساطير الموغلة في الباطل الذي عمل على إشاعتها ، وتصديق البعض لها هو تمكن اليهود الصهاينة بالفعل من إقامة دولة إسرائيل ، ومن هزيمة العرب ، ونجاحهم في إقامة دولة عصرية متقدمة وسط دول عربية رجعية متخلفة .

وهذا النجاح جعل الجماعات الدينية غير الصهيونية في إسرائيل وخارجها التي كانت تؤمن أن خلاص الرب " يهوه " لشعبه المختار إنما يتم على يد الماشيخ المنتظر وليس لليهود أن يسعوا لتحقيق هذه الوعود (العودة لأرض الميعاد ، والخلاص) بأنفسهم إنما عليهم انتظار الماشيخ .

إن النجاحات التي حققتها دولة إسرائيل جعلت هذه الجماعات الدينية غير الصهيونية تراجع مواقفها وتؤيد دولة إسرائيل رغم أنها كانت من قبْل تعارض

خروج اليهود من الجيتو والاختلاط بالأغيار ، كما كانت تعارض بشدة الأفكار الصهيونية وتعدها خروجًا على التعاليم الدينية .

لقد تأثرت هذه الجماعات اليهودية غير الصهيونية داخل إسرائيل وخارجها بـ «المعجزات والإشارات السماوية» التي تجلت بانتصار دولة إسرائيل في الحروب المختلفة، وخصوصاً حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٦٧. وقد كانت هذه الجماعات تعتمد في تأكيدها على عدم قدسية دولة إسرائيل، على الفارق بين دولة إسرائيل (السياسية العلمانية) ، وأرض إسرائيل (الدينية السلفية الراديكالية) . لكن بعد الانتصار الكبير الذي حققته دولة إسرائيل عام ١٩٦٧، زال الفارق عملياً، وأصبح هناك تطابق بين أرض إسرائيل وهي مفهوم ديني سلفي راديكالي وبين دولة إسرائيل وهي مفهوم سياسي علماني ، وزاد اقتراب هذه الجماعات تدريجياً من الأوساط اليمينية في إسرائيل ، أو اللوبي اليهودي خارجها .

ومع أن هذه الجماعات اليهودية ما زالت غير صهيونية بالمعنى التقليدي، إلا أن تحوّل أرض إسرائيل إلى قيمة دينية في نظره، جعله يقترب كثيراً من مواقف اليهود الصهاينة السياسية العلمانية .

لقد ظلت أكثرية التيارات والجماعات الدينية اليهودية تحافظ على موقف غير صهيوني من المشروع الصهيوني . ولكن هذه التيارات بدأت بعد إعلان الدولة الصهيونية تنقاد بالتدريج للتعايش مع المفهوم الصهيوني للعودة. وبعد حرب ١٩٦٧، بدأت أحزاب دينية صهيونية عديدة تنظر إلى نتائج هذه الحرب باعتبارها معجزة و"إشارة ربانية" إلى بداية الخلاص، وأن دولة إسرائيل ما هي إلا مقدمة مجيء الماشيّح المخلّص، مضفية بذلك على دولة إسرائيل سمات دينية مشيحانية. بل اعتبرها البعض استجابة لنداء الرب، بل هي "الإرادة الإلهية نفسها" (على حد تعبير الحاخام كوك الأب الروحي لحركة جوش إيمونيم) .

وفي الأوساط الدينية غير الصهيونية انطلق الصوت الجديد من الولايات المتحدة، موطن زعيم حركة حبد، الحاخام شنيرسون. ويتلخص الموقف الجديد بالقول بأنه صحيح أن دولة إسرائيل بوصفها كياناً صهيونياً تعبير عن الكفر والتمرد على إرادة الله، ولذلك فهي بالتأكيد ليست تعبيراً عن الخلاص لكن ومن ناحية أخرى، فإن أرض إسرائيل بسيادة يهودية تنطوي على مغاز ذات أهمية. ولذلك تدعو هذه الحركة إلى عدم التنازل عن أيٍّ من الأراضي التي احتُلت عام ١٩٦٧، وذلك من منطلق أحكام الشريعة الدينية . (1)

الرد على أسطورة المعجزة الإسرائيلية

والحقيقة إن نجاح اليهود في إقامة دولة صهيونية على الأراضي العربية ليس بمعجزة إسرائيلية إنما هو خيبة عربية ، ومؤامرة غربية ، والدارس لتاريخ دولة إسرائيل تتبدى له هذه الحقيقة جليَّة ، ولكن اليهود الصهاينة وكعادتهم الدائمة يحاولون إضفاء القداسة على كل أعمالهم ولو كانت أعمالاً دنسة .

و" يهوه " نفسه يحذر اليهود عند انتصارهم من إضفاء القداسة على هذا الانتصار أو إدِّعاء جماعة اليهود الصلاح .

" لا تقولوا لأنفسكم بعد أن ينفيهم الرب من أمامكم : " لقد أدخلنا الرب لامتلاك هذه الأرض بفضل صلاحنا " . إنما من أجل كثرة إثمهم يطردهم الرب إلهكم من أمامكم . إذ ليس بفضل صلاحكم واستقامتكم تدخلون لامتلاك أرضهم ، إنما من أجل إثمهم يطردهم الرب من أمامكم " (التثنية : ٩)

أسباب انتصار إسرائيل على العرب

إن تغلب الإسرائيليين على العرب وقهرهم لهم لم يكن بسبب صلاحهم وإقامتهم للتوراة إنما كان بسبب فساد العرب وتخليهم عن دينهم وعن السعي المخلص لدنياهم

---

(1) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٤ : " إشكالية معاداة اليهود " مرجع سابق .

فابتلاهم الله تعالى باليهود الصهاينة الذين أحسنوا الأخذ في أسباب التقدم ، والاستفادة من المشروع الغربي .

هذه هي الحقيقة التي يجب أن يعيها اليهود والعرب جميعا ، وهي أن انتصار اليهود لم يكن مرجعه طاعة الله وإنما أخذهم في أسباب التقدم ، وتخلي العرب – أكثرهم - عن الدين الصحيح ، وإهمالهم لأسباب التقدم والعدل والحرية .

وتوراة اليهود نفسها تصرح بهذا .

" إذ ليس بفضل صلاحكم واستقامتكم تدخلون لامتلاك أرضهم ، إنما من أجل إثمهم يطردهم الرب من أمامكم " (التثنية : ٩)

والقرآن الكريم يصرح بهذا في مواضع كثيرة منها قوله تعالى :

" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور: ٥٥)

فيبين الله تعالى في هذه الآية المباركة أن الله وعد ، ومن أصدق من الله قيلاً ، الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقاموا بما فرضه الله عليهم من عبادة له جل وعلا وتعمير لأرضه وعدهم بأن يجعلهم خلفاء الأرض ويمكن لهم دين الإسلام ويفضلهم على العالمين ، كما حدث لبني إسرائيل من قبل ، بشرط أن يعبدوا الله كما أمر في كتابه وسنة نبيه .

{ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون } أي فمن خرج عن طاعة الله بعد ذلك، وارتكب ما نهى الله عنه فأولئك لا نصر لهم من الله " فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بأوامر الله عزّ وجلّ، وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم،

أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييداً عظيماً، وحكموا سائر العباد والبلاد، ولما قصّر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهوروهم بحسبهم . (1)

فبإثمنا لا بصلاحهم عاقبنا الله بهم فهم جبناء تؤثر فيهم أدنى مقاومة ، وتفزعهم أية قوة ، وتاريخهم يشهد بذلك ، فحرب السادس من أكتوبر أذلت كبرياء إسرائيل ،وقطعت يدها الطويلة ، وفي خلال ست ساعات أصبح خط بارليف الحصين أثراً بعد عين .

مسلمو العرب والجيتو العثماني

إن الدولة العثمانية التي بسطت نفوذها على البلاد العربية منذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي في بداية أمرها كانت تسير وفق السنة آخذة بشروط التمكين وأسبابه أما في أواخر عهدها فقد انحرفت عن شروط التمكين ، وابتعدت عن أسبابه المادية والمعنوية .

فلقد انحرف سلاطين الدولة العثمانية المتأخرين عن شرع الله فلم يقوموا بعبادة الله على الوجه الصحيح الذي يطهر القلب ويزكي النفس ويسمو بالأخلاق ، ولم يأخذوا في أسباب العلم النافع الذي يعمر الأرض ويصلحها ، ولم يسيروا في البلاد التي حكموها سير الخلفاء الراشدين بل ساروا فيها سير الحجاج بن يوسف الثقفي فكثرت الاعتداءات الداخلية بين الناس وتعرضت النفوس للهلاك، والأموال للنهب، والأعراض للاغتصاب بسبب تعطل أحكام الله فيما بينهم، ونشبت حروب وفتن ، وبلايا تولدت على أثرها عداوة وبغضاء لم تزل عنهم حتى بعد زوالهم، وأصبحت شوكة الأعداء من الروس والإنجليز والبلغار والصرب وغيرهم تقوى وتحصلوا على مكاسب كبيرة، وغاب نصر الله عن السلاطين والأمة العثمانية، وحرموا التمكين ، وأصبحوا في خوف وفزع من أعدائهم، وتوالت المصائب ، وضاعت الديار، وتسلط الكفار.

---

(1) تفسير ابن كثير ج٦ ص ٨٠ .

وكان نتيجة ذلك أن حاول بعض الحكام المحليين الاستقلال الذاتي عن الحكومة المركزية بإطالة فترة حكمهم ومحاولة تأسيس أسر محلية (المماليك في العراق، آل العظم في سوريا، المعنيون والشهابيون في لبنان، محمد علي في مصر، ظاهر العمر في فلسطين، أحمد الجزار في عكا، علي بك الكبير في مصر، القرامليون في ليبيا)(١) وهذا الصراع بين الحكام المحليين والدولة العثمانية ساهم في إضعافها ثم زوالها وسقوطها .

واللافت للنظر أن السمات التي اتصف بها يهود الجيتو وهي : العزلة ، والمفهوم الاستعلائي للدين ، والتناقض بين الشعور بالاستعلاء والشعور بالدونية ، تكاد تنطبق على كثير من مسلمي العرب ابتداءً من الغزو العثماني حيث بسط العثمانيون سلطانهم على شبه الجزيرة العربية ومعظم شمال أفريقيا .

عزلة المسلمين في الكهف العثماني

إذا كان الأوربيون قد فرضوا على اليهود الجيتو اتقاءً لفسادهم فإن العثمانيين قد فرضوا على الشعوب العربية الجيتو رغبة في تخلفهم فقد عملوا على عزل البلاد العربية عن الاتصال بغيرها من الأمم الغربية التي كانت آخذة في النهضة : سياسيًّا واقتصاديًّا وعلميًّا ، وكان يمكن أن يستفيد العرب من تلك النهضة كما استفاد الأوربيون من النهضة العربية من قبل لكن الحكم العثماني كان سيئاً " فهو حكم أجنبي جامد متخلف أسدل على الشرق العربي أستارًا من التخلف والتأخر في كافة المجالات ونواحي النشاط " (٢)

وإذا كانت الجماعات اليهودية في أوربا تمثل الفئة المستعبَدة من قِبَل الطبقة الأرستقراطية ، فإن العرب كانوا كذلك بالنسبة للحكام العثمانيين مع فارق جوهري

(١) انظر: العالم العربي في التاريخ الحديث، د. إسماعيل ياغي، ص٩٤.
(2) د . محمود صالح منسي " حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي " ص ٣٤

وهو أن العرب لم يكونوا يعيشون في المنفى كاليهود بل كانوا أصحاب الأرض الأصليين .

كان المجتمع في نظر العثمانيين ينقسم إلى طبقتين : الحكام الأتراك والرعية المحكومين ، ومهمة الطبقة الثانية خدمة الأولى أي أن الأتراك صاروا طبقة أرستقراطية حاكمة منعزلة عن بقية المجتمع وترفعوا عن الاتصال به . كما أحاط العثمانيون بلاد الشرق بسياج منيع من العزلة رغبة في الإبقاء عليها تحت حكمهم خاصة بعد أن فشلوا في طرد البرتغاليين من منطقة الخليج العربي أو القضاء على نشاطهم في المحيط الهندي أو إيقاف تحول التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح وإعادتها إلى طريقها القديم . وبذلك انقطعت الصلات السياسية والاقتصادية والحضارية بين العالم والشرق العربي الذي أوصدت أبوابه في وجه الحضارة الغربية التي كانت تسير مسرعة في طريق التقدم منذ القرن السادس عشر . (1)

المفهوم الاستعلائي للدين

إذا كان المسلمون الأوائل لم يمنعهم اعتزازهم بالإسلام أن يخالطوا الشعوب الأخرى ويتعلموا منهم ما ينقصهم من شئون الدنيا والعلم فـ " الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا " (رواه الترمذي وابن ماجة) فإن المسلمين في عصور التخلف سيطر علي كثير منهم الاستعلاء الديني العنصري فتوهّموا أنه بسبب كونهم مسلمين ، وإن كان بالاسم فقط ، أصبحوا خير أمة أخرجت للناس ، وأن بلادهم بلاد الإيمان وما عداها فبلاد الكفر والشرك !! وأن الخير كل الخير في اعتزال هؤلاء الكفرة وعدم الاختلاط بهم والاستفادة من حضارتهم ، وكأن المسلمين هم شعب الله المختار ، ميزهم بأفضل دين ، وفضلهم بأعظم نبي ، وخصهم وحدهم بشفاعته يوم القيامة ، فَلِمَ العمل والسعي وقد فضلهم الله على العالمين ليس في الدنيا فقط بل وفي الآخرة أيضا ؟

---

(1) نفسه ص ٣١ ، ٣٢ .

وهكذا استقر هذا الفهم المغلوط لدين الله الحنيف في عقول كثير من المسلمين في عصور الضعف والانحطاط .

هناك حقيقة أولية عن طبيعة هذا الدين، وطريقة عمله في حياة البشر .. حقيقة أولية بسيطة ولكنها مع بساطتها، كثيراً ما تنسى، أو لا تُدْرَك ابتداءً . فينشأ عن نسيانها أو عدم إدراكها خطأ جسيم في النظر إلى هذا الدين : حقيقته الذاتية وواقعه التاريخي . حاضرة ومستقبله كذلك !

إن البعض ينتظر من هذا الدين ، ما دام منزلاً من عند الله ، أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة غامضة الأسباب ! ودون أي اعتبار لطبيعة البشر، ولطاقاتهم الفطرية، ولواقعهم المادي، في أي مرحلة من مراحل نموهم، وفي أية بيئة من بيئاتهم .

وحين لا يرون أنه يعمل بهذه الطريقة، وحين يرون أن الطاقة البشرية المحدودة، والواقع المادي للحياة الإنسانية، يتفاعلان معه، فيتأثران به ، في فترات ، تأثراً واضحاً، على حين إنهما في فترات أخرى يؤثران تأثيراً مضاداً لاتجاهه، فتقعد بالناس شهواتهم وأطماعهم، وضعفهم ونقصهم، دون تلبية هتاف هذا الدين، أو الاتجاه معه في طريقه .

حين يرون هذا فأنهم يصابون بخيبة أمل لم يكونوا يتوقعونها ما دام هذا الدين منزلاً من عند الله أو يصابون بخلخلة في ثقتهم بجدية المنهج الديني للحياة وواقعيته. أو يصابون بالشك في الدين إطلاقاً!.

وهذه السلسلة من الأخطاء تنشأ كلها من خطأ واحد أساسي : هو عدم إدراك هذا الدين وطريقته، أو نسيان هذه الحقيقة الأولية البسيطة .

إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية. يتم تحقيقه في حياة البشر بجهد البشر أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية؛ وفي حدود الواقع المادي حينما يتسلم مقاليدهم.

ويسير بهم إلى نهاية الطريق في حدود طاقتهم البشرية، وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة . (1)

عقدة التناقض بين الشعور بالاستعلاء والشعور بالدونية

في عصور التخلف والانحطاط تنازع المسلمين شعوران : شعور بالاستعلاء بما منَّ الله عليه بنعمة الإسلام ، وشعور بالذل والهوان بسبب قهر أعدائهم لهم وانتزاع أرضهم منهم ، وتفوقهم عليهم في شتى مجالات الحياة : عسكريًّا ، وعلميًّا ، وتكنولوجيا ، واقتصاديًّا ..

وتولّد عن هذا الصراع النفسي منهجان للتفكير : أحدهما يرد ضعف المسلمين إلى بعدهم عن دين الله وعدم أخذهم بأقوال السلف ، والثاني يرى عكس ذلك فهو يرى أن التمسك بالدين هو سبب ضعف المسلمين وانحطاطهم حضاريًّا .

وتبنى وعاظ الدين الرأي الأول الذي يرى أن كل بدعة ضالة وأن الوقوف عند حدود ما أبدعه السالفون نجاة .

وتبنى العلمانيون المستغربون الرأي الثاني الذي يرى أن كل قديم تخلف ورجعية حتى وإن كان دينا وأنه لا إيمان إلا بما يقوله العلم الحديث الذي آمن به الغرب المتقدم .

أما المفكرون المستنيرين الذين فهموا الإسلام على أنه نظام شامل دين ودنيا ، مأثور ومعقول ، إيمان وعمل لا كما يفهمه وعاظ الدين الرجعيون على أنه نقل لا عقل فيه ومأثور لا فقه فيه وثبات لا تطور فيه !! وأن الإسلام يجعل العلم – بمفهومه الشامل – فريضة وأنه لا تعارض بين الفهم الصحيح للدين والحقائق العلمية .(2)

---

(1) سيد قطب " هذا الدين " ص ٥ ، ٦

(2) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع انظر " ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية " للمؤلف مكتبة مدبولي .

ودار الصراع بين هؤلاء وأولئك رمى فيها وعاظ الدين العلمانيين بالكفر والخروج من الملة ، ورمى فيها العلمانيون وعاظ الدين بالجهل والتخلف والخروج من العلم .

أما المفكرون المستنيرون فقد صُبَّت عليهم لعنات هؤلاء وأولئك فهم في نظر الوعاظ خارجون عن أقوال السلف مبتدعون في أمور الدين ، وهم في نظر العلمانيين هم والوعاظ سواء بسواء : متخلفون رجعيون .

يقول المؤرخ الغربي "توينبي" عن حال المسلمين حيال النهضة الغربية إن المسلمين يواجهون حضارة العصر بنزعتين متناقضتين : إحداهما يسميها النزعة الهيرودية ، وينسبها إلى هيرود ملك اليهود الذي قابل حضارة الرومان بمشابهة الرومان في السكن ، والملبس ، والمعيشة .

والأخرى نزعة الغلاة وينسبها إلى نسَّاك إسرائيل الذين كانوا يصرُّون على القديم وينكرون كل مخالفة للعادات والموروثات .

ويعلق العقاد على كلام توينبي قائلاً : " ولو أراد الأستاذ " توينبي " أن يتوسع في الأمثلة لعمم القول على الطبيعة الإنسانية في مواجهة كل حديث ، ومقابلة كل تغيير .

ونحن في العصر الحاضر نعرف الرخصة والهوادة ، كما نعرف الشدة والصرامة ، ونواجه الحضارة الأوربية بالنزعتين معًا أو نتوسط بينهما ، تارة مع المحافظة ، وتارة مع التجديد ، ومن لم يتوسط منا تشبث بالمحافظة حتى الجمود أو اندفع مع التجديد حتى أصبح كالمنبت عن الطريق ، وأحسب هذه النزعات جميعًا كانت على اختلافها الذي نشهده اليوم في تاريخ كل دعوة ومواجهة كل تغيير ".[1]

(1) عباس محمود العقاد " الإسلام والحضارة الإنسانية " ص ١٥٧ نهضة مصر .

وفي حين تمكن اليهود من التخلص من أفكار الجيتو التي أوردتهم المهالك ، والخروج من الجيتو نفسه والاندماج في النهضة الأوروبية والتحالف معها ضد الخلافة العثمانية ، ظل المسلمون العرب في صراع طاحن حول هذه الأفكار حتى يوم الناس هذا !

معجزة إسرائيلية أم مخطط غربي ؟

إن قيام دولة إسرائيل لم يكن بفضل إخلاص اليهود الصهاينة لها فحسب إنما كان الفضل الأكبر في قيام دولة إسرائيل هو المخطط الغربي الذي يُعرف بالصهيونية .

إن لكل حركة أو تنظيم أهداف يسعى لتحقيقها ولما كانت الصهيونية تقوم على الفكر الغربي العلماني الاستعماري الذي يهدف إلى التخلص من العناصر اليهودية المنبوذة بتوطينهم في فلسطين لذا جاءت أهداف الصهيونية في صالح الغرب المسيحي الاستعماري ومن تحالف معهم من اليهود الرأسماليين وليس في صالح اليهود بعامة .

ولقد اعتقد الكثير أن الصهيونية حركة يهودية دينية ، وأن كلمة صهيوني مرادفة لكلمة يهودي والذي أوقع الكثير في خطأ قصر الصهيونية على اليهود فقط أن أشهر الأسماء التي ارتبطت بالصهيونية السياسية كانت يهودية مثل : تيودور هرتزل ، اللورد روتشيلد ، حاييم وايزمان ، ناحوم جولدمان ، بن جوريون والدارس لحياة هؤلاء الأشخاص وغيرهم من اليهود الصهاينة يتضح له أنهم جميعًا ينطلقون من أيديولوجية علمانية غربية لا تحركها إلا دوافع مادية نفعية لا دينية ولقد واجه هؤلاء الصهاينة اعتراضات كبيرة من اليهود المتدينين .

أهداف الصهيونية العالمية

إن نظرة إلى أهداف الصهيونية التي تحققت يتبين لنا جليًا لمصلحة من كانت الحركة الصهيونية تهدف ، ويمكن أن نجمل أهداف المخطط الصهيوني في الآتي :

١- تخلص الغرب من مشاكل اليهود على كافة المستويات : القومية ، والسياسية ، والاقتصادية ، تلك المشاكل التي باتت تهدد النهضة الغربية .

٢- نقل دور اليهود كجماعة وظيفية كانت تقوم بدور تسخير الطبقات الشعبية الدنيا لصالح الطبقة الأرستقراطية الحاكمة إلى فلسطين لتسخير العرب لتحقيق المصالح الغربية الاستعمارية التي تتمثل في :

أ- السيطرة على موارد العرب الطبيعية وخاصة البترول الذي يعد أمرا حيويا لمنظومة الصناعة في الغرب .

ب-السيطرة على الأسواق العربية التي تعد أهم المنافذ لتسويق السلع الغربية (من الإبرة للصاروخ) .

ج- استثمار رأس المال الغربي في البلاد العربية التي تعد أصلح المناطق لاستثمار هذه الأموال نظرا لتوفر العمالة الماهرة الرخيصة ، والموارد الطبيعية ، والقرب من منافذ تسويق السلع المنتجَة .

٣- تمزيق الخلافة الإسلامية ، وضرب المشروع العربي الإسلامي الذي بدأه محمد علي والذي بات يهدد أوروبا والعمل على إجهاض أي مشروع عربي أو إسلامي مزمع قيامه .

٤- العمل على تحقيق النبوءة المسيحية بالخلاص ونزول المسيح المخلص والتي لا تتم إلا بقيام دولة صهيون في أرض الميعاد .

٥- إبادة اليهود وغيرهم من غير المسيحيين " فما تضمره المسيحية الإنجيلية، أو المسيحية الصهيونية أو الصهيونية المسيحية هو دعوة اليهود إلى العودة إلى أرض الميعاد – فلسطين - تمهيداً إما لتنصيرهم أو لإبادة معظمهم . " (١)

(١) حوار مع المسيري " قناة الجزيرة " .

هذه هي أهم أهداف الصهيونية وهي في عمومها تصب في صالح الغرب المسيحي في المقام الأول والأخير .

إن الدولة الصهيونية، في واقع الأمر، ما هي إلا أداة في يد الاستعمار الأمريكي على وجه الخصوص، والغربي على وجه العموم، وهذا هو العدو الحقيقي الذي يحاول أن يفرض منظومته على العالم فيُحوِّله إلى سوق ومصنع، والدولة الصهيونية هي الوسيلة والجزء وليست الغاية والكل ... ولعل موقف بلفور (وكل الصهاينة من غير اليهود) هو خير تعبير عن هذا الموقف الذي ينم بلا شك عن تسامح مع اليهود حيث وقف إلى جوارهم حتى أعلن الوعد المعروف باسمه عام ١٩١٧. ولكن من الواضح أن تسامحه هذا نابع من رغبته في وضع اليهود في خدمة المصالح الإمبريالية البريطانية بحيث يحولهم إلى أداة لقمع العرب واغتصاب أرضهم. ومن ثم، نجد أن بلفور المتسامح هو نفسه الذي حاول أن يوقف هجرة يهود اليديشية إلى إنجلترا، واستصدر من القوانين ما يكفل ذلك حينما كان رئيساً للوزراء. فكأن تسامحه مع المشروع الاستيطاني الصهيوني تعبير عن رغبته الصادقة في التخلص منهم وتوظيفهم. ويمكن أن نقول الشيء نفسه عن نابليون بونابرت وغيره من الزعماء الغربيين ممن أبدوا تسامحاً كبيراً تجاه اليهود." (١)

الدليل على خضوع إسرائيل للمخطط الغربي الإمبريالي

ودونك هذه الأدلة التي تؤكد فكرة تبعية الدولة الإسرائيلية للمخطط الغربي الإمبريالي وليس العكس :

١- فكرة الصهيونية السياسية فكرة غربية مسيحية وليست فكرة يهودية بل إن معظم الحاخامات رفضوها وناصبوها العداء ؛ لأنهم وجدوها قراءة مغلوطة ومتعصبة للديانة اليهودية ، فإذا كانت الديانة اليهودية تدعو إلى العمل بشريعة الرب

(١) د . عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م ٢ / ج ٣ . مرجع سابق .

وهدي الأنبياء لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد الماشيخ ، فإن الصهيونية ما هي إلا تلك البدعة المتشددة التي استبدلت بالرسالة الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار الماشيخ المخلص السعي للحصول على الخلاص بالعنف والإرهاب.

٢- رفض أمريكا ومعظم دول أوربا فتح أبوابها لليهود أثناء المرحلة النازية التي عملت على إبادة أعداد كبيرة من اليهود ، بسبب سوء حالة الاقتصاد الأمريكي آنذاك والخوف من تسلل الجواسيس الألمان لأمريكا ففضلت أمريكا مصلحتها الاقتصادية والأمنية وأغلقت الأبواب في وجه اليهود .

٣- إسراع أمريكا بالاعتراف بدولة إسرائيل فور إعلانها رغم أن اللوبي الصهيوني آنذاك كان ضعيفا في مقابل اللوبي اليهودي المعادي للصهيونية الذي كان لا يزال قويًا إذ كان يضم عددًا كبيرًا من أثرياء اليهود المندمجين ، وهذا يعني أن المصالح الأمريكية هي ما تسعى أمريكا لتحقيقه بغض النظر عن أية ضغوط يهودية أو إعلامية .

٤- حينما تصرفت إسرائيل دون إذن من أمريكا ، ودون مراعاة لمصالحها في حرب السويس سنة ١٩٥٦م أجبرت أمريكا إسرائيل على الانسحاب من سيناء التي كانت قد احتلتها . إذ أن المصلحة الأمريكية آنذاك كانت تقضى بإجلاء الاستعمار القديم (انجلترا وفرنسا) من منطقة الشرق الأوسط لتحل محله .

٥- لم تقدم إسرائيل على القيام بحرب ٥ يونيو ١٩٦٧ إلا بعدما أن أضاءت لها أمريكا الضوء الأخضر لأن السياسة الأمريكية آنذاك كانت تريد التخلص من جمال عبد الناصر الذي أدخل عدوها اللدود الاتحاد السوفييتي في المنطقة ، والذي عملت سياسته على زيادة نفوذه فيها ، ومحاربة المصالح الأمريكية عن طريقه .

٦- شهدت الفترة من ١٩٦٧- ١٩٧٤ تنامي العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في فترة حكم نيكسون الذي لا يُكنُّ حباً خاصاً لليهود .

٧- ضغط أمريكا في عهد كارتر على ساسة إسرائيل لتوقيع معاهدة السلام وإعادة كل سيناء لمصر والتعهد باستمرار المفاوضات من أجل سلام شامل في المنطقة وإعادة كل الحقوق لأصحابها لكن حكام العرب – عدا الرئيس السادات – قد فوتوا على أنفسهم فرصة ذهبية يصعب تكرارها .

٨- إن سياسة إنجلترا أكثر اقترابًا من السياسة الأمريكية وأكثر دعما لإسرائيل رغم الضعف الشديد للجماعة اليهودية في انجلترا ، في مقابل أن سياسة فرنسا أكثر ابتعادا عن السياسة الأمريكية رغم أن جماعة اليهود في فرنسا تعدادها ٧٠٠ ألف يهودي وهي جماعة ذات نفوذ قوي في الإعلام وغيره . مما يؤكد أن الجماعة اليهودية في الغرب لا تأثير لها يذكر في المخطط الغربي الاستعماري بل هم يمثلون أحد أدوات هذا المخطط .

٩- وقوف أمريكا في وجه إسرائيل حينما حاولت الاستقلال النسبي عنها وظهر هذا جليًا في قضية " جوناثان بولار " الأمريكي اليهودي الذي تجسس لحساب إسرائيل ، وكان رد الفعل المؤسسة الأمريكية حاسمًا ، إذ قبض على بولار وأدخل السجن لمدة عشرين عاما وأجري تحقيق في إسرائيل لتحديد المسئولية ، كما أن الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة ثارت ثائرتها ضد إسرائيل ، ورفض كل من بوش ، وكلينتون العفو عن بولار رغم إلحاح اللوبي الصهيوني في ذلك .

كذلك رفض أمريكا السماح لإسرائيل بإنتاج " طائرة اللافي " محليًا في إسرائيل وبمساعدة أمريكية .

١٠- أثبتت حرب الخليج الثانية (التي بدأت بالاحتلال العراقي للكويت) بما لا يدع مجالا للشك أن إسرائيل لا تتحرك إلا في إطار المصالح الغربية وليس في إطار المصالح اليهودية أو الصهيونية ، فإسرائيل قد أعدها الغرب للقيام بالدور العسكري لصالح الغرب في المنطقة العربية ، وكانت إسرائيل تأمل أن تقوم بدورها

في حرب صدام حسين خاصة أنه هددها بحرقها بسلاحه الكيماوي قبل غزوه للكويت بزمن ، لكن جاء قرار أمريكا بعدم مشاركة إسرائيل في هذه الحرب حتى لا تستثير حفيظة الشعوب العربية الكارهة لإسرائيل ضد أمريكا وحلفائها ، وتتعاطف مع صدام الذي سيظهر بدور البطل العربي الشجاع الذي يحارب أمريكا وإسرائيل . وقد حاول صدام أن يستثير حفيظة إسرائيل لدفعها في الدخول في المعركة ليكسب تأييد الشعوب العربية فضربها بعدة صورايخ " سكود " ، ولكن إسرائيل وبضغط من أمريكا لزمت الصمت ، وامتثال إسرائيل لأوامر أمريكا في هذا الظرف يؤكد مدى ذكاء اليهود الصهاينة في معرفة قواعد اللعبة السياسية ، بعكس كثير من حكام العرب وعلى رأسهم صدام حسين . (1)

حقيقة المعجزة الإسرائيلية

لقد ظهرت الصهيونية كحركة مسيحية غربية استيطانية تعمل على استغلال اليهود لتنفيذ المخططات المسيحية الغربية لذا عمدت الصهيونية إلى تمويل ما يطلق عليه " المعجزة الإسرائيلية " على المستوى الاقتصادي ، وعلى صعيد التسليح أيضًا (بما في ذلك التسليح النووي) مما ساعد على استحداث أسطورة داود الصغير الذي نجح في أن يقضي على عدوه العملاق جالوت بنبلة صغيرة وهي كناية عن دولة إسرائيل الصغيرة التي انتصرت على جيرانها العرب مجتمعين . (2)

لقد قامت الصهيونية العالمية بالعمل على قيام دولة إسرائيل وتوفير كافة السبل لبقائها ، والعمل على الحفاظ على تفوقها على جميع الدول العربية على كافة الأصعدة .

(1) لمزيد من التفاصيل حول تبعية اليهود للمخطط الغربي وليس العكس الرجوع إلى كتاب " اليد الخفية " د. عبد الوهاب المسيري الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الفصل الخاص باللوبي اليهودي والصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية .

(2) عن رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٠٠

وكان اختيار فلسطين لإنشاء هذه الدولة اختيارًا عبقريًا فإسرائيل في هذا المكان تتمتع بموقع استراتيجي فريد على مفترق الطرق بين أوروبا وآسيا وإفريقيا وهي نفس الميزة التي تتمتع بها مصر .

كما أن إسرائيل ذات موقع اقتصادي مهم في قلب هذا الجزء من العالم الذي يحوي نصف بترول العالم عصب التنمية (بالمعنى الغربي) وهناك أيضًا تلك الأسطورة اللاهوتية عن شعب الله المختار والتي تستخدم لتغطية أطماع الغرب في الموقع الاستراتيجي والموقع الاقتصادي لإسرائيل ، وتضع تجاوزاتها بل وأخطاءها فوق أي قانون وأي عقوبة بشرية باعتبار أن كل ما تفعله هو تنفيذ لإرادة الله ، ولذلك أصدرت الأمم ١٩٢ قرارا ضد إسرائيل لم تنفذ منها قرارًا واحدًا ، إنها تعتبرها جميعها كما قال جميع رؤساء إسرائيل (حبرًا على ورق) . (١)

المساعدات الغربية لدولة إسرائيل

ونكتفي في هذا الفصل بذكر المعونات الاقتصادية والعسكرية التي وفّرتها الصهيونية العالمية لقيام دولة إسرائيل .

أن مجموع المساعدات الأمريكية لإسرائيل إضافة إلى التعويضات الألمانية والجباية اليهودية منذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٩٦ ما يزيد عن ١٧٩,٤ مليار دولار، موزعة بين ٧٩,٦ مليار دولار مساعدات حكومية أمريكية متنوعة، ٦٠ مليار دولار تعويضات ألمانية ، ١٩,٤ مليار دولار جباية يهودية ، ٢٣,٤ مليار دولار أصول أجنبية في إسرائيل. وحتى إذا استبعدنا الأصول الأجنبية الموجودة في إسرائيل على اعتبار أنها قد توطنت فيها لاعتبارات اقتصادية (وهو أمر غير صحيح لأنها كانت دائماً دولة في حالة حرب أو توتر ولا تغري أي مستثمر بتوطين الاستثمارات فيها) فإن المساعدات الخارجية المعروفة التي تلقتها إسرائيل منذ إنشائها عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٩٦ قد بلغت نحو ١٥٦ مليار دولار بالأسعار الجارية

(1) سعد الدين وهبة من مقال " إسرائيل عارية " بجريدة الأهرام .

على مدى سنوات تلقي إسرائيل لها، وهي توازي ما يزيد عن ٤٥٠ مليار دولار من دولارات الوقت الراهن .

وهناك مساعدات تحصل عليها إسرائيل في ظروف معينة مثل ما حصلت عليه عند التوقيع على معاهدة كامب ديفيد ١٩٧٩ لتعويض ما فقدته، فحصلت على : بناء مطارين في النقب يعمل في كل منهما سربان أثناء العمليات بواسطة سلاح المهندسين الأمريكي، وتعزيز البنية الأساسية لقواعد بحرية وإنشاءات عسكرية ومراكز تدريب وثكنات، والحصول على معدات وأسلحة لتحديث قواتها، وبناء مدارس عسكرية، وبناء مخزنين في كل قاعدة جوية في النقب بهما قطع الغيار اللازمة، وهي تعمل بطريقة أوتوماتيكية بحيث يكفي ٣ أشخاص لتشغيل وإدارة كل مخزن، وقد تكلفت هذه الإنشاءات والمعدات ما يقرب من٣,٢ مليار دولار، والغريب أن كل معدات سلاح المهندسين التي قامت ببناء هذه الأبنية أعطيت منحة لإسرائيل.

علاوة على ذلك فإنه لا يمكن حصر المساعدات غير المنظورة التي تُعطَى للكيان الصهيوني، مثل هجرة العلماء إليها، فمثلاً يُقال إن معظم أعضاء قسم رسم الخرائط في الجيش البولندي هاجروا إلى إسرائيل بعد عام ١٩٦٧، كما أن كثيراً من العلماء اليهود يجرون تجاربهم في معامل جامعاتهم في الولايات المتحدة، ثم يعطون نتائجها لإسرائيل. وهذا شكل من أشكال المعونات يصعب حسابه .

ويمكن رصد أنواع أخرى من المساعدات غير المباشرة. ففي مجال الصناعات الحربية تسهم الولايات المتحدة في مشروع إنتاج الصاروخ "حيتس أو السهم" الإسرائيلي المضاد للصواريخ رغم تكرار فشله (وكذلك الحال مع الطائرة لافي من قبل). وفي مجال نقل التكنولوجيا نجد أنه رغم أن الولايات المتحدة تفرض قيوداً صارمة على عملية النقل هذه إلا أنها لا تُطبَّق على إسرائيل، التي تستخدم في صناعاتها الحربية معدات تكنولوجية أمريكية .

وتشير بعض الإحصاءات إلى أن ٣٦ % من الصادرات الإسرائيلية تحتوي على نظم أمريكية، ولذلك فإنه لو طُبِّقت القيود الصارمة على تصدير التكنولوجيا التي في حوزة إسرائيل لدولة ثالثة لأصيبت صادراتها بضربة قاسية .

وهناك نوع آخر من المساعدات غير المباشرة وهو فتح الأسواق الأمريكية للصادرات الإسرائيلية، وكذلك ما يُعرف بـ «الأسواق المتروكة»، وهي أسواق لا تستطيع الولايات المتحدة التورط فيها بطريقة مباشرة مراعاة لمصالحها العليا، الأمر الذي يجعلها تلجأ إلى إسرائيل لملئها مؤقتاً مثل أسواق ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية أو أسواق بعض النظم العنصرية مثل نظام جنوب أفريقيا السابق . [1]

وفيما يتعلق بالمبالغ التي دفعتها ألمانيا لدولة إسرائيل سأعطي الكلمة لمن كان المفاوض الرئيسي لقيمة التعويضات ، السيد ناحوم جولدمان الذي أورد تفاصيل ذلك في سيرته الذاتية ، التي يقول فيها : " في أوائل عام ١٩٥١ دخلت إسرائيل الحلبة لأول مرة بتوجيه مذكرتين إلى الحلفاء الأربعة بخصوص المطالبات اليهودية بالتعويضات من ألمانيا الجديدة والتي بلغت مليار ونصف مليار دولار ، نصفها من ألمانيا الغربية والنصف الآخر من ألمانيا الشرقية .

وقام هذا المبلغ على الأساس الآتي :

استقبلت إسرائيل خمسمائة ألف يهودي تقريبًا ، وتكلفت إعادة دمج كل منهم نحو ثلاثة آلاف دولار . ونظرًا لأن إسرائيل هي التي أنقذت هؤلاء الضحايا من براثن النازية ، وتكبدت تكاليف مالية باهظة ، فقد رأت أنها في حل من فرض هذه الطلبات باسم الشعب اليهودي ، رغم أن هذا لا يقوم على أي أساس قانوني ، وذلك لأن الدولة اليهودية لم يكن لها وجود عند قيام النظام النازي .

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ١ " المعونات الخارجية للدولة الصهيونية الوظيفية " . مرجع سابق .

وكانت الدفعات الألمانية عاملاً حاسمًا في الانطلاقة الاقتصادية لإسرائيل خلال تلك الأعوام ، وكنت لا أدري ماذا سيكون مصير إسرائيل في الأوقات الحرجة لاقتصادها لو أن حكومة ألمانيا لم تحترم تعهداتها .

فالسكك الحديدية ، والتليفونات ، ومنشآت الموانى ، ونظم الري ، وفروع بأكملها من الصناعة والزراعة ، ما كانت ستصبح على ما هي عليه الآن بدون التعويضات الألمانية . وأخيرا تلقي مئات الآلاف من الضحايا اليهود مبالغ محترمة في هذه السنوات الأخيرة بموجب قانون التعويضات .

وفي صبيحة يوم وصولي إلى تل أبيب قمت بزيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بن جوريون الذي استقبلني وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدية وهو يقول : " لقد كان لي ولك حظ في أن نحيي معجزتين : إنشاء دولة إسرائيل ، والتوقيع على الاتفاق مع ألمانيا . كنت أنا المسئول عن المعجزة الأولى ، وأنت (أي ناحوم جولدمان) عن المعجزة الثانية " [1]

وفي كتاب آخر من كتبه " التناقض اليهودي " لا يحكي جولدمان مفاوضاته مع ألمانيا فحسب بل والكيفية التي ابتزّ بها تعويضات من النمسا ومن مستشارها "راب" فقد قال للمستشار : يجب أن تدفعوا تعويضات لليهود ، ويرد عليه المستشار : ولكننا كنا أنفسنا ضحايا الألمان ! واستطرد جولدمان قائلاً : في هذه الحالة سأستأجر كبرى دور لعرض السينمائي في فيينا وسأعرض فيها كل يوم الفيلم الذي يصور دخول القوات الألمانية وهتلر فيينا في مارس ١٩٣٨م .

وعندئذ قال " راب " : موافق ستأخذون أموالكم !

وكانت هذه الأموال في حدود ٣٠ مليون دولار . وفي وقت لاحق عاد جولدمان وقال : يجب دفع ٣٠ مليون أخرى !

([1]) ناحوم جولدمان " السيرة الذاتية " باريس ١٩٦٩ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ١٩٧- ١٩٩ .

فقال راب : لقد اتفقنا على ٣٠ مليون فقط .

فرد عليه جولدمان : الآن يجب أن تقدموا أكثر .

وحصل عليها . ثم عاد مرة ثالثة وحصل على نفس المبلغ .

فبالإضافة إلى " التعويضات " تتمتع إسرائيل بإمدادات لا حد لها من الأسلحة والأموال التي تأتي أساسا من الولايات المتحدة حيث يلعب اللوبي اليهودي دورًا فعَّالا في ذلك ، وكذلك المنح والهبات المقدمة من أبناء الشتات .

وكشف بنحاس سابير وزير المالية أثناء مؤتمر المليارديرات اليهود الذي عقد في القدس عام ١٩٦٧ ، أن دولة إسرائيل قد تلقت في الفترة من ١٩٤٩- ١٩٦٦ مبلغ قدره (٧) مليارات دولار . [1]

وكانت المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة وفي المتوسط مليار دولار لإسرائيل (وكانت هذه المساهمات تعتبر مساهمات خيرية وتخصم من ضرائب المانح أي أنها تقع على عاتق دافعي الضرائب الأمريكيين) ومع ذلك فمعظم المساهمات كانت تأتي من الدولة الأمريكية مباشرة ، والتي ارتفعت معونتها إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويًّا ، نصفها تقريبًا يتحول إلى منح وهبات لا ترد .

وتتكون هذه المعونة السنوية من شحنات للأسلحة كانت تمول بطريقة خاصة بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦م تفاديًّا لانتقادات الجمهور .

ويكفي أن نذكر هنا أن معونة " مشروع مارشال " المقدمة إلى أوروبا الغربية في الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٤ قد وصلت إلى ١٣ مليار دولار ، أي أن دولة إسرائيل بأقل من مليونين من السكان قد حصلت على أكثر من نصف ما تلقاه مائتي مليون أوروبي .

---

(1) الأيكونوميست الإسرائيلي سبتمبر ١٩٦٧ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٠٠

وعلى سبيل المقارنة أيضًا فإن المليارات السبعة التي حصلت عليها إسرائيل في ثمانية عشر عامًا كمنح ، وتمثل ما يزيد على مجموع الدخل القومي السنوي للعمل في كل البلاد العربية المجاورة (مصر وسوريا ولبنان والأردن) الذي بلغ في عام ١٩٦٥ ، ستة مليارات .

وإذا أخذنا في الاعتبار المساهمة الأمريكية وحدها ، يلاحظ أن الولايات المتحدة قد منحت من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ مساعدات بلغت في متوسطها ٤٣٥ دولارا لكل إسرائيلي ، ٣٦ دولارا لكل عربي !! (١)

وباختصار يكفي رقم واحد للدلالة على طابع دولة إسرائيل الصهيونية : فإن مجموع " المعونة " الرسمية الأمريكية التي تتلقاها إسرائيل وحدها يعادل ما يزيد على ١٠٠٠ دولار للفرد أي كبقشيش يضاف إلى دخله القومي ، وهو ما يزيد ثلاث مرات على إجمالي الدخل القومي للفرد في مصر ، وفي معظم البلدان الأفريقية .

إسرائيل مشروع استثماري غربي

إذن قيام دولة إسرائيل لم يكن معجزة أو عملاً استثنائيًا في التاريخ إنما هو مشروع استثماري غربي شارك فيه عديد من الدول. فقد وضع أسسه إنجلترا وساهم في تمويله ألمانيا والنمسا ، وأتمت بناءه واستغلاله الولايات المتحدة الأمريكية ، وعليه فإن هذا المشروع الاستيطاني المسمى " دولة إسرائيل " ما كان له أن يتم بجهد اليهود وحدهم إنما تم بفضل المعونات الغربية ، وسوء السياسة العربية .

والحقيقة أن اليهود ليسوا إلا جماعة وظيفية استعملها الصليبيون الجدد لتحقيق أهداف استعمارية معتمدين على ضعف العرب ، وتخلفهم ، وتفرق كلمتهم .

وفي هذا الصدد يفصح الأستاذ يشاياهو ليبوفيتش عن رأيه في الدولة الصهيونية قائلاً : " إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه " وذلك لسببين هما :

---

(١) جورج قرم " مالية إسرائيل " ١٩٦٨ نقلا عن " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية مرجع سابق ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

١- المصيبة كلها نشأت من أن كل شيء قد ارتكز حول الوطن والدولة . فإذا كان الوطن والدولة هما الغاية في حد ذاتها فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم .

إن القومية هي تدمير لجوهر الإنسان " ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيشًا، ولكنها جيش يملك دولة .

٢- ارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة ..

الأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمريكيين في زي التساحل (الجيش الإسرائيلي) وإن قوة الكلمة اليهودية تأتي من القفاز الفولاذي الأمريكي الذي يلفها والدولارات التي تبطنها . [١]

لقد استمرَّت المساعدات الخارجية لإسرائيل في تدفقها على مستوى عال وذلك لأن المانحين قد استفادوا بنفس الدرجة – على الأقل – التي استفاد بها الممنوحون وأن هذا لينطبق بوجه خاص على كل من يهود أمريكا وحكومة ألمانيا الغربية .

أما يهود أمريكا فقد داخلهم شعور من خلال تزويدهم للحكومة الإسرائيلية وللمؤسسات الإسرائيلية وللأفراد الإسرائيليين بأنهم إنما يشاركون في إنجازات عظيمة كما أنهم وجدوا في ذلك معاني جديدة للكرامة الشخصية وفرصًا للنشاط الخلاق .

وأما حكومة ألمانيا الغربية فقد حصلت على غفران جزئي عن الجرائم البشعة التي اقترفها النازيون وقد مكنها ذلك من الحصول على مساعدات اقتصادية من الولايات المتحدة الأمريكية ومن النجاح في خططها الرامية إلى تطوير اقتصادي سريع ، كما مكنها من الانضمام تدريجيًا إلى المجتمع الدولي . [٢]

---

(١) رجاء جارودي " الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية " مرجع سابق ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٢) أنطون . ب. زحلان " العلم والتعاليم العالي في إسرائيل " ترجمة محمد صالح العالم مؤسسة الدراسات الفلسطينية بالاشتراك مع دار الهلال ص ١٢ .

وقد أصبحت إسرائيل نتيجة هذا الدعم المستمر بلداً كل ما فيه مموَّل أو مُدْعَم من الخارج : حمام السباحة في النادي، معمل قسم الطفيليات في الجامعة، مشروعات إعانة الفقراء، المتحف الذي يذهب المواطن لزيارته، بل حتى البرامج الإذاعية التي يسمعها. وبطبيعة الحال الجيش الذي يدافع عنه، والوجبة التي يتناولها. إن مثل هذا الوضع يقوض دعائم الأخلاقيات الاجتماعية وأي إحساس بالعزة القومية. والصهيونية تستمد شرعيتها أمام اليهود من ادعائها أنها حولتهم إلى شعب له كرامته القومية مثل كل الشعوب .

وقد بدأت الحكومة الأمريكية تتدخل في السياسات الداخلية للمستوطن الصهيوني وبخاصة الشئون الاقتصادية والعسكرية، وأصبحت هذه السياسات يتم تقريرها على أمل أن تحوز إعجاب واشنطن . وهذه قضية تثير قلقاً عميقاً داخل المُستوطن الصهيوني . وكما قال ييجال يادين : " إن المعونة الأمريكية تشكل الخطر الأساسي على مستقبلنا الروحي". ولكن لا يوجد حل ولو نظري لهذه المشكلة في الوقت الحاضر على الأقل .

والمعونات الخارجية أدَّت إلى ظهور بعض الظواهر الفريدة في المجتمع الإسرائيلي. فالمعونات الألمانية - على سبيل المثال - خلقت بشكل فجائي فوري طبقة من الإسرائيليين الأثرياء (من أصل أوروبي) تمكنوا من الانتقال من الأحياء الفقيرة إلى أحياء أكثر ثراء، وغيَّروا أسلوب حياتهم بشكل كامل. هذه النقود السهلة (كما يسمونها)، أي النقود التي لم يكدَّ أحد من أجلها، تُعرِّض المجتمع لهزات احتماعية وتُولِّد فيه التوترات .

ونتيجة المعونات ازداد عدد كليات الطب في إسرائيل بشكل غير طبيعي في بلد يوجد فيه فائض كبير من الأطباء الأمر الذي يتسبب في هجرة العديد منهم. وقد لخص أحد الرأسماليين الإسرائيليين أثر المعونات السلبي في المجتمع الإسرائيلي

بقوله: "إنه قد يضطر لإغلاق مصنعه لو زادت المنح الخارجية لإسرائيل، إذ أنها ستوزَّع على العمال الذين يمكنهم بذلك تحقيق دخل لا بأس به دون الحاجة للعمل"، أي أن المعونة تحوّل اليهود إلى شعب طفيلي غير منتج مرة أخرى .

ونتيجة انسحاب اليهود من الأعمال الإنتاجية دخلت العمالة العربية كل مجالات الحياة وضمنها الكيبوتس الذي يستفيد منها بسبب انخفاض تكلفتها. وبدأت الأعمال الضرورية في الزراعة والبناء والمصانع تنتقل تدريجياً إلى أيدي العرب، وهناك فروع كاملة أو جزء كبير منها لم يَعُد موجوداً بين أيدي عمال يهود .

وفي أعقاب احتدام أزمة نموذج الصهيونية العمالية منذ منتصف الثمانينيات وظهور الدعوة لتطبيع الاقتصاد الإسرائيلي، تعالت الأصوات منادية بضرورة إعادة النظر في اعتماد إسرائيل على المساعدات الخارجية، وداعية إلى ضرورة تَوجُّه إسرائيل نحو جذب رؤوس أموال غير مسيَّسة عن طريق توفير مناخ استثماري أفضل لضمان تدفُّق رؤوس الأموال على إسرائيل سواء في شكل استثمارات أجنبية مباشرة أو استثمارات في حوافظ الأوراق المالية، عن طريق ما يُعرف بالوعاء الاستثماري للدولة أو صندوق الدولة الذي يتم تسجيله كشركة قابضة في إحدى البورصات ثم يقوم بإصدار أوراق مالية يتم تداولها في البورصات العالمية، على أن يقوم هذا الصندوق باستثمار حصيلة بيع الأوراق المالية في مجموعة من الشركات الإسرائيلية سواء عن طريق شراء أسهم وسندات هذه الشركات أو عن طريق الاستثمار المباشر (وهو ما تم بالفعل منذ عام ١٩٩٢ إذ تم إنشاء ما يُعرف بصندوق إسرائيل الأول).

وتبلورت هذه الاتجاهات بشكل احتفالي خلال الزيارة الأولى التي قام بها بنيامين نتنياهو إلى الولايات المتحدة عقب توليه الحكم. فقد شهدت هذه الزيارة - ولأول مرة منذ قيام دولة إسرائيل - إعلان رئيس وزراء إسرائيلي عن استعداده لبحث خفض

المعونة الأمريكية لإسرائيل بدعوى أن الاقتصاد الإسرائيلي وصل لمرحلة من التطور تغنيه عن المساعدات الخارجية! ونجاح إسرائيل في الاستغناء عن المساعدات الخارجية (التي مثَّلت - إلى جانب موجات الهجرة لإسرائيل - إحدى دعامتين قام عليهما نموذج الصهيونية العمالية) يمكن أن يُعَد مؤشراً بالغ الدلالة على قدرة الاقتصاد الإسرائيلي على تجاوز أزماته وإمكانية نجاح التطبيع على الأقل على المستوى الدولي . (1)

وإذا كان اليهود قد اجتهدوا في الاستفادة من المنح والهبات التي قدمت إليهم في إنشاء دولة قوية متقدمة فإن العرب مع الأسف لم يحسنوا استثمار مواردهم الطبيعية والبشرية .

ويقدر مصرفيون حجم الثروات الخليجية الفردية المستثمرة في الخارج فقط بنحو ١,٢ تريليون دولار موزعة على النحو التالي : ٧٠٠ مليار السعودية، ٢٦٦ مليار دولار الإمارات العربية المتحدة، ١٦٣ مليار دولار الكويت، بقية مجلس التعاون ٦٥ مليار دولار .

فماذا لو سُحبت هذه الأموال، بالإضافة إلى مليارات الدولارات التي يملكها عرب ومسلمون من مختلف أنحاء العالم ؟ وتم استثمارها في البلاد العربية ؟ (2)

هذه حقيقة أسطورة المعجزة الإسرائيلية نقولها لمن انخدع بالمشروع الصهيوني الغربي فظنوه معجزة إسرائيلية ، ونقوله للمتخاذلين من العرب الذين غرتهم قوة إسرائيل في حروبها مع العرب .

إن إسرائيل قوية بضعفنا ، وقادرة بعجزنا ، ومتقدمة بتخلفنا . ومتى يفيق العرب ويحسنوا فهم دينهم وإخلاص العبادة لربهم ، وإصلاح دنياهم باستغلال مواردهم

---

(1) د. عبد الوهاب المسيري موسوعة " اليهود واليهودية والصهيونية " م ٧ / ج ١ " المعونات الخارجية للدولة الصهيونية الوظيفية " . مرجع سابق .

(2) عبد الكريم حمودي . إسلام أون لاين ٢٩/ ١١/ ٢٠٠١ .

البشرية والطبيعية تبدو حقيقة الكيان الصهيوني على حقيقته ذيل ضعيف لقوى الشر الغربي الإمبريالي .

ونأمل أن يكون الربيع العربي بداية النهضة الحقيقية المبنية على الإيمان والعمل الصالح حتى يحقق الله تعالى لنا ما وعد .

{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا } [النور : ٦٥]

***

الفصل السادس

أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر

أصل أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر

من أعجب الأساطير الصهيونية وأشدها غرابة ، وأجرأها على الحق أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر إبان وجودهم في مصر في الفترة ما بين دخولهم أيام يوسف وخروجهم على يد موسى عليهما السلام !!

ويرجع تاريخ هذه الأسطورة إلى الأول من أبريل عام ١٩٧٩ وهو تاريخ زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي " مناحم بيجين " أهرام الجيزة وتصريحه بأن الإسرائيليين هم الذين قاموا ببناء الهرم الأكبر ، وفي حين أن المصريين اعتبروا هذا التصريح مجرد دعابة أو كذبة أبريل كان ذلك التصريح بمثابة طلقه إعلان المباراة بين كتّاب الإسرائيليات ومؤرخي الصهيونية في نشر الأكاذيب والمغالطات في كتابة تاريخ الأهرام ومحاوله تأكيد نسبها لبني إسرائيل الذين منحهم إلههم " يهوه " الأرض من النيل إلى الفرات ملكاً أبدياً .

وحاولت إسرائيل تأكيد ذلك بما تعبر عنه نجمه إسرائيل التي قاموا بتشكيلها بتطبيع أهرام وقلب أوضاعها فيعبر الهرم المعتدل بقاعدته عن نهر النيل أرض مصر وتعبر قمته عن نهر الفرات، بينما تعبر قاعدة الهرم المقلوب عن نهر الفرات أرض الكنعانيين وتصل قمته إلى أرض النيل .

وحاولوا عبر تاريخهم الذي اتسم بالخداع والتزوير إقناع العالم بما ترمز إليه وتعبر عنه نجمه إسرائيل عن حدود ملكهم وأملاكهم التي تمتد من النيل إلى الفرات. والتي اتخذوا شكلها من شكل الأهرام التي قاموا ببنائها رمزًا لحضارتهم !!

عندما قاموا باحتلال أرض سيناء بمعاونه شعوب الغرب أعلنوا أنهم قاموا باحتلالها استردادًا لجزء من وطنهم المسلوب الذي يمتد من النيل إلي الفرات كما تعبر عنه نجمتهم المقدسة . (1)

ولقد قام الإسرائيليون مؤخرًا باتخاذ أهرام مصر رمزًا لقناة فضائيَّة إسرائيلية تأكيدًا لأسطورة أنهم بناة الأهرام لا المصريين !!!

ولعل أهم أسباب انتشار هذه الأسطورة هو الربط بين ما أورده هيرودوت وما ذكرته التوراة ، فقد ذكر هيرودوت أن الفراعنة كانوا يسخرون العبيد في بناء الأهرام والأبنية ، وذكرت التوراة أن ملك مصر قد سخَّر اليهود في أعمال البناء وجعل المصريين رؤساء عليهم لكي يذلوهم ، وأن بني إسرائيل قد بنوا قريتي بيثوم وبر رعمسيس لتكونا مخازن لفرعون .

" وَمَا لَبِثَ أَنْ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ فَقَالَ لِشَعْبِهِ: «هَا بَنُو إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ مِنَّا وَأَعْظَمُ قُوَّةً . فَلْنَتَآمَرْ عَلَيْهِمْ لِكَيْلاَ يَتَكَاثَرُوا وَيَنْضَمُّوا إِلَى أَعْدَائِنَا إِذَا نَشَبَ قِتَالٌ وَيُحَارِبُونَا ثُمَّ يَخْرُجُوا مِنَ الأَرْضِ» فَعَهِدُوا بِهِمْ إِلَى مُشْرِفِينَ عُتَاةٍ لِيُسَخِّرُوهُمْ بِالأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ. فَبَنَوْا مَدِينَتَيْ فِيثُومَ وَرَعَمْسِيسَ لِتَكُونَا مَخَازِنَ لِفِرْعَوْنَ " (الخروج : ١)

وقرية رعمسيس تعني مدينه الملك رمسيس وتقع في منطقه تل الضبعة بشرق الدلتا وبالتحديد بجوار قنتير وتعمل بها حاليًا بعثه نمساوية برئاسة العالم النمساوي منفريد بتاك وقد عثر علي أدلة قاطعة علي أن هذا الموقع كان عاصمة الهكسوس ثم بعد ذلك استُخْدِم عاصمة للرعامسة في الأسرة التاسعة عشرة، وفي العصور المتأخرة نقل بقايا معبد لرمسيس الثاني إلى صان الحجر مما دفع العديد من علماء المصريات للاعتقاد خطأ بأن صن الحجر هي مقر مدينه الرعامسة بالدلتا. (2)

(1) د. سيد كريم " اليهود والهرم الأكبر " جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٥ / ٢٠٠١

(2) زاهي حواس جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٦ / ٢٠٠١

الرد على أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر

ومع أن أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر لا تستحق الرد فهي بيِّنة الوضع لقيطة النسب لا تستند إلى دليل ديني ولا تاريخي ولا حتى منطقي ، لكن تبجح اليهود في الدعاية لهذه الأسطورة ، وإصرارهم الشديد على إثبات صحتها. وجعل أهرام مصر رمزًا لقناة فضائية إسرائيلية هو ما دعانا إلى الرد على هذه الأسطورة ردًا علميًا مؤيدًا بأدلة دينية وتاريخية ومنطقية ولغوية .

الأدلة الدينية على كذب هذه الأسطورة

لم تنص توراة اليهود على تسخير فراعنة مصر لبني إسرائيل في بناء أي من الأهرام ، بل لم ترد كلمة هرم في التوراة على الإطلاق في حين أن توراة اليهود قد نصت على القريتين اللتين زعم اليهود تسخير فرعون مصر لبني إسرائيل في بنائهما وهما قريتا بيثوم و بررعمسيس ، ولو شارك اليهود بحمل حجر واحد في بناء أي هرم لبادرت التوراة في ذكر ذلك إما لتنسب لليهود شرف بناء الأهرام أو لتثبت مدى القهر الذي مارسه فراعنة مصر عليهم فما كان أي هرم من أهرام مصر الخالدة ليبنى إلا بجهد خارق وتضحيات كبيرة .

إن للأهرام المصرية أهدافًا وثيقة الصلة بالفكر الديني في مصر القديمة خاصة ديانة الشمس فالشكل الهرمي كان هو التل الأزلي الذي خرج من المياه الأزلية (نون) ووقفت فوقه روح الإله الخالق " رع " [1] متجسدة في هيئه طائر " الفونكس " وبدا من عليه هذا الإله الذي خلق : الكون ، والحيوانات ، والنباتات ، والبشر أجمعين .

---

(1) كان للفراعنة إله واحد هو " رع " وهو رب الأرباب ، وخالق الكون ، ورمزوا إليه بالشمس ذات الأجنحة وأسفل منها ثمانية تحمل عرش الإله رع وهم حملة العرش وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم فيقول جل شأنه { وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (الحاقة : ١٧) انظر تفاصيل عقيدة التوحيد عند الفراعنة كتاب " استراتيجية الصهيونية والمنهج الإلهي لميراث الأرض " دار هبة النيل العربية ، الفصل الرابع " الحضارة المصرية القديمة " .

ولما كان الملك في الفكر المصري القديم عند وفاته يرجع إلى إلهه " رع " الذي يرمز له بقرص الشمس ؛ لذلك وجب دفن الملك في بناء يماثل تل الخليقة الأزلي الأول، وتأكيدًا لارتباط البناء الهرمي الشكل لمقبرة الملك بعقيدة إله الشمس يعتقد علماء المصريات إن المصري القديم قد لاحظ سقوط أشعة الشمس علي شكل هرم يربط بين السماء والأرض، لذلك اتخذ المصري القديم الشكل الهرمي لدفن الملك أسفله، فوفقاً لما هو مدون في نصوص الأهرام إن الملك سوف يرتقي علي درجات الشكل الهرمي ليصعد إلي السماء، فالشكل الهرمي إذن مرتبط بمصر والمصريين دينيًا منذ أقدم العصور . (1)

الأدلة التاريخية التي تكذب هذه الأسطورة

إن أول خطوه في البحث عن الحقيقة تبدأ بعلاقة نزول بني إسرائيل بأرض مصر وتاريخ بناء الأهرام وارتفاعها علي أرض مصر .

والثابت تاريخيًا أن دخول بني إسرائيل مصر كان في عصر الهكسوس ، ومن المؤرخين من يرى أن بني إسرائيل هم الهكسوس أنفسهم ، فكلاهما من البدو الرعاة النازحين من قفار آسيا إلى جنات مصر ، ولكن الرأي الراجح أن بني إسرائيل غير الهكسوس وإن كانوا قد عاونوا الهكسوس على احتلال مصر والبطش بأهلها بالتجسس لصالحهم والعمل إلى جانبهم مما أغضب المصريين عليهم لذا قاموا باستعبادهم واضطهادهم بعد طرد الهكسوس من مصر انتقامًا منهم لمعاونتهم للهكسوس . (2)

فلا جدال بين العلماء أن الهكسوس أتوا من الشرق وأنهم جاءوا من آسيا ولكن إذا أردنا أن نقترب أكثر من ذلك لنعرف من أي جنس كانوا فإننا نصل إلى النتيجة

(1) الآثار زاهي حواس جريدة الأهرام ٦/ ١ / ٢٠٠١

(2) انظر " حقيقة اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية " الفصل الخامس : بنو إسرائيل في التاريخ الإنساني العام " للمؤلف .

الآتية: وهي أنهم ليسوا من جنس واحد وإنما من أجناس متعددة وأنه وإن غلبت في أسمائهم الأسماء السامية فإننا نجد أيضًا أن فيهم عناصر غير سامية .

وكلمة هكسوس ليست اسمًا ساميًا أو آريًا بل كلمة مصرية وهي تحريف للقب معروف منذ الأسرة الثانية عشرة وهو " حقا خلسوت " أي حاكم البلاد الأجنبية ، وكان لقبًا يطلقه المصريون على زعماء القبائل البدوية التي كانت تعيش في شرق مصر ، ونراه مكتوبًا فوق منظر البدو الساميين في إحدى مقابر بني حسن .

وتجمع المصادر المصرية على أن الهكسوس كانوا قومًا مخربين وأنهم أذلوا مصر وخربوا معابدها ، وإذا رجعنا إلى الآثار نفسها لوجدنا أن مدة احتلال الهكسوس لمصر لم تدخل أي تطور ملحوظ على الفن أو الحياة المصرية فكل شيء سار في مجراه الطبيعي . [1]

وسواء أكان بنو إسرائيل جنسًا من الأجناس المتعددة التي يتكون منها الهكسوس الذين غزو مصر أم أنهم نزحوا إلى مصر في عصر الهكسوس فمن الثابت أن بناء الأهرام قد تم في الأسرة الرابعة (٢٦٨٠ – ٢٥٦٠) ق. م [2] وأن الرأي المتفق عليه نهائيًا بين العلماء أن بدء حكم الهكسوس لابد أن يقع بين عامي ١٧٣٠ و ١٧٢٥ ق .م [3] وعليه فإن بني إسرائيل عندما سكنوا مصر كان قد مضى على بناء الأهرام أكثر من ٨٠٠ عام .

ويرى د. زاهي حواس أمين عام المجلس الأعلى للآثار الأسبق " أن العبرانيين قد دخلوا مصر مع دخول الهكسوس في حوالي عام ١٦٥٠ ق.م ومكثوا في مصر مائة عام وقد حاول المؤرخ اليهودي يوسفوس الذي حرَّف لنا ما كتبه المؤرخ المصري السمنودي مانيتون فقال إن اليهود هم أنفسهم الهكسوس، وأن سلمنا جدلاً

---

(1) د. أحمد فخري " مصر الفرعونية " مكتبة الأنجلو المصرية ص ٢٠٣– ٢٠٥

(2) نفسه ص ٦٨

(3) نفسه ص ٢٠٦

بهذا فان اليهود قد جاءوا إلى مصر أفرادا مهاجرين بعد أكثر من ٧٠٠ عام بعد بناء أهرامات الأسرة الرابعة، وقد عملوا ضمن الخدم في المنازل المصرية قد ظهر خلال الدولة الحديثة أسماء تحمل الصفة العبرية إذ كشف أخيرا بسقارة مقبرة لرئيس وزراء مصر في عصر الأسرة الثامنة عشرة ويحمل اسم عبريا وقد حاول المكتشف أن يربط بين هذا الاسم وبين العبرانيين .

وما أبغيه الآن هو أن نضع في الاعتبار أن اليهود لم يكن لهم وجود في مصر إطلاقاً خلال الدولة القديمة حيث تتوافر لدينا دلائل علميه قاطعه تنفي وجودهم في مصر خلال هذه الفترة " [1]

ويقول د. سيد كريم : " بنو إسرائيل جاءوا إلي مصر مع يعقوب عليه السلام المسمي بإسرائيل والذي نسب اليهود أنفسهم إلي اسمه .

دخل اليهود إلى مصر بصحبة النبي يوسف وفي صحبة أبويه عام ١٦٥٦، وكان عددهم سبعون شخصًا وقال لهم : ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين.

وتصف التوراة أنهم عاشوا منفردين بأنفسهم غير متحابين مع المصريين ويؤكد ذلك قيام موسي عليه السلام بقتل أحد المصريين مما أدى إلى هروبه من مصر إلى مدين في الشام خوفاً من المصريين الذين يناصبون الإسرائيليين العداء." [2]

وسواء أكان الهكسوس هم بنو إسرائيل أم غيرهم فمن الثابت تاريخيًا أن أهرام مصر العظيمة كانت قد بنيت من عهد بعيد ولا فضل لهم في المشاركة في بنائها ولو بحمل حجر كما أن فترة وجود بني إسرائيل في مصر لم يتم فيها أي إنجاز فني أو معماري يذكر بالقياس لبقية عصر مصر الفرعونية .

ولم يذكر التاريخ المصري القديم شيئاً عن بني إسرائيل إلا مرة واحدة في اللوحة التي كُتِبَت في عصر مرنبتاح وهي المسماة " لوحة إسرائيل " والتي جاء فيها أن من

---

(1) زاهي حواس جريدة الأهرام ٦/ ١ / ٢٠٠١

(2)د. سيد كريم " اليهود والهرم الأكبر " جريدة الأهرام بتاريخ ١/ ٥ / ٢٠٠١

أعمال مرنبتاح العظيمة هي انتصاره على الليبيين وقضائه على بني إسرائيل وتطهير مصر منهم .

" وإسرائيل خُربت وليس بها بذر " (١)

ويعلق سليم حسن على العبارة الأخيرة الخاصة بني إسرائيل فيقول " هذا هو أوّل عهدنا باسم إسرائيل ، بل هي المرة الأولى التي ذكر فيها الاسم في نص مصري ، وبموازنته بأسماء أخرى نجد أن كلمة إسرائيل كتبت لتدل على شعب لا على بلد " (٢) ويقول في موضع آخر " هذه اللوحة قد ذكرت لنا إسرائيل للمرة الأولى والأخيرة أيضًا وعلى ذلك تكون الإشارة إلى هؤلاء القوم هنا تشير إلى حادثة الخروج وعدم وجودهم في مصر " إني لا أزال مُسلّماً بوجهة النظر التي أدلى بها " لبسيوس " عن موضوع خروج بني إسرائيل وهي التي يقتفيها معظم الأثريين أن مضطهد اليهود هو " رعمسيس الثاني " الذي كان حكمه الطويل بداية انحلال الإمبراطورية المصرية ، وأن الفرعون الذي ينسب إليه خروج بني إسرائيل ابنه " مرنبتاح " (٣)

ويؤكد علماء الآثار عدم وجود أي أثر لبني إسرائيل في سيناء بعد خروجهم من مصر رغم أنهم مكثوا فيها أكثر من أربعين سنة ، فلو كان لهم مثقال من حضارة أو درهم من علم لخلفوا لنا شيئا يدل على ذلك في سيناء .

وفيما يتعلق بقصة خروج بني إسرائيل من مصر والتوهان في الصحراء وجبل سيناء ، فقد حاول عدة باحثين تحديد موقع جبل سيناء ، ومحطات وقوف أسباط إسرائيل في هذه الصحراء ، إلا أنهم لم يتمكنوا من اكتشاف أثر واحد يتطابق مع الصورة التي ترسمها التوراة . وبهذا الخصوص كتب عالم الآثار البروفسور يسرائيل فنكلشتاين من جامعة تل أبيب يقول " خلال عشر سنوات من البحث الأثري

---

(1) نقلا عن سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " الجزء السابع مرجع سابق ص ١٠٠ ، ١٠١

(2) سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " الجزء السابع مرجع سابق ص ١٠١

(3) نفسه ص ١٠٩

العلمي لم يتم اكتشاف أية براهين أثرية لحكاية الخروج من مصر . ورغم حراثة سيناء كلها ودلتا النيل طولاً وعرضاً وعمقاً ، ليس هنالك أية براهين على أن الإسرائيليين القدامى قد مرُّوا من هناك .

فهنالك أدلة مكتوبة حول مرور جماعات من المتسللين الرحل من سيناء إلى مصر ، وقد نقل موظفو الحكم المصري التقارير عن ذلك ، وليس هناك من أدلة على وجود تجمع سكاني عبري أياً كان استوطن فيه يعقوب أو أبناؤه أو غيرهم من الإسرائيليين الآخرين في مصر نفسها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد والذي يعتبر فترة حدوث المجريات المفترضة في الحكاية " .

ويعتقد أغلبية المؤرخين اليوم أن مكوث الإسرائيليين القدامى في مصر وخروجهم منها كانا في أقصى الأحوال تصرفاً لبعض العائلات " وتم توسيع حكاية هذه العائلات وتأميمها من أجل خدمة الأيدلوجية اللاهوتية الدينية لتشمل الشعب كله"(1)

الأدلة اللغوية على بطلان هذه الأسطورة

يمكن حصر الأدلة اللغوية التي تهدم ادعاءات اليهود في بناء الهرم في الآتي :

١- إن لغة بني إسرائيل كانت العبرية وكانوا يحتاجون إلى مترجمين عندما يتحدثون مع المصريين ، وقد استخدم يوسف مترجما في حديثه مع إخوته وتوراة اليهود تنص على هذا : " وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُوسُفَ كَانَ فَاهِماً حَدِيثَهُمْ، لأَنَّهُ كَانَ يُخَاطِبُهُمْ عَنْ طَرِيقِ مُتَرْجِمٍ " (التكوين : ٤٢)

ولا توجد أية كتابات عبرية علي أي أثر من آثار مصر فما كتب عليها كان بالخط المصري القديم "الهيروغليفي" (2)

---

(1) محمد فياض صلاحات " الرواية التوراتية لتاريخ بني إسرائيل على ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة " نقلا عن المركز الفلسطيني للإعلام .

(2) بعض الآثار المصرية القديمة كان مكتوب عليها بخطوط هيراطيقية أو ديموطيقية .

٢- عند دراسة أسماء المصريين خلال الدولة القديمة لم يعثر من بينها علي اسم واحد له صلة بالعبرانيين خاصة أن لدينا دراسة علميه دقيقة وموثقة علي جميع أسماء المصريين القدماء خلال الدولة القديمة قام بها العالم الألماني هرمان رانكه ونشرها في كتابه عام ١٩٣٢ م . [1]

٣- ليس من بين الأسماء التي ظهرت في مقابر عمال بناة الأهرام في الجبانة السفلية الخاصة بالعمال الذين نقلوا الأحجار أو الجبانة العلوية الخاصة بالفنانين والصناع والنحاتين اسم واحد له صله من قريب أو بعيد بالعبرانيين بل جميعها أسماء مصريه خالصه للعمال والفلاحين الذين شاركوا في بناء الأهرام .

وان صحيفة " ها ارتس " الإسرائيلية قد نشرت مقالاً ترجمه الأستاذ أحمد غريب بجريدة الميدان بتاريخ ١٠ / ٥ / ٢٠٠٠ م ، وفيه تقول الصحيفة بالحرف الواحد :

" إننا نعترف ونقرُّ بأن المصريين القدماء هم بناه الأهرام خاصة بعد الكشف الأخير الذي حدث بمنطقه الهرم عن مقابر بناة الأهرام " .

٤- إن كلمه هرم في العبرية التي تشبه في صوتها الكلمة العربية هرم تختلف في المعني عن معنى كلمة هرم في اللغة العربية ، فبينما كلمة هرم في العبرية تعني الصرح أو البناء المرتفع نعرف جميعًا أنها في اللغة العربية تعني ذلك الشكل الهرمي.[2]

الأدلة المنطقية على خرافة الأسطورة

لو كان اليهود هم الذين بنوا الأهرام التي كانت تمثل عقيدة المصريين القدماء فإما أن اليهود قد اعتنقوا هذه العقيدة وبالتالي فإنهم سيقومون ببناء أهرام في كل مكان

---

(1) زاهي حواس جريدة الأهرام ٦/ ١ / ٢٠٠١

(2) كوثر بنت عبد الحليم جريدة الأهرام ١/ ٢ / ٢٠٠١

حلوا به وهذا لم يحدث قد ، وإما أنهم كانوا يدينون بدين أخر غير الديانة المصرية – وهذا هو الرأي الثابت – فكيف يشاركون في بناء مقدس لآلهة أخرى ؟ وإن قيل قد سُخِّرُوا لهذا العمل فإما أنهم كانوا هم المهندسون والمبدعون للبناء ، وإما أنهم كانوا مجرد عمال ينفذون الأوامر فقط فإن كانوا هم المهندسون والمبدعون لهذا البناء المعجز فإنهم حتما كانوا على درجة علمية خارقة ، وبالتالي فإنه من المنطقي بعد خروجهم من مصر أن يحملوا معهم هذه العلوم ويصنعوا بها حضارة كالحضارة المصرية القديمة أو على الأقل تدانيها وهذا ما لم يحدث قط فليس لليهود حضارة تقارن بالحضارات الكبرى كالحضارة المصرية القديمة واليونانية والإسلامية وليس لهم أي إسهام يذكر في تطور الحضارات الإنسانية .

كما أنه من غير المنطقي أن هؤلاء المسخرين يصنعون بناء عجز البشر حتى اليوم عن فهم أسرار بنائه فضلا عن بناء مثله ، فالقهر يشل التفكير ويقتل الإبداع ويئد المواهب . إذن من غير المنطقي أن يكونوا هم المصممين والمخططين وبناء على ذلك لا يبقى احتمال إلا أن يكونوا عمالاً ينفذون ما يؤمرون به يستوون في ذلك بأي عمال آخرون وحتى هذا الاحتمال تكذبه الوثائق والحقائق التاريخية .

بناء الأهرام والسُّخْرَة

الحقيقة أن بناء الأهرام كان مشروعًا قوميًا شارك فيه المصريون القدماء وخاصة لأن الملك المصري القديم كان يعتبر أمام الشعب شخصية عظيمة ومحاطًا بلون من ألوان القداسة لذلك كان المصري يعمل بحب في هذا المشروع وكانت العائلات الكبيرة المنتشرة في صعيد ودلتا مصر ترسل العمال علي حسابهم الشخصي للعمل بالتناوب في بناء الأهرام وترسل أيضا الحبوب من قمح وشعير وسمك مجفف وثوم وبصل وخبز وجعة لإعاشة العمال وعثر داخل ثكنات العمال بالجيزة علي أطباق ذات طراز يدل علي إنها خاصة بأهالي الوجه القبلي كانوا يرسلون فيها المؤن للمساعدة في المشروع القومي. وهو بناء الهرم .

وفي عصرنا هذا جسدت السينما العالمية بعض المشاهد التي تشير إلى أن الأهرام قد بنيت بالسخرة وباستخدام السياط ومن أشهر من قدموا تلك الروايات المخرج سيسل دي ميل في فيلم الوصايا العشر الذي يحاول فيه إظهار السخرة التي عانى منها اليهود وقد قام بالتمثيل في هذا الفيلم الممثل تشارلتون هيستون الذي ارتبط في أذهان اليهود بصلته بالأفلام الروائية والتسجيلية التي تشرح خروج اليهود من مصر.

لكن حقيقة الأمر أن بناة الأهرام لم يكونوا مطلقاً عبيدًا وإنما كانوا أحرارًا فكان فيهم العمال العاديون والفلاحون الذين يعملون في البناء أثناء وقت فيضان النيل الذي يغمر الأراضي الزراعية تمامًا مما يجعل الفلاحين والعمال في حالة بطالة لذلك كانوا يعملون بالتناوب في الحقول طوال السنة وفي البناء وقت الفيضان وكانوا بذلك تحت إشراف الفنانين المهرة الذين يضعون التصميمات الفنية والمعمارية .

إن كشف مقابر العمال بناة الأهرام يعد دليلا قاطعا على تخرصات اليهود بأنهم هم الذين بنوا الأهرام . فقد أثبت كشف المقابر أن بناة الأهرام عمال مصريون لحما ودما متوسط أعمارهم كان بين٣٠ ، ٣٥ سنه وأطوالهم بين ١٧٥ ١٨٥ سم فهم ليسوا عماليق وهم ليسوا حراسًا للأهرام فالألقاب واضحة ومكتوبة باللغة المصرية القديمة. وكل يوم يظهر لقب جديد بالجبانة يؤكد أنها مقابر للعمال والفنانين بناه الأهرام . [1]

أما بناء الهيكل والمحاريب والتماثيل العظيمة التي بنيت وشيدت في عصر سليمان عليه السلام فالقرآن الكريم يذكر أن الجن هم الذين قاموا بعملها وليس اليهود.

{ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } (سبأ : ١٢،١٣ }

(1) زاهي حواس جريدة الأهرام ٦/ ١ / ٢٠٠١ .

وتوراة اليهود تنسب هذه الأعمال التي بنيت في عصر سليمان للمُسخَّرين من أبناء الأمم الأخرى الذين استرقهم سليمان وسخرهم في بناء الهيكل .

سخَّر الملك سليمان مائة وثلاثة وثمانين ألفا وثلاثمائة رجل (١٨٣٣٠٠) من أرجاء إسرائيل لبناء الهيكل وهم على النحو التالي : ثلاثون ألف رجل لإحضار الخشب من لبنان و " سبعون ألفا من حمّالي الخشب وثمانون ألفا من قاطعي الحجارة في الجبل ، ما عدا ثلاثة آلف وثلاث مئة من المشرفين على هؤلاء العمال "

(ملوك الأول : ٥)

وبعد أن أتمَّ سليمان بناء " كل ما رغب فيه في أورشليم وفي لبنان وفي جميع أرجاء سلطنته . أما من تبقى من الأموريين والحثّيين والفَرزّيين والحِوّيين واليَبُوسيين الذين لا ينتمون إلى بيني إسرائيل ، من ذرَاري الأمم التي عجز الإسرائيليون عن إفنائهم ، فقد فرض عليهم سليمان خدمة التسخير كالعبيد إلى هذا اليوم . أما أبناء إسرائيل فلم يُسخِّر سليمان منهم أحداً ، لأن منهم كان يتألف جنوده ورجال حاشيته وأمراؤه وضباطه قادة مركباته وفرسانه ، وكان عدد المُوَكّلِين على الإشراف على خدمة العُمال المُسخَّرين لتنفيذ أعمال سليمان خمس مئة وخمسين رجلا " (ملوك الأول : ٩)

وبناء على ذلك فليس هناك دليل منطقي على أن اليهود كان لهم أي إسهام في بناء أي حضارة إنسانية حتى الهيكل الذي بني في عهد سليمان ، فضلا عن قيامهم ببناء أهرام مصر !!

لكنه الحقد الأعمى الذي حدا بالمنظمات الصهيونية محاربة كل إنجاز مصري والوقوف له بالمرصاد حتى ولو كان عمره خمسة آلاف عام .

وعندما فشلوا في إثبات شيئا مما يدعون عادوا إلى اختلاق أكذوبة جديدة هي إن المصريين الحاليين ليس لهم صله بالمصريين القدماء ، ويسمي علماء النفس هذا

بالإسقاط وهو إسقاط الشخص صفاته على غيره أو بمعنى أخر اتهام الشخص غيرة بعيوب نفسه . فاليهود يحسون في قرارة أنفسهم أنهم لا نسب بينهم وبين العبرانيين القدامى ، وبدلاً من الاعتراف بهذه الحقيقة يحاولون اتهام المصريين بها !!

ونحن – المصريين – يقيناً شعب واحد من الناحية البيولوجيَّة وأول من أشار إلي ذلك هو فلندر اسبتري حين قال إن المشكلة في مصر ليس في غزوها.. وإنما المشكلة هي في الوصول إليها.. لماذا ؟! لأنك نادراً ما تجد شعباً متماثلاً في شكله الظاهري، بل في طباعه وأخلاقه ومزاياه، مثل الشعب المصري. وقد ظلَّ هذا القول قائماً ومشهوراً حتى جاءت السيدة مارجريت كندل وهي عالمة جينيات والتي أجرت دراسة عن ثلاثة شعوب، الألمان باعتبار أن هتلر كان يعلن دائماً بأنهم من أنقي الشعوب لأنهم ينتمون إلي الجنس الآري، فوجدت أن الجينات مختلفة وأن شعبها متباين تماماً ثم البحث الثاني عن اليهود.. وقد فوجئت بأن يهود الاتحاد السوفيتي يحملون نفس فصائل الدم، وجينيات شعب الاتحاد السوفيتي، ويهود انجلترا مثل بقية الشعب الإنجليزي، ويهود أمريكا مثل الأمريكان. إذن مسألة نقاء العرق اليهودي غير صحيحة .

لقد أعلنت أن الصدمة التي تلقَّتها من خلال بحثها الثالث ترتبط بالشعب المصري؛ إذ أخذت عيِّنات متعدِّدة من أسوان إلي الإسكندرية ومن الصحراء الغربيَّة إلي الشرقيَّة ومن المدن الكبرى والقرى والكفور والنجوع وعيادات الأطباء ومن المسلمين ومن المسيحيين. فكانت الصدمة الحضاريَّة أن المسلمين والمسيحيين، جيناتهم واحدة في ٧٩٪ من العينات التي أخذتها .

وهذا يؤكِّد ما ذكره «إستامب» من عشرات السنين حين قال إنه بالرغم من الغزوات الكثيرة التي مرت علي مصر عبر العصور، إلا انه كان تغيُّراً في الحكَّام ولم يكن تغيُّراً في جنسيَّة مصر لأن البحر المصري الكبير كان يذيب أيَّة جينات وافدة عليه .. إذن ما ذكره استامب وفلندر اسبتري ومارجريت كندل بالنسبة للشعب

المصري ومن دور هذا التأكيد العلمي السابق الإشارة إليه.. وهو أننا شعب واحد تاريخيّاً وجغرافيّاً وسياسيّاً وبيولوجيّاً. وهذه هي عظمة مصر وسر قوتها . (١)

ويبدو أن ادعاءاتهم لن تنتهي فكلما أغلقنا أمامهم بابا فتحوا غيره وهنا أقول لهم انظروا إلى شكل المصري القديم المصور علي جدران المقابر وقارنوه بشكل المصريين الذين يعيشون في صعيد مصر وريفها وحاولوا أن تعيشوا داخل قرية مصريه وعندها سوف تجدون أن حياتهم تتشابه تماما مع حياه المصريين القدماء من حيث بعض العادات والتقاليد من المأكل والمسكن والنشاط اليومي بل و حتى طرق علاج بعض الأمراض كالصداع وبعض أمراض النساء .

واعتقد أن هناك إجراءات عديدة يمكن من خلالها الرد علي اتخاذ اليهود للأهرامات رمزا لهذه القناة الفضائية الإسرائيلية كاللجوء إلى تحكيم القانون الدولي لأنه ليس من حقهم قانونا الحصول علي الرمز كما ليس من حق أحد تقليد الآثار . (٢)

***

(١) من حوار أجراه صلاح صيام مع د. وسيم السيسي نشر علي بوابة الوفد بتاريخ ٢٠١٣/٧/١١

(٢) زاهي حواس جريدة الأهرام ٦/ ١ / ٢٠٠١ .

كتب للمؤلف

كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢- ميزان الحق (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) دار زهور المعرفة والبركة

٣- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

٤- المدارس السلفية ، جدليَّة النقل والعقل والمصلحة . دار زهور المعرفة والبركة

سلسلة كتب دروس سياسية من التجربة الناصرية .

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو "" "" "" "" "" ""

٣- إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي "" "" "" "" "" ""

٤- نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي "" "" "" "" "" ""

٥- أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العداء "" "" "" "" "" ""

٦- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية "" "" "" "" "" ""

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي .

١- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .

دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحـــة) "" "" "" "" ""

٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن "" "" "" "" ""

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة "" "" "" ""

٦-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية "" "" "" ""

٧- أساطير الصهيونية الدينية ، والديانات السماوية . دار زهور المعرفة والبركة

٨- أساطير الصهيونية السياسية ، والمواثيق الدولية . دار زهور المعرفة والبركة

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون . زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . "" "" "" ""

كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين ، فمن نكون ؟ زهور المعرفة والبركة

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قــصيرة) " "" "" ""

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) "" "" "" ""

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية) "" "" "" ""

كتب أطفال

* سلسلة أصدقاء البيئة (٨ قصص) دار زهور المعرفة والبركة

* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص) " " " " " " " "

كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة في العالم

(١٦) كتاباً جامعة هارفارد رقم ١ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١١) كتاباً جامعة استنافورد رقم ٣ في الترتيب العالمي للجامعات .

(٥) كتب جامعة كاليفورنيا رقم ٤ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٠) كتب جامعة كولومبيا رقم ٧ في الترتيب العالمي للجامعات.

(١٠) كتب جامعة برينستون رقم ٨ في الترتيب العالمي للجامعات.
(١) كتاب جامعة أكسفورد رقم ١٠ في الترتيب العالمي للجامعات.
(١١) كتب جامعة ييل رقم ١١ في الترتيب العالمي للجامعات.
(٤) كتب جامعة بنسلفانيا رقم ١٥ في الترتيب العالمي للجامعات.
(٩) كتب جامعة واشنطن رقم ١٧ في الترتيب العالمي للجامعات.
(٤) كتب جامعة ميشيجان رقم ٢١ في الترتيب العالمي للجامعات.
(١) كتاب جامعة كيوتو رقم ٢٢ في الترتيب العالمي للجامعات.
(٤) كتب جامعة تورنتو رقم ٢٤ في الترتيب العالمي للجامعات.
(٢) كتابان جامعة إلينوي رقم ٢٥ في الترتيب العالمي للجامعات.
(١٩) كتاباً جامعة كورنيل رقم ٢٩ في الترتيب العالمي للجامعات.
(١١) كتباً جامعة دوكي رقم ٣٢ في الترتيب العالمي للجامعات.
(٤) كتب جامعة تكساس رقم ٣٦ في الترتيب العالمي للجامعات.

هذا بخلاف كتب المؤلف العديدة الموجودة في مكتبات الجامعات الأجنبية الأخرى غير هذه الجامعات .

كتب للمؤلف في مكتبات الجامعات العربية .

(١) كتاب المكتبة المركزية جامعة القاهرة . مصر
(٢) كتابان جامعة الملك فيصل – المملكة العربية السعودية.
(١) كتاب جامعة الملك فهد – المملكة العربية السعودية.
(١) كتاب جامعة الإمام محمد بن سعود – المملكة العربية السعودية
(١) كتاب جامعة الحسين بن طلال– الأردن.
(١) كتاب جامعة اليرموك – الأردن .
(١) كتاب جامعة مؤتة – الأردن.
(١) كتاب الجامعة الأردنية للعلوم والتكنولوجيا.
(١) كتاب جامعة تكريت – العراق .
(١) كتاب جامعة السلطان قابوس – سلطنة عمان.

(١) كتاب جامعة الإمارات – الإمارات العربية المتحدة.

(٢) كتابان جامعة النجاح – فلسطين.

(١) كتاب جامعة الأزهر الشريف – جمهورية مصر العربية.

(١) كتاب كلية دار العلوم – جمهورية مصر العربية .

(٢) كتابان كلية التربية – جامعة المنصورة – جمهورية مصر العربية

(١) كتاب كلية الآداب – جامعة بني سويف – جمهورية مصر العربية

(١) كتاب كلية الزراعة – جامعة الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

(١) كتاب المكتبة المركزية - جامعة بنها - جمهورية مصر العربية

كتب للمؤلف في المكتبات العالمية والعربية

(١٢) كتاباً في مكتبة الكونجرس الأمريكية.

(٣) كتاب في مكتبة الإسكندرية.

(٣) كتب في مكتبات مبارك العامة.

(١) كتاب في مكتبة وزارة الشباب الإماراتية.

(١) كتاب في مكتبة المجلس الوطني اليمني.

(١) كتاب في مكتبة وزارة الخارجية أبو ظبي.

(٢) كتاب في مكتبة مسجد البيرة الفلسطيني.

-كتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية ، والأجنبية والمواقع الالكترونية.

استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور لمصريون"

التليفون المحمول 01226406489 :

البريد الالكتروني : yuness112@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***

الموضـــــــــــــوع	الصفحة

المقدمة ٥

الفصل الأول : أسطورة عداء الأغيار الأزلي لليهود

مزاعم أسطورة عداء الأغيار لليهود ١٣

الرد على أسطورة عداء الأغيار لليهود ١٤

الأسباب الحقيقية وراء اضطهاد اليهود ١٧

عقوبة العصيان في التوراة ١٩

أسباب اضطهاد اليهود في مصر القديمة ٢٠

أسباب السبي الأشوري ٢٢

أسباب السبي البابلي ٢٣

أسباب السبي الروماني ٢٣

أسباب عداء سيدنا محمد ﷺ لليهود ٢٥

ملاحقة اليهود في أوروبا ٢٨

أسباب اضطهاد روسيا القيصرية لليهود ٣١

أسباب اضطهاد هتلر النازي لليهود ٣٢

أسباب اضطهاد اليهود في الكتب السماوية ٣٥

أسباب اضطهاد بني إسرائيل في التوراة ٣٦

رأي يسوع في اليهود ٣٨

اليهود في القرآن الكريم ٤٠

معاداة السامية ٤٢

علاقة مصطلح " معاداة السامية " بالصهيونية ٤٣

استغلال الصهيونية لأسطورة " معاداة السامية " ٤٤

الفصل الثاني : أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض

المرجعية النصية للأسطورة ٤٧

الفكر الإمبريالي المؤسس لدولة إسرائيل ٥٠

كيف صدر وعد بلفور ٥١

سياسة الانتداب البريطاني في فلسطين ٥٥

كيف زاد عدد اليهود في فلسطين واتسعت أملاكهم ؟ ٥٧

ثورات الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيوإنجليزي ٥٧

هجرات اليهود إلى فلسطين ٦٠

عندما أصبحت أمريكا الراعي الرسمي للمشروع الصهيوني ٦١

مؤتمر بلتيمور ٦١

كيف نشأت دولة إسرائيل ؟ ٦٧

كيف صدر قرار تقسيم فلسطين ٦٩

الدول العربية وقرار تقسيم فلسطين ٧١

حرب فلسطين ١٩٤٨ .... ٧٢

كيف حوّلت الصهيونية أسطورة أرض بلا شعب إلى حقيقة ؟ ٨٠

الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين ٨٣

الحروب العربية /الإسرائيلية ٨٥

حرمة النفس الإنسانية ٩٠

الفصل الثالث : أسطورة معاداة السامية

علاقة الصهيونية باللاسامية ٩٦

الصهيونيـــة والفاشـــية ١٠٠

الصهيونية والنازية : الفكر المشترك ١٠٢

موقف المسيحية من الصهيونية والنازية ١٠٣

تناقض مصالح الصهاينة مع اليهود ١٠٥

الصهيونيـــــة والنازيـــــة : العـــلاقة الفعليـــة ١٠٧

الصهيونية ومقاومة النازية ١١٠

هدف الصهيونية ، إنقاذ اليهود أم إنشاء دولة يهودية ؟ ١١١

تعاون اليهود الصهاينة مع النازيين ١١٣

أهم أشكال التعاون بين الصهاينة والنازيين ١١٤

جرائم اليهود الصهاينة في حق اليهود ١٢١

الصهيونية والحروب العربية ١٢٢

الصهيونية العالمية ودعم المتطرفين ١٢٤

الفصل الرابع : أسطورة الملايين الستة (الهولوكوست)

قصة " الهولوكوست " حسب الرؤية الرسمية للدولة الصهيونية ١٢٨

تحرير مصطلح " الهولوكوست " ١٣١

تحرير مصطلح " الإبادة الجماعية " ١٣٢

هل أباد يشوع كل الكنعانيين ؟ ١٣٤

تحرير مصطلح " الحل النهائي " ١٣٥

ضحايا الحرب العالمية الثانية ١٣٨
هدف الغرب من التركيز على الهولوكوست ١٣٩
هل أباد هتلر ستة ملايين يهودي حقا ؟ ١٤١
تضارب عدد قتلى اليهود على يد النازيين ١٤١
تضارب الآراء حول طريقة قتل النازيين اليهود ١٤٣
الشك في قتل اليهود في غرف الغاز ١٤٤
قصة محارق الموتى في المدن الأوربية الكبرى ١٤٤
أشهر الدراسات العلمية حول الهولوكوست ١٤٥
الإعلام الصهيوني والدفاع عن الهولوكوست ١٤٨
الأسباب الحقيقية لاختفاء الملايين الستة من اليهود ١٥٠
دوافع عداء هتلر لليهود ١٥٢
الغرب والمذابح العربية والإسلامية ١٥٥
العرب والمسلمون والإبادة النازية ليهود أوربا ١٥٦
تحريم الأديان السماوية قتل النفس الإنسانية بغير حق ١٥٩
الإبادة التامة لشعب تاريخيا ١٦٣
الاعتراف بجرائم قتل قام بها النازيون ضد اليهود ١٦٦
من تعرض للظلم أولى الناس بالحكم بالعدل ١٦٧

الفصل الخامس : أسطورة المعجزة الإسرائيلية

مزاعم الصهيونية حول هذه الأسطورة ١٧٣
الرد على أسطورة المعجزة الإسرائيلية ١٧٥
أسباب انتصار إسرائيل على العرب ١٧٥

مسلمو العرب والجيتو العثماني ١٧٧

معجزة إسرائيلية أم مخطط غربي ؟ ١٨٣

أهداف الصهيونية العالمية ١٨٣

الدليل على خضوع إسرائيل للمخطط الغربي الإمبريالي ١٨٥

حقيقة المعجزة الإسرائيلية ١٨٨

المساعدات الغربية لدولة إسرائيل ١٨٩

إسرائيل مشروع استثماري غربي ١٩٤

الفصل السادس : أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر

أصل أسطورة بناء بني إسرائيل أهرام مصر ٢٠١

الرد على أسطورة بناء اليهود أهرام مصر ٢٠٣

الأدلة الدينية على كذب هذه الأسطورة ٢٠٣

الأدلة التاريخية التي تكذب هذه الأسطورة ٢٠٤

الأدلة اللغوية على بطلان هذه الأسطورة ٢٠٨

الأدلة المنطقية على خرافة هذه الأسطورة ٢٠٩

بناء الأهرام والسخرة ٢١٠

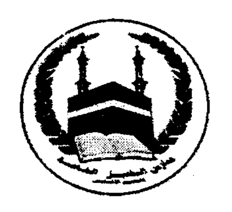
كتب المؤلف ٢١٥

كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة في العالم ٢١٦

كتب للمؤلف في مكتبات الجامعات العربية ٢١٧

كتب للمؤلف في المكتبات العالمية والعربية ٢١٨

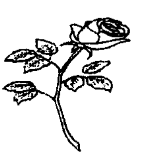
محتوى الكتاب ٢٢١



محافظة القاهــرة

إدارة البساتين ودار السلام التعليمية

مدارس الخليــل الخاصة للتعليم الأساسي



مدارس الخليل الخاصة للتعليم الأساسي



مدارس الخليل الخاصة للتعليم الأساسي :

*** نبع المتفوقين .**

*** شريان الموهوبين .**

*** مصدر الأوائل على مستوى الإدارة في جميع مجالات التعليم والفنون والقرآن الكريم .**

ترحب بالزائرين تشريفاً للمدرسة .

٥ ش الخليــل إبراهيــم – حدائــق المعــادي ت-٢٥٢٣٣١٦٠

E-mail:Elkhalilschool@hotmail.com

website :www.elkhalilschool.com